متون

مجلة دورية أكاديمية محكمة تصدر عن
كلية العوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة -

المجلد الحادي عشر/العدد الثاني
سبتمبر 2019

عنوان المجلة: ص ب 138 حي النصر 20000، حي النصر، سعيدة (الجزائر)
الهاتف: 048477688. الإيداع القانوني: 5014/ 2008

ISSN 1112 – 8518
EISSN 2600 - 6200

مـتون

مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة

المجلد	العدد	الشهر	السنة
الحادي عشر	الثاني	سبتمبر	2019
Année	Mois	Issue	Volume
2019	septembre	02	11

المدير الشرفي للمجلة	مدير المجلة
ا.د فتح الله وهبي تبون	ا.د بكري عبد الحميد

رئيس التحرير
ا.د. حفيان محمد

الرقم الدولي الموحد للدوريات	1112-8518	ISSN
الرقم الدولي الموحد الالكتروني	2600-6200	EISSN
رقم الإيداع القانوني	2008-5014	Dépôt légal

عنوان المجلة			
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة د مولاي الطاهر سعيدة			
الهاتف:	048477688	الفاكس	048477688
حي النصر سعيدة 20000 الجزائر			
رابط المجلة في البوابة	https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/146		
رابط المجلة في موقع الكلية:	https://www.univ-saida.dz/ssh/?page_id=6367		
حقوق النشر:	محفوظة لمنشورات كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية		
الطبع:	دار النشر الجديد الجامعي NPU تلمسان		

مجلة متون

أمانة التحرير

د. حليمي مصطفى	د. موسم عبد الحفيظ
halimi_121@yahoo.com	dr.moussem@gmail.com

الهيئة العلمية

	الاسم واللقب	مؤسسة الانتماء	التخصص	الصفة	البريد
.1	د.محمد عثمان الخشت	جامعة القاهرة	فلسفة	محرر مساعد	dr.khosht@gmail.com
.2	د.سهيل فرح نعيم	موسكو	انتروبولوجيا	محرر مساعد	gsfarah@hotmail.com
.3	د. بهاء درويش	المنيا- مصر	فلسفة	محرر مساعد	elsayed.baha@mu.edu.eg
.4	د.عبد الله موسى	جامعة سعيدة	فلسفة	محرر مساعد	pr_moussa@yahoo.fr
.5	د.هيثم السيد	مصر	المنطق	محرر مساعد	haytham_e_e@yahoo.com
.6	د. حمدي مليكه	تونس	ابستمولوجيا	محرر مساعد	hamdimlika2015@gmail.com
.7	د. فيدوح عبد القادر	قطر	سيميائيات	محرر مساعد	afidouh@hotmail.com
.8	د. شريفي علي	جامعة سعيدة	علوم التربية	محرر مساعد	psycho1320@hotmail.fr
.9	د. ورغي سيد احمد	جامعة سعيدة	علوم التربية	محرر مساعد	ourghi_k@yahoo.fr
.10	ا.د. بكري عبد الحميد	جامعة سعيدة	علم النفس	محرر مساعد	doyen.ssh@univ-saida.dz
.11	د. يوسف سليمان	مصر	علم النفس	محرر مساعد	sajedalerabby@yahoo.com
.12	اد جيلاني كوبيبي معاشو	جامعة معسكر	علم الاجتماع	محرر مساعد	m.djilanikobibi@univ-mascara.dz
.13	ا.د. طيبي غوماري	جامعة معسكر	علم الاجتماع	محرر مساعد	taibighomari@univ-mascara.dz

هيئة المراجعة

.1	د. كبداني فؤاد	جامعة سعيدة	التاريخ	fouadkebdani35@gmail.com
.2	د.بلمدني سعد	جامعة سعيدة	اعلام واتصال	belmadanirabia@gmail.com
.3	د. محمد الناصري	المملكة المغربية	التاريخ	mohammedennassiri@gmail.com
.4	د.نبيل فازيو	المملكة المغربية	فكر سياسي	Philofaziou_nabil@hotmail.com
.5	د.عامر الوائلي	العراق	انتروبولوجيا	azid2014@gmail.com
.6	د. محمد كرد	جامعة معسكر	فلسفة	mohammed.kerd@univ-mascara.dz
.7	د. عبد الاله جفال	جامعة معسكر	انتروبولوجيا	abdelillah.djeffal@univ-mascara.dz
.8	د. غيضان السيد علي	بني سويف مصر	فلسفة	ghedan_elsayed@yahoo.com
.9	د. بن مصطفى ادريس	جامعة سعيدة	تاريخ	driss.benmostefa@yahoo.com
.10	د. بوحسون عبد القادر	جامعة سعيدة	التاريخ	Bouhassoun.aek20@gmail.com
.11	د.عفيان محمد	جامعة سعيدة	فلسفة	afiane.philos@gmail.com
.12	د. احمد مسعودي	جامعة تلمسان	علم الاجتماع	mes.ahmed@gmail.com
.13	د. حليمي مصطفى	جامعة الشلف	تاريخ	
.14	د. الحمزة منير	تبسه	علم الاجتماع	mounir.elhamza12@gmail.com
.15	د. توهامي سفيان	سعيدة	علم النفس	touhsoufyane@gmail.com

المراجعة اللغوية

.1	د. بلقاسم البومديني	جامعة معسكر	لغة فرنسية	bboumedini70@yahoo.fr
.2	د. ياسمين فيدوح	جامعة مستغانم	ترجمة	fidouhyasmina@gmail.com

تصميم الغلاف

محمد بن دوبه

محتويات العدد

.1	فهرس المحتويات	01
.2	الافتتاحية	02
.3	جمال البلاغة القر لية ورقيّها د . بن فطة عبد القادر ، جامعة معسكر	15 - 03
.4	معوقات الحوار بين الإسلام والغرب وآليات تجاوزها رزيق ر ابح ، رزقي بن عومر ، جامعة وهران 02	28 - 16
.5	الو قع العربي وشروط إقامة مجتمع المعرفة د. يموتن علجية، جامعة وهران 02	39 - 29
.6	الكتابة العربية قبل الإسلام (جذورها وخصائصها) أ. بودين قدوري (دكتورالي)، جامعة سعيدة	54 - 40
.7	المؤسسات التعليمية في مدينة بجاية خلال القرون 07 – 10 هجرية أ / رحيم عائشة ، جامعة تلمسان	70 - 55
.8	قراءة في أنتروبولوجيا الجز لر من 1830 إلى 1962 د. بن عرفة إبراهيم، جامعة البليدة 02 / د. بشيرة عالية، جامعة سعيدة.	81 - 71
.9	القول الفلسفي من حضيض التقليد إلى آفاق الإباع . طه عبد الرحمن المنظروالأنموذج د . نادية درقام ، جامعة وهران2.	101 - 82
.10	قراءة في نظرية الهرمنيوطيقا عند هيجر أ . بومدين حورية، / أ .د محمد أسلوغة، جامعة باجي مختار- عنابة	113 - 102
.11	الثقافة و انعكاساتها الصحية في أوغندا: دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الطبية د . محمد جلال حسين	133 - 114
.12	زراعة الأرز في موريتانيا: المعوقات والحلول د . عبد الله سيدي محمد أبنو ، المملكة العربية السعودية	154 - 134
.13	البلادة العاطفية لدى طلبة الجامعة في ضوء متغيري النوع والتخصص الدراسي أ / عفراء إبراهيم العبيدي ، جامعة بغداد	178 - 155
.14	موقع الإعلامية الجز لرية في الفضاء السمعي البصري بين محكي المهنية والعقلية المجتمعية (دراسة مسحية على عينة من الصحفيات العاملات في قطاع السمعي البصري) أ/ فريدة صغيرعباس ، أ/ سالمة شداني، جامعة الجز لر03	196 - 179

كلمة العدد

جاء هذا العدد من مجلة متون ليدعم الأعداد السابقة بدراسات جديدة لباحثين من داخل الوطن وخارجه، إذ يلتقون –من خلال أبحاثهم- في منهج واحد يعتمد البحث الدقيق، والتنقيب العميق، والرأي السديد المبني على الأدلة العلمية؛ المتفتحة على مستقبل الدراسات التي سيكون فيها –لا محال- المجال مفتوحا لأصحابها؛ سواء بالتأكيد أو التعديل أو التوسع في سبيل إثراء المعرفة العلمية.

وبهذا تكون هيئة تحرير مجلة متون قد تجاوزت كل العقبات لتُطلع قرائها الكرام على بحوث جديدة، متوخية من وراء ذلك كله نشر المعرفة، وتعميمها على المهتمين بصفة عامة والمختصين بصفة خاصة.

ع/ هيئة التحرير:
د . عبد الحفيظ موسم

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

جمال البلاغة القرآنية و رقيّها

The beauty and sophistication of Quranic rhetoric

أ / بن فطة عبد القادر (أستاذ محاضر " أ ")
جامعة معسكر

تاريخ الإرسال: 26 / 01 / 2019	تاريخ القبول: 15 / 05 / 2019	تاريخ النشر: 29 / 09 / 2019

ملخص:

إنّ ثراء اللغة العربية دفع العلماء إلى الاستفاضة في موضوعات كثيرة، وأعملوا عقلهم في استنباط القواعد والأحكام. فحدّدوا الوظائف البلاغية للأنماط و الأساليب التي شهدها الارتقاء اللغوي، و تأكيد وجوب تأصيل البلاغة العربية وتمحيصها لتصبح أداة إيحائية وجمالية، من أجل تيسير أغوار الخطاب اللغوي والأدبي معا، وإخضاعها لنظام لغوي خال من التعقيد و التعسّف، ويحقّق الصّحة البيانية اعتمادا على لغة القرآن في تحديد العلاقات الأساسية في الجملة على أساس أنّها وظائف يؤديها كلّ مكوّن بحسب ارتباطه لما بعده وما قبله.

الكلمات المفتاحية: لغة القرآن، الارتقاء اللغوي، الإعجاز ،جمال البلاغة، رقيّها.

Abstract :

The wealth of arabic language pushes linguists to handle different topics as well as to persevere in
deducing rules and norms. Hence, they determined the rhetorical functions of types and styles touched by the linguistic evolution, and stressed the necessity of rooting the Arabic rhetoric so that it becomes an allusive tool to tackle the ins and the outs of linguistic and literary discourse, and to submit it to a linguistic system that should be free of complication and abuse. Moreover, one of the main aims is to realize the metaphorical truth relying on the language of Koran in determining the principle relations of the sentence played by every component with regard to its position in the sentence.

Keywords: language of the Koran, linguistic uplift, miracles, beauty of rhetoric, sophistication.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المقدمة

نزل القرآن الكريم في جزيرة العرب، و الأمة العربية تمثّل ذروة الفصاحة، و هو إنساني الرسالة، إلا أنّه عربي النص، مستشرف اللغة، مشرق البيان بوجه من البلاغة الناطقة، وتبقى هذه البلاغة أصلا قويما في تمتين النظام اللغوي العربي.إنّها ثروة لغوية لا تنفد.هذا التقييم الطبيعي مختص بالقرآن ،لا يشاركه أيّ كلام بشر .

اجتمع في بلاغته أصل من الجمال و الرقيّ. ذلك ما دعا علماء اللغة أن ينهلوا من روافده، وقد نتج عنه امتداد ملكة الباحثين لاستخراج جملة من أسراره، فأضفت عليهم سيلا من المعارف في النحو و البلاغة و الأصول والفقه والتفسير...وهذه الكنوز العلمية الهائلة رسّخت النواة الصحيحة التي انبثقت عنها مدونات علوم اللغة في مرحلة التأصيل التي أصبحت تغذي الحركة اللغوية من فيضها المتدفّق، ثمّ امتدّ شعاعه الهادي إلى الحواضر العربية، حتى استُقطبت في أبعاد متفاوتة.

البعد الجمالي للبلاغة القرآنية

لقد تمرّدت البلاغة القرآنية على النمط العربي لتغدو نافذة في ملكة العلماء في التأليف، و لم يجدوا متنفسا لهم إلا في سموّها الذي نمّى قدراتهم وحرّكها ليستلوا منها صفاء إنتاجهم، فأدركوا أنّها تتّسم بالانفتاح الحسي و الجمالي (للقرآن مسحة خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي، و جماله اللغوي، ونريد بنظام القرآن الصوتي:اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، و مداته وغنّاته، واتصالاته وسكناته، اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا، يسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس،بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أيّ كلام آخر من منظوم ومنثور.) [1]

لو تأملنا هذه البلاغة لوجدناها مشحونة بالجمال الذي يحمل البهجة الغامرة التي اجتاحت أعماق النفوس المطمئنة لتنفلت من الهموم، و تنغمر في أجواء روحانية مفعمة بالرحمة الإلهية (ونريد بجمال القرآن اللغوي، تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في وصف حروفه و ترتيب كلماته، ترتيبا دون كل ترتيب تعاطاه الناس في كلامهم ،و لقد وصل هذا الجمال إلى قمة الإعجاز) ([2]) . إنّ مهمة البلاغة في إطارها اللغوي أداة روحية مباشرة، تقوم على أساس من قدرة التعبير عن مظاهر الوجود الحيّ الذي وجد المتلقي نفسه ملتزما به بحكم الإعجاز. و إنّه ليقف أمام الغزارة و التنوع التعبيري تستحقّ إيفاءها حقّه من الوقوف والبحث.

واليقين العميق بأنّ فضل البلاغة القرآنية لا يقف عند الفائدة العلمية، بل هناك سمو في الجمال الخلقي يصدق بقدر من التأنّه والعفاف فالقارئ يجد نفسه أمام ما تعرضه الآيات القرآنية من مضامين تتجاوب مع الموقف المسبب لهذا الجمال البلاغي فعند قوله تعالى: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن

[1] الزرقاني (عبد العظيم)، مناهل العرفان، دار الكتب العلمي بيروت 2003 م 208/2

[2] انفس المرجع،ص208

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظّالِمِينَ إِلاّ تَبَاراً) نوح 2 فالآية بنسيجها البلاغي تصورّ الضلال والزيغ و ما يولده من إحساس يؤدي المعنى الحقيقي، فما كان على نوح عليه السلام إلا إن يتوجّه إلى الله بدعاء متّسم بإيقاع عنيف تنتابه موسيقى مهيبة. فالتعبير صادر عن بشر مرسل جاهد كثيرا وعانى طويلا.

فإيقاع المفردات يحمل بيانا دقيقا على صبر نوح و عناد قومه، فنلمس تعبيرا بديعا وتصويرا فريدا يخلق في النفس التجاوب مع اللهجة المؤثرة عن نوح عليه السلام، وإدراك أطماع القلوب الداعية. و هذا الإيقاع يجعل القارئ يعيش مع المشاهد، وينتقل من مفردة إلى أخرى دون عناء رابطا بداية الآية بآخرها. و قد طغى على التعبير توازن ذو نغمات معبرة، وبالمقابل نجد دعاء لطيفا على لسان زكريا عليه السلام قال تعالى: (قَالَ رَبّ إِنّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنّي وَاشْتَعَلَ الرّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبّ شَقِيّاً) مريم 4 إيقاع الآية مَرِن يعكس حكمة زكريا ويبعد عنه العقدة رغم أنّه كان محروما من الولد، ويجعل ألفاظ النص واسعة الدلالة اجتمعت، واتسعت لتعبّر بإيضاح عن قصد هذا النبي الكريم .

إذ لم تكن بلاغة القرآن يوما من الأيام أضعف فعهد قوتها تجاوز القرون، ولم يبد الهون عليها، فهيمنت هيبتها وتحولت ذات قوة وسلطان، فتفتّحت أعين العلماء عليها وهي يومئذ ميدان للإنتاج و الإبداع، فامتدت إلى أصحاب المذاهب والعقائد، فاستقرت الأذهان بعد ما كانت مضطربة، وتلقّت النفوس الجلد بقدر ما كانت تعاني من خصومات المناظرات بين الملل و النحل. و لو لم تكن هذه البلاغة ذات جمال و منعة ذوقية لما اتّخذت لنفسها القوة والتنزّه(لقد أثبت القرآن جدارته بصفة الربط بين المتلقي والنص بوشائج متينة، وهذا الاستحقاق يكمن في ديمومة ربط المرء بالواقع: الواقع النفسي القدرة على إثارته على ومرّ العصور، فتنبش في مكونات أساسية في السلوك البشري، وههنا مخاطبة الخالق لما خلق.) ([3])

لقد كان لها أثر كبير في حياة الفكر و نشاطه بلغت منه مبلغا عجيبا في رقيّ نشاط العقل، فكانت سلاحه المسخّر في ميدان القلم واللسان، وصلت به إلى مرحلة الإنتاج الأصيل و الجديد بعد أن كان يتخبّط في الركود و التقوقع، فامتلأت الرفوف بالكتب فكان نتاج العقول مختلفا يجمع بينها التمازج و التفاعل تحت إمرة خصائصها الأصيلة فاتّسع نطاقها، وظهر في ميدانها عدد من نوابغ العلم الذين تعددت ثقافتهم في جوانب متعدّدة من فقه وبلاغة. فقد أسهبوا في إظهار ضوابطها من خلال لغة القرآن ووظفوا ملكتهم في التعامل معها فهي مبنية على القوانين تحكم دلالات الألفاظ والتراكيب. وألغت مبدأ التبعية قصد تطوير النظام اللغوي و جعله منارا يبعث شعاعه لكشف فلسفة هذا العلم و حلّ عقده، وقد سلك علماؤه الاتجاه العلمي للإفهام والإقناع في تحليل مسائله، فاستقرؤوا اللغة لاستخلاص الأصول، فكانت قياسا يثبتون بها القواعد للتعليل و الإلزام. وقد ارتكز الدرس البلاغي على التأويل بإعمال المنطق والاجتهاد في فهم النصوص و الوصول إلى التخريجات. فالمنطلق الذي تأسّس عليه هو

[3] أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، ط2دار المكتبي دمشق سوريا،ط2 1419 ، ص30.29

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

النص القرآني بعد أن استقرت لغته لدى البلاغين فوقفوا عند دراسة قضايا بلاغية لمعرفة الأسس و نظامها في السياق.

فالبلاغة اختطت منهجيتها من القرآن الكريم، و أدخلت في بناء النظام اللغوي للعربية. فكانت علومها ذات طابع ثابت، وموضوعاتها تأخذ الصدارة في الدراسات ذات الصلة بالعلوم المعرفية. فجعلها القرآن عنصرا في التفكير و وسيلة في نقل المفاهيم لغزارة المعاني والمقاصد، و صارت لغة المصطلحات العلمية لدى الفرق الدينية و المذاهب العقلية. فوجدوا في مكوناتها الغاية في تحقيق المعالجة المنطقية للتصورات المخزونة بصور أفضل وأكثر نضجا، فاستقرت مفاهيمها في دلالتها. فبفضل القرآن أصبحت ركيزة رئيسة لدى أهل العلم من أصوليين و لغويين و مفسرين. فما قدمه القرآن للبلاغة من إضافة نقّح المادة اللغوية لذوي الاختصاص في اللغة لتوثيق علمهم.

فوجدت البلاغة أوج نشاطها في حضن القرآن الكريم، فنضجت المسائل وتأصّلت المصطلحات. ولذلك انبرى البلاغيون إلى وضع آليات كفيلة بالحفاظ على النظام البلاغي في الكتابة. و عظم ذلك بملامسة ما يكتنزه النص القرآني من بيان وبديع ومعاني. حفّزهم إلى تصنيف المؤلفات تكون حصيلة ثراء استلهمه أهل البلاغة لينتفع به علماء اللغة والشريعة.فقد أمدّ القرآن الدرس البلاغي بذخيرة بلاغية للاحتجاج بالكلام الفصيح للتأكيد على مرجعية القرآن في الموازنات البلاغية، واستنطاق حقيقتها المبثوثة في التراث.

و لعل أكثر ميادين العلوم قربا منها علوم اللغة و القرآن، و ذلك لأنّهما تعنيان بمعرفة كنهها وحقائقها، وأهل العلمين هم معدن هذه البلاغة، فقد بيّنوا الحاجة إليها، وطريق تحصيلها لأنّ الغاية عندهم الإحاطة بجوهرها حتى لا يخرج المتعلم عنها، فهي لا تحتمل الزيادة و النقصان، فقد رعوا خصوصيتها وضرورة بعدها عن التنافر. فهي ثورة تتناغم مع مبادئ القرآن الكريم، ولازمة تعصم لغته من الطاعنين وتحميها من ابتزاز عنادهم، وستبقى الرادع لألدّ أعدائه. فلا عجب أن يكون جمالها محطة إلهام، و مهبط إشراق، و ركيزة عقدية في استقامة الرؤى وتنوير الأفكار. ففي القرآن مشاهد تصور مصير البشر يوم القيامة، واختلاف التعبير الفني بينهما قال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) الزمر71 هذا مصير الكفرة فهم اليوم في خزي، إنّها حقيقة عميقة ينقلها القرآن الكريم في كلمات محدودة متكاملة في اتجاه واحد، لطيفة السياق اختار لها مقاطع مؤتلفة المعاني مرتبطة جمال التعبير البلاغي من بدايته إلى نهايته، تعبير يحمل صور التهديد الخفيّ بسوء العاقبة، يظهر هيئة العصاة في تعبير عجيب.

و بالمقابل هناك مشهد تخفق له الأفئدة و تطمئن إليه الأرواح قال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) الزمر73في هذه الآية تجاوب الكلمات فيها نبرة لينة ورأفة يضفيها الموقف. فخطاب الله لهذه الفئة امتاز

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بالتشريف و التعظيم، واحتلت كل كلمة مكانها المناسب، وارتبطت بغيرها من الكلمات، واختار التعبير الخاص عن المعاني التي يراد إثباتها في ذهن السامع يخلق جوا نفسيا منفرد.

فالبلاغة القرآنية بمعناها العميق الشامل الذي يضفي على المعاني صفات ملموسة تتجلى للبصر، و ينطوي على اعتبارات أبعد مدى و أكثر أهمية من مجرد صورة للأساليب، فإنّها تتطلب معرفة و ذوقا. فهي تهتم بنمو العلوم في جو تسوده الراحة أي كل ما يتعلّق بالأمانة العلمية، وتشمل حركة المرور، و تأمين نقل معانيها، في جو مريح هادئ و غير منهك للأعصاب. فالبلاغة في القرآن كائن الذي يساهم في توفير التفكير النقيّ، و يؤمّن مساحة الإنتاج العلمي لتأدية وظيفة صحية للعقل و وظيفة جمالية للنفس اللذين يمتّعان المتلقي بمناظر خلابة تبدّد السأم، وتفتح أسارير النفس(واعلم أنّ لكل معنى نوعا من اللفظ هو أخصّ به و أولى، وضربا من العبارة، هو بتأديته أقوم، وهي فيه أجلى وما إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقول أخلق، و كان للسمع أدعى، و النفس إليه أميل) ([4])

إنّ التعرّف على جمالها يتطلّب اقتفاء أثر الأوائل بدءا بالصاحبة و التابعين للوقوف على عناصره الأصيلة، فهم أساس صلاحيته. فقد وضعوا المقومات الأولى من خلال تلاوة القرآن كما سمعوه عن الرسول صلى الله عليه و سلم أثناء صحبتهم له، وعن صحابته، والحفظة من بعدهم. فكانوا يلتزمون بما أقرأهم به حرفا حرفا، وحركة و سكونا(في كلّ بلد ومصر وجماعة كانوا يقرئون الناس ويأخذون القراءة عنهم عرضا آية آية، و كلمة كلمة ، و مدّة مدّة) ([5])

إضافة إلى ذلك أنّ أهم مظاهرها الأصيلة الاستقرار المرتبط بالإعجاز الذي أكسبها موقعها الحصين في لغة القرآن، فجذب إليها الملكات النقيّة للعيش معها في أمن، فكشفت عن أصالتها في الفهم و القدرة على الابتكار، ولم تلبث حتى تمخّض عنها ازدياد في النشاط الفكري و الثقافي للدراسات القرآنية واللغوية خدمة للقرآن الكريم لفهم ما يصعب من دقائق الأساليب. فاستقرار البلاغة القرآنية شكّل أهم مقوماتها لأنّه وجد الأرضية خصبة في النص القرآني للاستعانة به في التحليل و التقعيد، ووجود الحاجة العلمية عند المتعلّم في إتقان فهم علوم العربية.

فالاستقرار البلاغي نشأ على أساس تخطيط رباني، ودراسته على الورق يجب أن تكون عميقة، لأنّه أخذ أبعادا جديدة تتساير وتطور العلوم، وقام بتغيير شامل وتشكيل جديد لخواص الكتلة اللغوية. توالت الحقب، استنبط العلماء تنوّعا معقولا في البلاغة القرآنية من حيث جمالها، و كان التركيز على استقرارها الذي طبع تصاميمها بالمرونة، إذ كان داخل أسوار النص القرآني يعزلها عن الدخيل الحوشي و السوقي. فقد أكسبها بداعة، و زاد في تمدّدها و تكيّفها لمعطيات الطور اللغوي .

إنّ هذا الاتّساع و تزايد أهل العلم عليها ناجم عن آثار الاستقرار دعا الباحثين من فروع العلم المختلفة للمشاركة في تثويرها. فالحاجة إلى تحسين الوضع العلمي و تنظيمه كان في الحقيقة من باعث استقرار

[4] الجرجاني ، ثلاث رسائل في الإعجاز(الرسالة الشافية)،ص107

[5] ابن مجاهد(أبو بكر)، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعار مصر، ص9

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

البلاغة جماليا، فقد أمّن للمتعلم الهدوء والراحة في محيط علمي صحي، و جنّبه جمود وفوضى الأساليب الوضعية التي كانت ضمن رقعة محدودة أقبرتها تعقيدات النعرات الجاهلية قال الباقلاني402ه (هو أدقّ من السحر، وأهول من البحر، وأعجب من الشعر، و كيف لا يكون ذلك، و أنت تحسب أنّ وضع الصبح موضع الفجر، يحسن في كل كلام، إلا أن يكون شعرا أو سجعا، وليس كذلك فإنّ إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزلّ عنه اللفظة الأخرى، بل قد تتمكن فيه) ([6])

لم يقتصر جمال البلاغة القرآنية على الاستقرار بل كان هناك مظهر آخر هندس شبكة أساليبها و تراكيبها القرآنية حتى صارت كالحدائق خلابة، ساهم في تنسيق أفكار العلماء، و تحديد نوعية المفردة لمختلف التراكيب من أجل توفير أعلى درجات الرقيّ وعناصر الجمال ألا وهو الانسجام الذي أبعد الفوضى والانزعاج و الضرر عن جمالها، قال الرماني 909ه في الذوق السليم الميّال إلى عذوبة التعبير في القرآن الكريم (و السبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلّما كان أعدل كان أشدّ تلاؤما، و أمّا التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد. و الفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع، و سهولته في اللفظ،و تقبّل المعنى في النفس، كما يرد عليها من حسن الصورة و طريقة الدلالة) ([7])

فالانسجام يبني البلاغة بشكل متين وعجيب خال من التعرّج، لا يترك فرغات للطاعنين لينفذوا إلى أعماق النص فيجفّفوا هيكلها، فتغيب أشكالها الزخرفية و الجمالية فعند قوله تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ) غافر18 فالألفاظ التي تتألف منها هذه الآية تنسجم مع المعنى والجو الذي يدور في إطاره النص تتحقق صورة الحزن. ونلاحظ تردد المفردات تشير إلى الرعب والوعيد فكلمة (أنذر والآزفة) تدلان على صوت الأسى والتهديد، فإيقاع الكلمات يشعر بعمق المضمون وحقيقة المشهد. فقد نقل لنا صورة اجتمعت فيها أسباب الوعيد(تجد البناء التعبيري قويا بجملته و تفصيله، بحيث نجد بالأصوات زاجرة زجر ما تحمله من معاني، فالشكل والمضمون وحدة متفقة السمات والخصائص.)[8] فقد أعطاها القرآن طابع الثبات مما جعلها مستقرة وآمنة، و أضفى عليها البساطة و المتعة، و قد منحها أهمية خاصة لكونها تمدّ الحماية للغة القرآن، كما أنّها بمرور الزمن أصبحت لها السيادة في التأليف. كما سمح للعلماء أن يقدّموا قمة إنتاجهم من تنظيم أفكارهم وفق مبادئ القرآن، يمنع الانتهاك والتجاوز الشخصي للنظام اللغوي للقرآن الكريم.

فالانسجام جعل جمال البلاغة القرآنية على محور هندسي واحد، و الملاحظ عليها وجود العلاقة الذوقية الجلية سواء كان المتلقي عربيا أو عجميا. فهي مصمّمة كوحدات مرتبطة فيما بينها، إذ أعطت

[6] الباقلاني(القاضي أبو بكر محمد بن الطيب)،إعجاز القرآن،تحقيق: أحمد صقر،ار المعارف القاهرة ط1 1963 ،ص184

[7] الرماني(علي بن عيسى)، النكت في إعجاز القرآن،ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد زغلولو محمد خلف الله،دار المعارف القاهرة ص88

[8] محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الرسالة ط2 1402ه، ص65

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أبعادها و مقاساتها بشكل مدروس مع إعجاز فعند قال تعالى:(وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنّ وَلَيَكُوناً مّن الصّاغِرِينَ) يوسف 32 فصيغة(ليسجننّ و ليكونا) هناك تناسب في الإيقاع ما بين الكلمتين بنون التوكيد الثقيلة والخفيفة والوقف عليها. فهذه النون بنوعيها المسبوقة بالقسم أضفت على الجملة نغما يوقظ النفوس التائهة بالعودة إلى ربّها، كما كشف لنا عن طبيعة المقام. فجمال التصوير رسم لنا صورة المرأة و هي مشدودة إلى عرض الحياة الدنيا في أزهى حالة، إنّها في موقع تجد ما تشتهي، ولكنّها مع يوسف عليه السلام بهذا الإيمان والعفّة لم تحصل على غرضها. فهذه الآية أكثر إيحاء في تصوير ما وراء الواقعة من بلاء.

فقد أولى القرآن الانسجام أهمية خاصة في إضفاء الجمال على البلاغة القرآنية بجعل القوة و الراحة من أعمدته لاستمالة الشعور اللامنتهي للمتلقي. فالانسجام يمثّل المظهر المعماري لجمالها، و المشرف على فضائها تتجمّع حوله الدلالات والمقاصد طبقا لغاية و منهج مقصودة في النظام اللغوي. لقد كان أثره جوهريا انعكس على النواحي الفنية والجمالية، إذ غدت كالنصب التذكاري فاخرة البهاء، مزيّنة و مزخرفة ترمز إلى ارتقاء اللغوي للقرآن الكريم.

لقد قاد هذا الطراز المتميّز للبلاغة القرآنية إلى زيادة الطلب المستمر عليها، وشغلت أفكار العلماء. فقد كانت تغذي الحركة اللغوية من فيض جمالها المتدفّق المتصدّر في استكشاف عمق النص القرآني، و صور إعجازه في درسه وعملوه في جدّية في استيعاب جزئياته تكوينا و أصالة. و كان ما قدمه العلماء من جهود يبلغ بهم إلى ذروة صاعدة من بين الجهود العلمية المبدعة.

أصالة الرقيّ للبلاغة القرآنية

ما يميّز البلاغة القرآنية دعامة رئيسة من دعائم النمو اللغوي تلك هي ظاهرة الرقيّ التي انفردت بها البلاغة في القرآن الكريم، وتنضوي تحتها المادة اللغوية يجمع بينها معنى عام يدل عليه اللفظ بجميع اشتقاقاته في السياق وفي مستويات الخطاب. فعلماء الشريعة و اللغة وقفوا وقفة تدبّر للكشف عن مستويات استعمالها في النص القرآني، ومن هنا كانت الحاجة إلى استقراء ورودها في موضعها ثمّ مقارنتها بوجوه استعماله في مواطن أخرى.

يمثّل الرقيّ المضمار العام الذي بموجبه يتم توظيف المعنى و اللفظ، ويكون السياق دعامة الترابط بينهما، فالرقيّ يكسب البلاغة النمو والتطور يتماشى و حاجات المقام (وإنّ لكل كلمة معنى في ذاتها، و معنى في سياقها الذي ترد فيه، وغالبا ما يكون المعنى السياقي أوسع دلالة،و أشدّ تأثيرا في القارئ والسامع؛ذلك أنّ السياق يوظف عناصر الدلالة كلّها من أجل التعبير عن المقصود) ([9]). فالبلاغة القرآنية تأخذ الصدارة في الميدان اللغوي، فهي تنقل المفاهيم و المقاصد ما يدل على ارتقائها الذي هو معلم لغة القرآن، ومرآة إعجازه في تحقيق المعالجة المنطقية للدلالات المخزونة فيهما، وأصبحت أكثر قدرة على تنوير ذهن

[9] أبو عودة خليل، البيان القرآني مفهومه ووسائله، إسلامية المعرفة، العدد 56، الستة الرابعة عشر2009، ص 696

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المتعلّم الذي إذ ما توسعت لغته كان أقدر على التجاوب مع غزير المعاني، و كلما نضج تفكيره استقرّت الدلالة.

و لو تدبرنا رقيّ البلاغة القرآنية لوجدناها تنبعث عن ترتيب منطقي يربط العام بالخاص ويجمع بين الشمولية والإحاطة يخضع للمنهج اللغوي للقرآن الكريم الذي يتميّز بالاستقرار. فالتعبير القرآني وجّهها توجيها أصيلا؛ و أكثر إفادة ما يتلاءم و التطور اللغوي الذي يمكن من خلالها الحصول على مقاصد دقيقة تستميل اللغويين للاهتمام ببيان العلاقات بين المضامين و المقاصد. ما يميّز تلك العلاقات المنطقية في عرضها في موضعها الذي يتواءم و التطور الحاصل الدراسات المتعلقة بالإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، فلا إبداع للعقل البشري فيها إنّما عليه أن ينهل من نسيجها.

فالرقيّ البلاغي في القرآن يتضمن كل أنواع الدلالات في أيّ علم شرعي أو لغوي أو عقلي فهي زاخرة بكل المصطلحات، إذ لابد أن ندرك حقيقة مهمة أنّ هذه البلاغة ضرورة يتطلبها التطور اللغوي في كلّ المستويات الميادين، فهي تمثّل منظومة مفاهيم وتصورات تعدّ دعامة في وضع المصطلحات المتّصلة بالدلالة التي يعبّر عنها أيّ علم من العلوم. فالعلاقات الدلالية مثلا للمفردة القرآنية متميزة ومتّصلة أثرت الحقول المعرفية، فتحكّمت في مواضيعها مثلا في فقه اللغة ضبطت رقيّ المفردة دلاليا، فكلّ كلمة عشقت مكانها مراعاة للمواقف(كلّ لفظة من ألفاظ القرآن ن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، و لذلك لا نجد ترادفا،بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديد.) ([10]) فوجد العلماء الإنتاج غزيرا للحصول على المصطلحات المناسبة للتعبير عن مفاهيمهم و مقاصدهم، فلامسوا في البلاغة القرآنية المادة العلمية للتبويب و التصنيف يستعين بها المتعلم في إيجاد الكلمات والمعاني التي تنتاب ذهنه. فهي قادرة على الاستيعاب والحصر الكلي للمادة اللغوية إنّها وحدة متكاملة في البناء، إذ وجد فيها الأصوليون وسيلة للتعبير عن المقاصد، فتكاتفت جهودهم في وضع منهجية في توزيع أساليبها وتحديد أنواع العلاقات في الحقل الأصولي، فحولوها من استخدامها الشائع إلى استخدام شرعي .

فالرقيّ البلاغي يشكّل معجما يتطلب معرفة و ذوقا ذا مغاز و أبعاد لغوية و جمالية عميقة، تساعد على نمو الإنتاج العلمي وتبلغ بالعلماء مبلغ النضج في استخدامهم المنظم للغة، فتكون عنايتهم بالبحوث البلاغية سبيلا يستدلون عليه من واقع الحياة ووقائعها لاستنباط الأحكام، وهذا النضج مرتبط بتلاوة القرآن فعند قوله تعالى: (ثُمّ صُبّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) الدخان 48 .49 فكلمة(ذق) يبدو معناها التكريم والتعظيم لكنّ أسلوب التنغيم أظهر غرضها الحقيقي وهو التهكّم. فنبرة الصوت جعلت الكلمة أكثر التصاقا بالمعنى فأيّ انحراف في المفردة يؤدي إلى دلالة أخرى، فالتنغيم في (ذق) حمّلها شحنة حددت معناها التي أرادها الله من خطابه لأبي جهل وفيه إهانة واحتقار.

[10] شرف حنفي محمد، الإعجاز البياني و النظرية و التطبيق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ط1 1970، ص222

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

إنّ الصوت يرتفع عندها مع وقفة قصيرة، أمّا الجملة الثانية (إنّك أنت العزيز الكريم) فينخفض الصوت.ويحسن قراءة (ذق)قراءة خاصة متميّزة عن بقية أفعال الأمر لأنّ فيها انقطاعا بين الجملتين بينها وبين إنّك. كما أنّ الفعل مرتبط بالأكل لكنّه احتوى عنصر المفاجأة لما فيه من تهكّم.

فالغرض الأساسي لبلاغة القرآن هو خلق بيئة علمية يقع تحقيقها على عاتق المختصين بهندسة مؤلفات ذات صلة وثيقة بالإعجاز القرآني، و الحقيقة فإنّ جهودهم لا تقف عند هذا الحدّ بل تتعداه أعمق نحو استشراق آفاق مستقبل الدراسات اللغوية و الشرعية. فهي تتوفّر على مقومات تستمدّ منها دلالتها الصافية على مدار واسع وهو أنّ القرآن اكسبها الثبات والأصالة و بثّ فيه الروح (أفاض الله سبحانه و تعالد الكلماد هذا الفيض و نفخ فيها من روحه، كما نفخ في عصا موسى، لكنّه مع ذلك أبقى على تلك الكلمات طبيعتها التي يعرفها الناس منها ، كما أبقى على عصا موسى طبيعتها كذلك) ([11])

لقد توسّعت البلاغة نتيجة موضعها الحصين في صلب لغة القرآن، و جذبت العلماء تجنّد قدراتهم للزيادة في إنتاجهم العلمي. فهي ثمرة انبثقت من الإعجاز القرآني فعجلت بزوال التعسّف اللغوي للعرب، فكان الانتقال من لغة غير منتظمة إلى لغة أكثر ثباتا و أقلّ تعقيدا، فظهورها ليس مجرد الزيادة في عدد أساليب اللغة العربية إنّما إلى تغيير شامل وتشكيل جديد يعدّل من خواص المنظومة اللغوية. فإلى جانب علماء اللغة و الشريعة دخل مجالها علماء العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق... فأحضروا مهاراتهم العلمية التي تكونت لديهم عندما كانوا يعيشون تحت ضغط علوم الأعاجم الإغريق والفرس و الهند، فلم يلبث اقترابهم من رقيّ البلاغة القرآنية طويلا حتى تمخّض عنه زيادة هائلة من المعارف.

فأهميتها أنّها ترعرعت ونمت في كنف القرآن الكريم، و نشأت على أساس تخطيط رباني يبعث على الدهشة، وتشهد على عدم سبق الإنسان بالاشتغال في توظيفها. فهي لم تنشأ بصورة عفوية بعضها ميّت و بعضها حيّ إنما وضعت كوحدة أرقى و أرفع من غيرها، نلمس فيها السر الإلهي من خلال معالمها الجليلة التي تدل على ضرورة الاعتراف برقيّها وبيانها اللذين يدركهما متذوّق العربية، وهذه الخاصية للبلاغة القرآن تجري في آياته في تناسق كامل. لقد توالت الحقب حتى وقتنا هذا استنبط خلالها العلماء تنوّعا هائلا من أشكال التعبير، فانعكس اهتمامهم بها في مؤلفاتهم و تصانيفهم العلمية حتى شملت تفاصيل دقيقة عن استقلاليتها، فاعترفوا برقيّها و دورها في الأداء، فركّزوا على روعة تصميمها ودقّة فنيتها و طابع المرونة، إذ هي ضمن أنساق بديعة داخل أسوار السياق أخرجت الدلالة من قواقعها ووّسعت مقاصدها.

فرقيّ البلاغي في القرآن كان الباعث الأول لظهور الدلالة، هذا العلم يؤمّن للغة ترابطها ووظائفها الأساسية. فلم تعد النظرة إليها مجرد تخطيط لشبكة من المعاني، فقد أصبحت بفضلها الدلالة علما راقيا، و هادفا إلى تنسيق استعمال المفردة، و ترتيب وتحديد نوعية الدلالات لمختلف المقاصد من أجل توفير أعلى درجات الرقيّ، وتوجيه التطور الدلالي لفائدة النظام اللغوي فلما كان القرآن أشرف الكتب، فلا بد له بالضرورة أن يحيط بالمعاني و طرائق فهمها فزاد في روحها المتجدّدة بتنويع الاستعمال قال تعالى

[11] الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي مصر ط1 1964، 2/ 295

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) الحجر 72 فالمعنى يوحي إلى الضلال، فقد لخص نظرات الجاهلين اليائسة الجامعة بين الإنكار والجحود، فقوم لوط فقدوا لبّهم وأنكروا فضل نبيّهم من وعظ وإرشاد، فقد لخصت كلمة سكرتهم وقفة فاحصة ومحللة لمبلغ الاعتساف والانحراف الذي انتهى إليه المجرمون، فاحتكم القرآن إلي هذا القسم ليعجّل لفنائهم بالعقوبة، و أنّه لم يبق منهم أية باقية. ويعني هذا أنّ القرآن كان يرى في هذه القسم الذي ينبّئ عن فناء القوم، شمّ فيه رائحة الانتقام الرباني.

فضلا عن هذا جاء التعبير بدلالة أخرى قال تعالى (لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) الحجر 15 فالأسلوب يوحي إلى غرض يريد القرآن إظهاره ألا و هو السد و الحبس، ويبدو من فعالية المفردة سكّرت أنّه خيّل إليهم أنّهم ما رأوا شيئا، والعلة في ذلك منبثقة من طبيعة أنفسهم و هموم الذات، فقد رسمت بلاغة الأسلوب في مدلولها صورة للشخصية الجاحدة. ولنا أن نشير إلى رؤيتهم لا تشكّلها حالة نفسية، إنّما تشكّلها بواعث عقدية فاسدة، وهي الحالة التي تفجّر هاجس العناد والجحود. فالرقيّ البلاغي يقرّر عقدة دفينة و إحساس عنيف إلى اتّهام الرسول صلى الله عليه و سلم بأنّه ساحر أفقدهم رشدهم ووعيهم، لكنّ اللفظة تعكس بطانة الكفر والافتراء والضلال.

إنّ رقيّ الدلالة يعكس لنا قيمة البلاغة القرآنية التي فرضت وجودها، فقد خصّص القرآن بينها و بين أهل العلم سياجا روحيا لغرض المحافظة عليها. و ينقل لنا التاريخ بأنّ العلماء شيّدوا لها مؤلفات تعدّ قلاعا، إذ حددوا أهميتها ومقاصدها في كلّ الميادين العلمية. كما أنّ وجود الإعجاز القرآني زاد من هيبتها لتنفذ إلى أعماق الدلالة فتساعد على تهذيبها، وتمنع من تسرب أي دخيل يشوّه جمالها اللغوي.

فقد ميّز الرقيّ بلاغة القرآن بميزات جليلة تتمثّل بالشمولية و الواقعية و الثبات، و قد انعكست هذه المزايا على المستويات اللغوية بشكل واضح. و يمكن ملاحظة من خلال التطرق إلى علم الدلالة بشيء من التفضيل، فقد تطور ونما مع بدايات التأليف، وقد لعبت البلاغة القرآنية دورا حاسما في إعطائه طابعا مميّزا و سيادة مقدّسة يكفل لها خصوصيتها يمنع انتهاكها وتجاوزها. و تجدر الإشارة هنا أنّ علماء الشريعة و البلاغة تفرّدوا بإدراكهم لأهميتها لذلك برز فيهم أول المخططين لعم الدلالة كالشافعي 150ه من خلال كتابه الرسالة فقد بيّن الخاص من الألفاظ و العام، وبيّن وسائل تخصيص وتعميم الدلالة بالتركيز على القرائن العقلية و اللفظية(فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، و أنّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر ويستغني بأول هذا منه عن آخره) ([12])ومنهم الآمدي631ه الذي اهتم بالمسائل البيانية بغية استنباط الأحكام الشرعية من النصوص الدينية . لذا نجده يعالج موضوعات كثيرة في كتابه (الإحكام) و على رأسها الحقيقة والمجاز. فنظرة الآمدي إلى البيان كانت علمية مؤسسة على تعيين مدلول اللفظ المتوخى إيضاحه في التركيب ، وتظهر فطنته في إبراز الجوانب الدلالية في المواطن المختلفة من النص التي تتماشى مع تعاليم الشريعة.

[12] الشافعي(محمد بن إدريس)، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلمية 1339ه، ص52

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

و من البلاغيين الجاحظ160 الذي يماثل الشافعي في علم البلاغة التي بناها على البعد الجمالي، فقد عرّج على الصور اللفظية و غير اللفظية التي تلامس الفكر و تكشف عن الدلالات المتنوّعة. جسّد اهتمامه بالمسائل المرتبطة بعلم الدلالة في البيان و التبيين و الحيوان.

كما كان لعبد القاهر الجرجاني471هـ إسهام في خدمة البلاغة العربية، فقد عكف على دراسة أسرارها ،وعرف كيف يقترب من بلاغة القرآن بأسلوب علمي جمع فيه بين ثقافته الخاصة و ذكائه بغية التوفيق بين البيان و المعاني، فهو أشبه بعلماء الشريعة حتى أصبح مرجعا يعود إليه العلماء للاستشهاد بآرائه في التفسير.

لقد عني بخدمة القرآن، وانصبت دراسته على بلاغته و معانيه، وكان يرى لا سبيل إلى مبتغاه إلا بالوقوف على أسرار القرآن البيانية، و إدراك دقائقه، والإلمام بأساليب العربية ، وكان حاضرا بذهنه وفطنته، فلا يقبل على كتاب الله و كلام العرب إلا مبينا للمعاني وأضرب الكلام . فأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز القرآن كانا فسيحين للظواهر البلاغية المتنوعة، و غنيين بالمسائل اللغوية مضفيا عليها استقراءه متذوّقا جمال البلاغة وسموّها .

فقد اهتموا بصورة خاصة في إضفاء معالم الرقيّ عليها توخيّا لتسرب التميّع و الركاكة، وكنتيجة لذلك أخذت الأساليب الوضعية بالاضمحلال، وأصبحت غير مأمونة في تحقيق المقاصد نظرا لأنّ أهل لعلم أعلنوا تذمّرهم و تركوها خارج أسوار الاستعمال اللغوي، فسيطرت البلاغة القرآنية وعكست نفوذ و تأثير لغة القرآن على العقل، فكانت على درجة عالية من النظام و الرقيّ، فقد طهّرا القرآن الكريم أساليب كثيرة من سفه الجاهلية مثل، ثمّ ارتقى بها إلى دلالات سامية تتجلى في التميز بين الحق و الباطل، و المعجزة، و البرهان المؤيّد للحق، و كتاب الشريعة، وقد امتدّ شعاعها الهادي إلى دلالات أخرى حتى استقطبها السياق في أبعاده المتفاوتة. فإذا قراناه بالاستعمال العربي وجدنا الأثر البلاغي للقرآن الكريم بكلّ تشعباته يشكّل القاعدة التي ترسو عليها الدلالة قال تعالى (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) الحج 5

فالرقيّ البلاغي يتجلى في التعبير الذي يظهر كيفية الدفاع عن الحق، والنضال المستميت عن العقيدة من أجل إبطال دعوة الكفر (إنّهم زورا الباطل في صورة الحق وروّجوه بالسفسطة في صورة الحجة ليبطلوا حجج الحق و كفى بذلك تشنيعا لكفرهم فقد جعل القرآن هذه الأسلوب عارض بأمانة، ومقرب بصدق عناد الأقوام الغابرة بدءا بقوم نوح ومن تلاهم من الأحزاب كعاد وثمود، وإنّها لبالغة العمق في الدلالة فقد وثّقت لنا ما كان يساور نفوسهم من غلظة وكبر. فالرقيّ البلاغي كشف إهانة الله الجبابرة و أكّد هذه الإهانة بقوله (فأخذتهم فكيف كان عقاب) فبلاغة التعبير تشير إلى قضاء الله أنّه لا محلة نافذ، و أنّه هو الذي يتولى أمر الكفرة فيقابلهم بجزاء عملهم.

إنّ رقيّ بلاغة القرآن جلبا اهتمام البلاغيين الفائق بالناحية الجمالية، إذ غدت دراساتهم ترمز إلى ارتقائها التي أوعزوا بناءها إلى الإعجاز القرآني، وخاصة في الخطاب الإبلاغي من أبرز العلماء الذين تعمّقوا

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

في هذه المسألة الآمدي الذي يؤكّد على وجود ضوابط كلية موّحدة بين الوحدات التعبيرية يقول عن مفهوم الخطاب (والحق أنّ اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه، فاللفظ احتراز عما وقعت المواضعة عليه من الحركات و الإشارات المفهمة والمتواضع عليه احتراز عن الألفاظ المهملة)([13])

لقد أثّر الرقيّ البلاغي في كثير من اللغويين الذين جاءوا عبر الحقب المتعاقبة حتى أنّ كثيرا منهم كتب على نفس المنوال الذي اتّبعه القدامى كعبد الغفار التواب في التصور اللغوي عند الأصوليين. إضافة إلى هؤلاء كان هناك من المفكرين من منحتهم مؤهلاتهم العلمية الحرية في الإبداع كتمام حسان في كتابه البيان في روائع القرآن. فقد لاحظوا أهمية البلاغة القرآنية و الفرق بينها وبين غيرها، فلجمالها ورقيّها ميزات خاصة يشاهد منها دلالتها، واتّساع معانيها. فكان إنتاجهم العلمي في الحقل اللغوي ملائما للفترة الحاضرة و المستقبلية، ولهذا فإنّ العديد من الباحثين تعاملوا معها من منطلق تأصيلي، وهذا يعني أنّ دراستهم تمت من خلال منظور شمولي يأخذ بعين الاعتبار التعقيدات والتداخلات بين المدارس الحديثة الوضعية التي تداخلت فيها الفروع العلمية الرئيسة بجوانبها المتنوعة كعلم النفس وعلم الاجتماع.

فالقرآن الكريم ارتقى ببلاغته إلى مستوى عال لا تعسّف فيه، بل هو دال على قيمتها الدلالية، و دقّة استعمالها ، فكان له معجمه الخاص الذي تفرّد به، وقرّب به الناس إلى الدين و الواقع، ليمتثلوا إلى سبل الحقّ. ولا شكّ أنّ انتهاء العلماء إلى التفاعل معها من خلال إعجازه، ورعاية ضوابطه في التفسير التي لا ينبغي تخطّيها، ما رأيناه في مؤلفاتهم النفيسة على مقدار النفع، فنشطت البلاغة القرآنية، واتّسعت ميادينها من جراء تزايد أهل العلم إليها فاشتغلت أفكار الباحثين المشعّة تجمع بين المتعة الفنية والجمال من ناحية. فكتبوا كتبا أوضحوا فيها أصالتها وفضلها، و أظهروا جمالها ورقيّا على خط مستقيم، وأثبتوا أنها ليس مجرد حلقات لغوية بقدر ما هو إشعاع روحي وعلمي ينبّئ أهل التعسف من العرب سوف يخسرون جزءا كبير من لغتهم بين هذا الثراء الهائل من الأساليب القرآنية التي وضعت أسس النظام اللغوي.

المصادر و المراجع

1. الزرقاني (عبد العظيم)، مناهل العرفان، دار الكتب العلمي بيروت 2003 م 208/2

2. انفس المرجع،ص208

3. أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، ط2دار المكتبي دمشق سوريا،ط2 1419 ، ص30.29

4. الجرجاني ، ثلاث رسائل في الإعجاز(الرسالة الشافية)،ص107

[13] الآمدي(سيف الدين محمد بن علي) ، الإحكام في أصول الأحكام، ط1 تحقيق عبد الرزاق عفيفي(بيروت: المكتب الإسلامي ط1 95/1987،1

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

5 .ابن مجاهد(أبو بكر)، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعار مصر، ص9

6 الباقلاني(القاضي أبو بكر محمد بن الطيب)،إعجاز القرآن،تحقيق: أحمد صقر،ار المعارف القاهرة ط1 1963 ،ص184

7 . الرماني(علي بن عيسى)، النكت في إعجاز القرآن،ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد زغلولو محمد خلف الله،دار المعارف القاهرة ص88

8- محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الرسالة ط2 1402ه، ص65

9.. أبو عودة خليل، البيان القرآني مفهومه ووسائله، إسلامية المعرفة، العدد 56، الستة الرابعة عشر2009، ص 696

10.شرف حنفي محمد، الإعجاز البياني و النظرية و التطبيق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ط1 1970، ص222

11.الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي مصر ط1 1964، 2/ 295

12 . الشافعي(محمد بن إدريس)، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلمية 1339ه، ص52

13. الآمدي(سيف الدين محمد بن علي) ، الإحكام في أصول الأحكام، ط1 تحقيق عبد الرزاق عفيفي(بيروت: المكتب الإسلامي ط1 1، 95/1987

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

معوقات الحوار بين الإسلام والغرب وآليات تجاوزها

The obstacles to the Islamic and western exchange and the mechanisms to overcome it

رزيق رابح: طالب دكتوراه، جامعة محمد بن أحمد، وهران 2.
رزقي بن عومر، أستاذ محاضر (أ)، جامعة محمد بن أحمد، وهران 2.

تاريخ الإرسال: 2019/01/24	تاريخ القبول: 2019/05/22	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

منذ بدء اليقظة العربية مع منتصف القرن التاسع، شكلت ثنائية الإسلام والغرب إشكالية محورية في فضاء الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، على اعتبار أن مسألة النهضة العربية وتحقيق التقدم، كانت ولا تزال مرتبطة بشكل أو بآخر بعلاقاتنا مع الآخر، في هذا السياق يهدف بحثنا إلى محاولة تبان معوقات الحوار بين الإسلام والغرب، وعرض الآليات التي من خلالها يمكن تجاوز هذه المعوقات14.

الكلمات المفتاحية: الإسلام؛ الغرب؛ الحوار؛ العولمة؛ الإرهاب؛ التعايش؛

Summary :

Upon the Arabic intellectual awakening in the mid 19th century the Arabic western duality created a central conflict in the medium of Arabic Islamic modern intellect

Considering that the case of the Arabic rise and achievement of advancement was and is one way or another connected to our relationship with the other, thus in this context our research 's purpose is to demonstrate the obstacles to the exchange between the Islamic and western sides and the mechanisms with which we can overcome it.

Keywords : Islam; West; dialog; globalization; terrorism; coexistence ;

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يمثل الغرب بالنسبة للعرب والمسلمين تحديا حضاريا حقيقيا وواقعا مفروضا وملحاً بكل ملابساته الثقافية والسياسية والاقتصادية خصوصا في ظل المتغيرات التي شهدها العالم في الآونة الأخيرة.

وفي سياق هذا التحدي تبلورت عدة إشكاليات، أخذت طابع الثنائية في كثير من الأحيان، من قبيل الأصالة والمعاصرة، التراث والحداثة، الأنا والأخر، الإسلام والغرب...، وكان الفكر الإسلامي المعاصر مدعواً للنظر في هذه الإشكاليات والتعاطي معها بكل ما تحمله من اتساع معرفي وثقل دلالي، فظهرت العديد من الكتابات التي تتناول علاقة الإسلام بالغرب وأُقيمت الندوات والمؤتمرات للبحث في مقولات الحوار بين الأديان والتعايش السلمي بين الحضارات في مقابل أصوات أخرى تؤكد على حتمية صراع الحضارات والثقافات.

أولاً: الإسلام والغرب، محاولة لتحديد المصطلح:

من الضروري عند الحديث عن ثنائية الإسلام والغرب، أن نقف عند مفهوم ودلالة مصطلح "الإسلام" ومصطلح "الغرب"، فلهذين الاصطلاحين دلالات عديدة ناشئة من تعدد الزوايا التي ينظر منها الباحث إلى هذا الموضوع، أو الفلسفة التي يؤمن بها، وأن نحاول كذلك، أن نكشف عن ما يكتنفهما من غموض، يتشعب إلى السياسي والثقافي مرورا بالاجتماعي والإرث التاريخي والحضاري.

ولهذا فإنه من "خلال تناولنا لواقع العلاقة بين الإسلام والغرب، يجدر أن ننطلق من قضية مركزية تتمثل في كون الإسلام ليس وحدة متجانسة أو شيئا واحدا كما يتبادر إلى الأذهان عند الوهلة الأولى، بل هناك اليوم على مستوى الفهم والممارسة عدة أنواع من الإسلام، ويُقاس الأمر نفسه على الغرب، الذي يخضع لعملية انقسام حاد"[1].

وعليه فإن مصطلحي "الإسلام" و"الغرب" فضفاضان للغاية ويستوعبان مساحات شاسعة ومتنوعة من العالم ويضمان خليطا من الثقافات والعادات والمفاهيم، ورغم ذلك فإنه في لحظات المواجهة يتم اختزالهما بشكل يثير حفيظة الطرفين، "وإذا كان تعريف "الإسلام" صعبا فإن تعريف "الغرب" يبدو أصعب، ليس فقط للغربيين ولكن للمسلمين أيضا، ففي بعض الأحيان يعني "الغرب" بالنسبة للمسلمين كل العالم الصناعي بما في ذلك اليابان، وأحيانا يعني "الغرب" الدول الإستعمارية السابقة ـ وكلها أوربية ـ وفي حالات أخرى يُختصر مفهوم "الغرب" في الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها قوة غربية قيادية تملك الهيمنة السياسية والثقافية والإقتصادية على العالم الإسلامي، وحتى عندما

[1] عبد القادر بوعرفة، الإسلام والغرب: معوقات التحاور والتجاوز، (كتاب جماعي)، المسبار للدراسات والبحوث، ط1، 2010، ص180.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

نتعامل مع مفهوم الغرب على أنه الولايات المتحدة فإنه ليس هناك أمريكا واحدة"[1]، لذلك فإن الوقوف على مصطلحي الإسلام والغرب ليس بالأمر الهيّن وهو ما يتطلب قدرا كافيا من الالمام ومن الدقة في الطرح والتحليل.

ثانيا: الإسلام والغرب: رؤية من زاوية الانعكاس والصورة

1 – صورة الغرب عند العرب والمسلمين:

يعكس موقف المسلمين من الغرب صورة ملتبسة بحيث "يتخذ الخطاب الإسلامي في الغالب موقفا عدائيا من الغرب، ويمكن تبرير هذه العدائية انطلاقا من الممارسات الوحشية للغرب المستعمِر في البلاد الإسلامية المستعمَرة، ولذلك كان من الصعب أن يقرأ الغرب من زاوية معرفية أو حضارية"[2].

هذه العدائية تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، فمن أيام الحروب الصليبية وإلى اليوم لا يزال العداء قائما بين الإسلام والغرب لذلك "فإن المسؤولين السياسيين والدينيين في العالم العربي والإسلامي لا يزالون إلى اليوم يستشهدون بصلاح الدين وسقوط القدس واستعادتها... لذلك يبدو واضحا أن الشرق العربي والعالم الإسلامي لا يزال يرى في الغرب عدواً طبيعياً، وكل عمل عدائي ضده سواء أكان سياسياً أم عسكرياً أم بترولياً ليس سوى ثأرٍ شرعي ولا يمكن الشك في أن الصدع بين هذين العالمين يعود تاريخيا إلى الحروب الصليبية"[3].

ويبدو أن ما زاد من هذا الصدع والعدائية بين الإسلام والغرب في أيامنا هذه هو كشف الغرب عن وجهه الإستعماري البغيض، ليس فقط من خلال استغلاله للبلاد العربية والإسلامية عسكريا وإقتصاديا، ولكن أيضا من خلال الأزمة التي عاشها هو نفسه بداية من الحربين العالميتين اللتين راح ضحيتهما ملايين البشر في أوربا وحدها، وانتهاءً بالحرب الباردة والتوتر الذي عاشه الغرب وجعله يتنافس على انتاج مختلف الأسلحة المدمرة وتجريبها على بلدان العالم الإسلامي، وذلك ما تجلى من خلال حرب الكويت وحرب العراق وأفغانستان وليبيا وغيرها.

وبالرغم من كل ذلك فإننا لا ننفي وجود وجه مخالف للغرب نظر إليه العرب والمسلمون بكثير من الإعجاب خصوصا مع بداية اليقظة العربية في منتصف القرن التاسع عشر، وهو ما تجلى من خلال كثير من الكتابات بداية من رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده مرورا بطه حسين ووصولا إلى أدونيس وعلي حرب والعروي وغيرهم، الذين أكدوا على ما للغرب من بعد حضاري بما يمثله من علم وتقانة وفنون.

---

[1] حسني محمد نصر، مشكلات الجغرافيا السياسية بين الإسلام والغرب، مجلة إسلامية المعرفة، عدد9، لبنان، 1977، ص176.

[2] فارح مسرحي، الحداثة في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص164.

[3] أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، لبنان، ط1، 1997، ص328.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وأمام هاتين الرؤيتين المزدوجتين للغرب في عيون العرب والمسلمين، كان لا بد أن نجعل من الآخر الغربي موضوعا للتفكير والمعرفة، فمثلما فعل الغرب ذلك اتجاه العرب والمسلمين من خلال الإستشراق. علينا نحن كذلك أن نؤسس لفرع معرفي جديد مهمته جعل الآخر الغربي موضوعا للإكتشاف والتفكير، وهذا ما يدعو إليه حسن حنفي من خلال مفهوم "الاستغراب" الذي "يهدف إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر"[1]

2- صورة الإسلام والمسلمين عند الغرب:

مثلما يلتبس مفهوم الغرب بالنسبة للعرب والمسلمين، فإن مفهوم الإسلام يبدو أكثر التباسا عند الغربيين، أو أن ثمة نية مسبقة لجعل هذا المفهوم ملتبسا، وعليه فموقف الغرب من الإسلام والمسلمين ليس أقل عدائية من موقف المسلمين من الغرب باعتبار أن الإسلام بالنسبة للغرب يمثل "العدو الأخطر على الإطلاق لأوروبا وقد اصطلح عليه بالعدو الأخضر، مثلما قالوا عن الشيوعية العدو الأحمر، وتتجلى تلك الدعوة المقصودة في خطابات الكثير من الغربيين، فمن الدعوة إلى هدم الكعبة ونسفها نسفا مطلقا، إلى وصف الإسلام بأنه دين شيطاني على لسان القس البروتستانتي المعروف فرانكلين غرام، ثم إلى افتراءات بيرلسكوني الذي يعتقد أن حضارة الغرب تعتبر أرقى من الحضارة الإسلامية"[2].

وكما أن المسألة التاريخية تشكل عاملا مهما في نظرة المسلمين إلى الغرب فهي بالنسبة إلى الغرب في نظرته تجاه الإسلام والمسلمين تعد أيضا عاملا مهما، فالغرب ما يزال يتذكر الحروب الصليبية ومعارك المسلمين ضده في حطين وعين جالوت وحصار الأتراك لفيينا وغير ذلك، وبالتالي فإن "تصورات الغرب العدائية تجاه الإسلام لها جذور تبلغ من العمر ألف عام"[3]. وبالرغم من أن مستويات العداء الغربي تجاه الإسلام والمسلمين كانت متباينة تاريخيا فإن ما نشهد اليوم يوحي بأن الأزمة قد بلغت مستويات خطيرة، خصوصا في ظل ما أتاحته التكنولوجيا الحديثة من أدوات للنشر والدعاية الإعلامية، ليصبح الرأي العام في الغرب مرتبطا بما تصنعه أدوات الثقافة العامة هناك التي يروج لها الإعلام الغربي "فصورة الإسلام هي واحدة ثابتة لا تتغير من أي زاوية نظرت اليها ومهما تكن المادة التي تعرضها، يستوي في ذلك الكتب المدرسية المقررة في مادة التاريخ والأشرطة الهزلية والمسلسلات التلفزيونية والأفلام الكوميدية والروايات الحديثة... ونجد إضافة إلى ذلك أن الهامش المتاح للتعاطف مع الإسلام هو هامش ضيق جداً، والمجال يضيق بالحديث أو حتى مجرد التفكير المتعاطف مع الإسلام ناهيك عن محاولة عرضه، أو عرض أي شأن اسلامي عرضا متعاطفا"[4].

---

[1] حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر، مصر، د ط، 1991، ص29.

[2] عبد القادر بوعرفة، مرجع سابق، ص186.

[3] دراسات ألمانية، صورة الإسلام في التراث الغربي، ترجمة: ثابت عيد، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، د ط، 1999، ص54.

[4] ادوارد سعيد وبرنارد لويس، الإسلام الأصولي، دار الجيل، لبنان، ط1، 1994، ص37.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وبالرغم من كل ذلك فإننا لا ننفي وجود رؤية غربية إيجابية للإسلام والمسلمين وقد تجلت تلك الرؤية خصوصا في عصر التنوير الأوروبي وعصر الرومنسية "فمع الروح المتسامحة لعصر التنوير بداية من القرن السابع عشر من ناحية، وروح عصر الرومنسية (1760 ـ 1830) المتميزة بالحماسة والهيام من ناحية أخرى، وكذلك مع حركة الإستشراق التي كانت تتطور ببطء، بدا وكأن الغربيين قد تجاوزوا تصوراتهم العدائية تجاه الإسلام والمسلمين، وحتى الدين الإسلامي أصبح يُنظر اليه الآن أحيانا نظرة ايجابية"[1]، وهو ما تجلى مع كتابات بعض الغربيين أمثال ليبنتز وليسينغ وجوته وغيرهم.

من خلال عرض صورة عامة عن موقف المسلمين والعرب من الغرب من جهة، وموقف الغرب من الإسلام والمسلمين من جهة ثانية يتضح أن ثمة صورة عدائية يحملها الطرفان تجاه بعضهما البعض، وهو ما يؤكد غياب الثقة بينهما "وقد اظهرت ذلك كتابات بعض المفكرين الغربيين المعاصرين امثال فوكوياما وهنتنجتون وبرنارد لويس وغيرهم"[2]، وهو ما يعني وجود قطبين حضاريين متنافسين تنافسا شديدا متمثلان في الإسلام والغرب.

ثالثا: معوقات الحوار بين الإسلام والغرب

قبل أن نتطرق إلى طرح أبرز المعوقات التي تقف في وجه الحوار بين الإسلام والغرب لا بأس أن نؤكد ابتداءً على امكانية قيام حوار برغم كل تلك المعوقات من جهة، ومن جهة أخرى نؤكد على حقيقة موضوعية لا يمكن القفز عليها وهي أن اشكالية الإسلام والغرب تعد من أعقد الاشكاليات التي تواجه الفكر العربي والإسلامي المعاصر من جهة والفكر الغربي من جهة أخرى، نظراً للمضامين المعقدة والمتشابكة التي تحيل إليها هذه الإشكالية وترتبط بها، بما في ذلك المضامين التاريخية والسياسية والثقافية والدينية والإعلامية.

1- المعوقات التاريخية:

سبق وأشرنا إشارة سريعة إلى بعض هذه المعوقات ونحن نتحدث عن نظرة المسلمين والغربيين إلى بعضهما البعض، وقلنا إن الحمولة التاريخية بين الطرفين ثقيلة، "فبعد انتقال المسيحية إلى الغرب ومجيئ الإسلام صار الصراع صراعاً دينيا وإن غلب عليه العنصر السياسي أو الاقتصادي في بعض الأحيان، لقد بدأ الإسلام يتسع شرقا وغربا بسرعة مذهلة وصار يهدد الروم في عقر ديارهم، وبعد أن فتح المسلمون الأندلس وصقلية وصارت لهم أساطيل بحرية قوية تهدد الروم في حدوده الجنوبية أعدت أوربا المسيحية عدتها ووضعت الخطط الدفاعية على المدى القريب والهجومية على المدى البعيد فكانت

[1] دراسات ألمانية، مرجع سابق، ص56.

[2] عطا محمد حسن زهرة، تكامل الحضارات بين الاشكاليات والامكانيات، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2014، ص79.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحروب الصليبية"[1] (490 ـ 670هـ)، وفي الوقت الذي استفادت أوربا من حملاتها الصليبية ضد الشرق اقتصاديا وثقافيا، أفضى الحال بالعرب والمسلمين إلى عصور طويلة من الانحطاط والظلامية انغلقوا فيها على أنفسهم واقتصر نشاطهم الفكري على اجترار التراث.

بعد أن فتح المسلمون القسطنطينية سنة 1453م، الموافق لـ 856هـ، زحف الأتراك باتجاه فيينا وقاموا بحصارها سنة 1529م الموافق لـ 935هـ، ليعود التوتر من جديد بين الإسلام والغرب، وكان فتح النمسا وجعلها ولاية عثمانية أعظم دليل على قوة المسلمين ممثلة في الدولة العثمانية، لكن بالرغم من ذلك لم يكن التوتر شديدا مثلما كان خلال الحروب الصليبية أو مثلما هو قائم الآن.

مع نهاية القرن الثامن عشر بدأ الغزو الغربي لبلاد الإسلام والمسلمين فيما يعرف بالإستعمار الحديث الذي تزعمته الدول الأوربية على وجه الخصوص، وكانت البداية من حملة نابليون على مصر سنة 1798م، ثم احتلال الجزائر سنة 1830م، وتوالت الحملات الإستعمارية خصوصا بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة العثمانية، وخلال هذه الفترة أعرب الغرب الإستعماري عن وجه بغيض، فقد "ساد الاعتقاد بأن الجنس الأبيض (الغربي) جنس متفوق بعنصره على الأجناس الأخرى وأنه من حقه بل من واجبه أن يحكم تلك الشعوب ويقودها إلى طريق الحضارة!"[2]، وانتهى الإستعمار الغربي للبلاد الإسلامية في العصر الحديث إلى أزمة حقيقية حين ساهم مساهمة فعالة في إنشاء كيان صهيوني في قلب العالم الإسلامي، وهذا ما عمق من ثقل الحمولة التاريخية القائمة على الصراع بين الإسلام والغرب.

بالرغم من كل ذلك ثمة مسألة ينبغي الإشارة إليها في هذا المقام وهي أن تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب لم يكن كله تاريخ صراع واحتراب، فقد سادت بعض فترات التاريخ حالة من الاستقرار وذلك ما يمكن تلمحه في الفترة الواقعة بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهي فترة عرفت في الغرب بشيوع روح التسامح خلال عصر الأنوار، وكأن ذلك يوحي بأن دفع روح التوتر أو إخماده كان دائما بيد الغرب.

2- المعوقات السياسية والإعلامية:

أ- النظام الدولي الجديد:

مع نهاية حقبة الثمانينيات وسقوط الإتحاد السوفياتي الشيوعي، الذي كان يمثل التهديد الأكبر بالنسبة للغرب خلال الحرب الباردة، دخل العالم مرحلة جديدة تزعمه فيها الغرب ممثلا في الولايات المتحدة الأمريكية "التي بدت وكأنها قوة عظمى لا تدانيها من حيث إمكانياتها الإقتصادية والعسكرية

[1] شلتاغ عبود، مرجع سابق، ص37.

[2] ـ جعفر شيخ ادريس، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث اسلامي، مركز البيان للدراسات والبحوث، السعودية، ط1، 2011، ص65.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والتقنية والإعلامية قوة اخرى، وبدأت تظهر تبعا لذلك معالم نظام عالمي جديد، ما تزال تفاصيله محل نقاش كبير في الولايات المتحدة الأمريكية"[1]، ذلك النظام الجديد الذي بشرت به الولايات المتحدة الأمريكية وهي تقصف بقواتها وترسانتها العسكرية بلدا عربيا وإسلاميا اسمه العراق، وبعد انتهاء حرب الخليج تلك أعلن الرئيس الأمريكي "جورج بوش" بأسلوب رومنسي عن الشعارات الجديدة التي يتأسس عليها هذا النظام العالمي الجديد من قبيل العدالة والانصاف والحرية واحترام حقوق الإنسان!، وهذه المقولات كان من شأنها لو طُبقت واعتمدت أن تجعل العالم أفضل قليلا.

لكن بالموازاة مع هذه الشعارات بدا وكأن العالم يسير إلى مزيد من التوتر والصدام فمقدمات وملامح النظام الجديد كانت توحي أن صراعا من نوع آخر سيفرض نفسه على كل الأطراف دون استثناء، ولعل أدوات الصراع الرئيسة تمثلت أول الأمر بجملة مفاهيم ومصطلحات جديدة منها "نهاية التاريخ" و"الأصولية" والتطرف" و"العولمة" وغيرها.

كان موضوع هذه النعوت دول العالم الإسلامي، فقد كانت هي الأخرى تحت هذا الضغط الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية من خلال النظام العالمي الجديد، وكانت البداية من حرب الخليج 1990م، التي أعطت فيها الولايات المتحدة الأمريكية نفسها حق الوكالة على الكويت لتحريرها من بطش "صدام حسين" كما كان الإدعاء الأمريكي آنذاك، لتتوالي الأحداث بحرب أفغانستان 2001م، مرورا بالعراق 2003م، ووصولا إلى أحداث ما سمي بالربيع العربي وما تلاه، وكان أن أبانت هذه الأوضاع السياسية والإقتصادية عن غطرسة غربية ليس لها مثيل.

ب- محاربة الإرهاب وتشويه صورة الإسلام في الإعلام الغربي:

كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م، منعرجا خطيرا في علاقة الإسلام والمسلمين بالغرب، فمنذ تلك اللحظة "تصدر مصطلحا "الإرهاب" و"التطرف" قائمة أولويات مختلف دول العالم، ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية إذ أصبحت المسألة الأمنية بالنسبة اليها المحك الرئيس والأساس في علاقتها بباقي دول العالم، وبخاصة دول منطقة الشرق الأوسط وتجلى ذلك في خوضها حرب أفغانستان 2001م، ثم حرب العراق 2003م، والنهج العدواني تجاه إيران"[2]، وفي الحقيقة فإن مصطلح الإرهاب ظل إلى اليوم بعد 2001م، محل جدل كبير، ولم يُتفق دوليا على إعطاء تعريف واضح للإرهاب، وبدا أن وصف ظاهرة الإرهاب أسهل من تعريفها.

ويبدو أن أكثر العوامل التي أدت إلى انتشار وطرح ظاهرة الإرهاب هو الإعلام، خصوصا في الغرب الذي يحاول جاهدا تصوير علاقة موضوعية بين الإسلام والإرهاب "وأضحت أي عملية تخريبية مقرونة بالعرب والمسلمين بغض النظر عن الوجهة الجغرافية التي حدث بها التخريب وقام بها العنف، واستطاع

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص48.

[2] سامر ابو رمان، الصراع العربي الاسرائيلي في استطلاعات الرأي الأمريكية، المركز العربي للأبحاث، لبنان، ط1، 2013، ص139.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الإعلام الغربي أن يُبعد النظر والتركيز والأضواء عن التخريب الصادر عن الأمم الأخرى غير الإسلامية، لاسيما الأمم المنحدرة عن الأصول الأوروبية كما يحصل في الأمريكيتين وكما يحصل من اليهود في فلسطين المحتلة"[1]، بل إن الإعلام الغربي استطاع ان يبعد النظر عن أعمال عنف حدثت في عقر داره، خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية التي يشكل العنف في مجتمعها ظاهرة حية، ما يعني في النهاية أن العنف والإرهاب ليس مقرونا بالمسلمين وحدهم، ثم إن ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية من انتهاك لحقوق الشعوب الأخرى واستعمال القوة العسكرية ضدهم يمثل كذلك صورة واضحة عن معنى الإرهاب المنظم الذي تقوده مؤسسات ودول.

يبدو أن ما يتم ترويجه في الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين يختزل الكثير من الجوانب الحضارية التي يتمتع بها الإسلام، فيكتفي هؤلاء بتغطية جوانب محددة ولذلك فإننا "لا نبالغ بالقول إن العرب والمسلمين تتم تغطيتهم الإعلامية أساسا بوصفهم موردي بترول أو إرهابيين محتملين، أما تفاصيل الحياة العربية الإسلامية والكثافة الشعورية الإنسانية وزخمها النابض فلا يوجد وعي حقيقي بها"[2]

3- معوقات ثقافية ومعرفية:

شهد العالم في العقود الأخيرة تحولات عميقة وصاحبها تحولات ثقافية ومعرفية، وانبثقت نتيجة لذلك العديد من المفاهيم التي تعبر عن هذه المستجدات، وكان العنوان الثقافي الأبرز هو "العولمة" التي حظيت في الفكر العربي والإسلامي المعاصر باهتمام بالغ من قبل النخب الثقافية باعتبار أنها تشير إلى عملية تحول تاريخي واسع وشامل لكل المجتمعات، بما فيها المسلمة التي تحاول الوقوف في وجه هذا التحول الذي ينطوي على الكثير من السلبيات "وهذا أمر طبيعي باعتبار أن الأديان التقليدية بما فيها المسيحية في الغرب تؤكد على معاني الهدوء والاتزان ولا تشجع كثيرا على التغيير بينما ثقافة العولمة وما بعد الحداثة ثقافة مؤسسة على الشباب والتغير والسلوك الاستهلاكي"[3]

أمام هذا الواقع الجديد يمكن فهم ردود الفعل الرافضة للعولمة من قبل المجتمعات الإسلامية التي ترى في العولمة تهديدا للثوابت الثقافية التي حملوها لآلاف السنين.

إضافة إلى هذه المستجدات الثقافية الراهنة، شكل موضوع الإستشراق بما يحمله من مضامين ثقافية وإيديولوجية عائقا آخر في طريق الحوار بين الإسلام والغرب "فمنذ نهاية القرن الثامن عشر على أقل تقدير سيطر على ردود الفعل الغربية نحو الإسلام نوع من التفكير المختزل والبسيط في جوهره، وهذا النوع من التفكير لا نزال إلى يومنا هذا نملك القدرة على تسميته بالإستشراق"[4]، الذي وإن كان قد مر

---

[1] علي بن ابراهيم النملة، الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر، لبنان، ط3، 2010، ص ص59، 60.

[2] ادوارد سعيد وبرنارد لويس، مرجع سابق، ص58.

[3] محمد حسام الدين، العولمة وصورة الإسلام، المدينة بيرس، مصر، ط1، 2002، ص233.

[4] ادوارد سعيد وبرنارد لويس، مرجع سابق، ص34.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بأطوار مختلفة منذ نشأته إلا أن الصبغة العامة التي ميزته في نظر المسلمين هو أنه عدو ثقافي عمل على خدمة مطامح الإستعمار الغربي، وهو إلى الآن لا يزال يقدم خدماته للإمبريالية العالمية.

في هذا السياق لا يمكن أن ننسى الإشارة إلى ما للإستشراق من صلة بينه وبين التنصير باعتبار أنهما يلتقيان في الأهداف والغايات وإن اختلفت الوسائل، وهو ما يفتح الباب للحديث عن المعوقات الدينية والعقدية بين الإسلام والمسيحية على وجه التحديد، فالغرب ينظر إلى الإسلام على أنه دين دموي وأن عقيدته تدفع إلى الجهاد وقتال الكفار، وأنه يقسم العالم إلى دار حرب ودار سلام ومن ثمة فإن حدود الإسلام هي حدود دموية وفي ذلك يقول صامويل هنتنغتون: "إن هنالك محاجة أن الإسلام كان دينا للسيف منذ البداية وأنه يمجد فضائله القتالية، فالإسلام نشأ بين قبائل بدوية رحل متناحرة وهذه النشأة العنيفة مطبوعة في أساس الإسلام، فيذكر عن "محمد" أنه كان مقاتلا عنيفا وقائدا عسكريا ماهرا، ولا أحد يستطيع أن يقول ذلك عن "المسيح" أو عن "بوذا""[1].

ونحن نتحدث عن العوائق الثقافية التي تقف في طريق الحوار بين الإسلام والغرب لا يمكننا إغفال أهمية مقولتي "صدام الحضارات" و"نهاية التاريخ" في تعميق الأزمة القائمة بين الإسلام والغرب، وهما مقولتان معبرتان عن النظام الدولي الجديد فالتبشير بنهاية التاريخ الذي هو عنوان كتاب المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما يحمل في طياته نزعة عدوانية تجاه كل ما هو غير غربي إذ يرى فوكاياما من خلال كتابه هذا "أن الولايات المتحدة الأمريكية مدعوة إلى استبدال البندقية من الكتف اليسرى إلى الكتف اليمنى وأن تظل على أهبة الاستعداد من موقع قيادتها للعالم لمواجهة الصراعات الحضارية المحتملة، وحجة فوكوياما في ذلك أنه إذا كانت الليبرالية بقيادة أمريكا قد تخلصت من عدوها التقليدي ممثلا في الشيوعية فإن الخطر كل الخطر في أن تخلد أمريكا وحلفاؤها إلى نوع من الإسترخاء الذي يولد الفراغ ومن ثم فإن هذا الفراغ ينبغي ملؤه ببديل للعدو الشيوعي الزائل إذا ما أريد للتاريخ أن يظل مملوءا وفعالا فالتاريخ كالطبيعة يموت بالفراغ"[2].

في الحقيقة أن فوكويا قد استلهم في مقولته هذه كثيرا من أفكار "هيغل" حول طبيعة التاريخ وقوانينه، التي يحكمها الصراع والصراع المضاد، الذي يظل قائما ولا ينتهي إلى عقد اجتماعي وتوافق حضاري مثلما تذهب إليه نظرية جون لوك.

وبالنسبة لمقولة "صدام الحضارات" يبدو أن لها، هي الأخرى، وقعا سيئا على العلاقة بين الإسلام والغرب، فهنتنغتون يحاول من خلال مقالته هذه أن يؤكد على فكرة الصراع كطبيعة حتمية قائمة ما بين الحضارات، فالصراع في العالم الجديد بحسبه لن يكون إيديولوجيا أو إقتصاديا ولكنه سيكون صراعا ثقافيا بين الحضارات، ولتأكيد مقولته هذه حاول هنتنغتون أن يقدم تسلسلا لمراحل الصراع بين

[1] صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات، ترجمة: طلعت الشايب، طبعة سطور، العراق، ط2، 1999، ص ص 426 – 427.

[2] عبد الرزاق قسوم، مجلة دراسات فلسفية، الجزائر، عدد1، 1996، ص31.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحضارات منذ القديم وإلى اليوم، واعتبر ان ما يهم الناس مع حلول النظام العالمي الجديد "ليس الايديولوجيا أو المصالح الإقتصادية، بل الايمان والأسرة والدم والعقيدة فذلك هو ما يجتمع عليه الناس، وما يحاربون من أجله، ويموتون في سبيله، كما يعلن أن الدين محوري في العالم الحديث، وربما كان القوة المركزية التي تحرك البشر وتحشدهم"[1]، وقد علق محمد عابد الجابري عن مقالة صدام الحضارات هذه قائلا: "إنها من أردء ما قرأت لكاتب بهذا الاسم فالأفكار تتكرر وتتدافع والشواهد تتداخل في غير نظام والتحليل مضطرب والإستدلال متهافت والأمثلة تعج بالمغالطات، كل ذلك يدل على أن المبدأ الذي يحكم النص هو المبدأ المعروف "الغاية تبرر الوسيلة" ومن الوسائل التي يستعملها الكاتب وبحقد كما يبدو ذلك واضحا للقارئ المتمعن اللجوء إلى التعميم واصطناع الغموض والقفز من قضية إلى اخرى ومن مثال إلى اخر بمناسبة وبغير مناسبة، وذلك هو أسلوب المغالطة كما هو معروف في المنطق"[2].

4- معوقات أخرى:

إلى جانب كل هذا هنالك معوقات اخرى تقف في طريق الحوار بين الإسلام والغرب ويمكن ان نذكر منها على سبيل الاختصار[3]:

أ- معوقات دينية وعقدية: وهي جملة من الإختلافات الدينية والعقدية بين الإسلام والمسيحية من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة أخرى، ومن أمثلة ذلك أن الإسلام يشدد على مسألة التوحيد ونبذ الشرك في حين أن قسما كبيرا من المسيحيين يجعلون لله شركاء في صورة المسيح عليه السلام وأمه مريم العذراء، وأن الإسلام لا يفرق بين أحد من أنبياء الله ورسله ويعتبرهم مسلمين لله، في حين يعيب كثير من المسيحيين على الأنبياء الذين جاؤوا قبل المسيح ويعتبرونهم لصوصا، كما نسب ذلك انجيل يوحنا للمسيح حين قال: "قال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم إني أنا باب الخراف، جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم، أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص... أنا هو الراعي الصالح"[4].

ب- الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا): وهي قضية باتت من القضايا المحورية التي تشغل الرأي العام والدوائر الرسمية في أوربا والغرب عموما وألقت بظلالها على الإسلام والمسلمين باعتبار أن ثمة تُهمة كبيرة باتت توجه اليوم إلى الإسلام بوصفه دين إرهاب وقتل وسفك دماء، وفي ظل هذا تغيب الثقة بين الإسلام والغرب ويصبح من الصعب التواصل بين هذين الثقافتين والحضارتين.

رابعا: في أهمية الحوار وجدواه

---

[1] صامويل هنتنغتون، مرجع سابق، ص10.

[2] محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط2، 2003، ص93.

[23] الاختلاف حول المسائل التالية: المرأة وحقوق الانسان، الديمقراطية، الحرية والعقلانية، الحداثة، الروحانية والمادية، التقدم والتخلف، الاستغلال الاقتصادي والشركات المتعددة الجنسيات...

[4] أنظر: أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، د ط، 1992، ص55.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يبدو أن المسلمين والغربيين مدعوون اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تفعيل آليات الحوار بينهما، نظرا لمعطيات الراهن التي تعج بمظاهر التشاحن والعداء، ونظرا لأننا "نجد أن اللغة السائدة اليوم هي لغة التصارع والتضاد. وفي أحيان كثيرة هي لغة الرشاش! ومعلوم أنه حين يتكلم الرشاش يخرس الفكر"[1] ولذلك ينبغي اللجوء إلى الحوار، وطالما أننا فشلنا من خلال سياسة العنف والعنف المضاد بين الطرفين فنحن بحاجة إلى حل بديل يتمثل في الحوار الجاد.

من هنا فإن ما يعزز هذا الخيار من جهة الغرب هو أنه بات مطلوبا في قطاع من أوساط الرأي العام هناك، ففي مقابل ما يُعرف باليمين المتطرف هناك صوت الحوار الذي يمثل قطاعا لا بأس به، باعتبار أن الغرب بات "يخاف من تنامي الموجة القتالية التي برزت. ليس فقط في تنظيمات القاعدة. وإنما قد يصل هذا الخيار إلى عدد من الخلايا النائمة في الفكر الأصولي الإسلامي[2]، ويعتقد الأوربيون أن هذه الفوبيا من الإسلام التدميري يمكن الخلاص منها بحوار الحضارات والأديان والثقافات الذي يوجد مناخا سليما بين الشعوب والأمم والثقافات"[3]

ومن الطرف الإسلامي فإن ما يعزز ضرورة الحوار مع الغرب هو أن "شعوب العالم الإسلامي ضعيفة عسكريا واقتصاديا ولا قبل لها بمواجهة القدرات الغربية، لذلك عليها أن تستبدل علاقات المواجهة بعلاقات الحوار"[4]، ومع ضعفها ذاك، فهي تمتلك إمكانا قويا يفتقده الغرب متمثلا في قوة الروح المعنوية التي ينطوي عليها دينهم.

خامسا: آليات الحوار بين الإسلام والغرب

ثمة حقيقة موضوعية لا يمكن القفز عليها ابتداءً وهي أن إمكانية الحوار في المدى المنظور تبدو صعبة إلى درجة كبيرة جداً، ولكن مع ذلك فإن الإمكانية تظل قائمة وفي سبيلها نسمع كثيرا من الأصوات الداعية إلى إقامة حوار بين الإسلام والغرب من هنا وهناك، مع أنه في كثير من الأحيان تبدو أطروحة حوار الأديان أو حوار الحضارات والثقافات أطروحة تلفيقية وتحمل كثيرا من النفاق، ثم إن كثيرا من الإجتماعات التي تعقد لحوار الأديان والحضارات والثقافات يحضرها غالبا رجال الدين والمهتمين بالأديان، وهؤلاء أمام صناع القرارات السياسية لا حول لهم ولا قوة، وبالتالي فإن توصياتهم في النهاية تظل حبرا على ورق.

مع كل هذه الصعوبات وغيرها فإن التاريخ يعلمنا أن التعايش السلمي بين الأديان والثقافات والحضارات يظل يحتفظ بهامش من الإمكانية، وخير دليل ما كان قائما في حاضرة الأندلس الإسلامية

---

[1] فارح مسرحي، مرجع سابق، ص162.

[2] لاحظ المشاكل التي يجدها الغربيون . خصوصا في فرنسا وبلجيكا . مع مواطنين غربيين مسلمين، ولدوا وتربوا هناك في مدارس غربية.

[3] عبد الأمير كاظم زاهد، حوار الأديان والثقافات اشكالية الجدوى، مجلة المنهاج، عدد69، العراق، 2013، ص54.

[4] المرجع السابق نفسه، ص54.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وغيرها من الحواضر التي شهدت تعايشا بين الأديان التوحيدية الثلاثة وغيرها من الملل والنحل، ثم إنه طالما أننا فشلنا من خلال سياسة العنف والعنف المضاد بين الطرفين فنحن بحاجة إلى حل آخر يتمثل في الحوار الجاد.

بناءً على هذا يمكن أن نجمل آليات الحوار المتاحة بين الإسلام والغرب في عالم اليوم فيما يلي:

1- هناك الكثير من الدعوات التي تنبعث من هنا وهناك داعية إلى حوار الحضارات والثقافات والأديان، وبعيدا عن ما يشوب بعض هذه الدعوات من نفاق وتلفيق، لا شك أن ثمة نوايا صادقة تبغي الحوار والتعايش السلمي، وهذا ما يمكن تلمسه من خلال أصوات الشرفاء الإنسانيين من هنا وهناك التي تخرج في كل مرة معبرة عن استنكارها ورفضها للصراع القائم بين الإسلام والغرب، وهذا ما من شأنه أن يفتح إمكانية الحوار والتعايش السلمي، فما دامت هنالك أصوات ترى الحل في الحوار بدل لغة الحروب، فإن هذه الأصوات نفسها تعتبر آلية للتجاوز وتحقيق الحوار، من خلال أشكال وأساليب كثيرة كالمؤلفات والردود والمؤتمرات والمراكز العلمية والدينية التي تقوم هنا وهناك، ولذلك فإنه من المهم تعزيز هذه الجهود والوقوف معها.

2- علينا أن ندرك حقيقة الإشكالية القائمة اليوم بين الإسلام والغرب بعيدا عن الرؤى الإختزالية والحلول التبسيطية، على اعتبار أن مفهومي الإسلام والغرب يحيلان إلى مضامين ثقافية وحضارية معقدة قائمة على التنوع والتعدد، فالإسلام ليس وحدة متجانسة أو شيئا واحدا . كما سبق وأشرنا . بل هناك اليوم على مستوى الفهم والممارسة عدة أنواع من الإسلام والأمر نفسه يتعلق بالغرب، لذا فإنه على الطرفين أن يدركا هذه الحقيقة حتى يصلا إلى فهم متعمق لسلوك المسلمين والغربيين تجاه بعضهما البعض بعيدا عن صخب الخطابات السياسية والايديولوجية التي يتبناها الطرفان.

3- التخلص من سيطرة الإرث التاريخي لدى الطرفين وإعادة تفكيك وكتابة التاريخ كتابة موضوعية بالإعتماد على مناهج علوم الإنسان والمجتمع الحديثة والمعاصرة وهذا تماما ما يدعو اليه محمد أركون في كتابه "الإسلام، أوربا، الغرب" الذي يصر على ضرورة اعادة كتابة التاريخ من خلال مفهومي الزحزحة والتجاوز "بمعنى ينبغي علينا أن نزحزح أولا ثم نتجاوز ثانيا كل الأجهزة المفهومية والمقولات القطعية والتحديدات الراسخة الموروثة عن الماضي، سواء أكان هذا الماضي ينتمي إلى جهة التراث الإسلامي، أم إلى جهة التراث الأوربي . الغربي، فهذه الرواسب والتصورات الماضوية شائعة جدا لدى كلا الطرفين وتشكل أحكاما مسبقة تمنعنا من رؤية الأمور بوضوح، أي من تشكيل نظرة تاريخية حقيقية، كما وتمنع من أي لقاء حقيقي بين الطرفين"[1].

4- إعادة الاعتبار للإسلام الثقافي بدل التركيز على ما يُسمى بالإسلام السياسي، الذي يبدو أنه يُعطي صورة سيئة في نظر الغرب الذي لا يستسيغ فكرة إقامة دولة إسلامية، لذلك من الضروري النظر إلى حركات الإسلام السياسي بأكثر موضوعية بعيدا عن الخطابات الإيديولوجية والسياسية المغرضة، وفي

[1] محمد أركون، الإسلام أوربا الغرب، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط2، 2001، ص9.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الوقت نفسه على حركات الإسلام السياسي في العالم العربي والإسلامي أن تكون أكثر وعيا ونضجا بمسائل حقوق الانسان والحريات وما إلى ذلك، فهي نقطة الضعف التي كثيرا ما يركز عليها الغرب لضرب مصداقية هذه الحركات.

5- الاطلاع على افكار الآخر وفلسفاته والاعتراف بها في اطار التنوع الثقافي والحضاري بدل النظر إلى ذلك بوصفه تضاداً بين الهويات والثقافات أو صراعا بين المركز والأطراف، وفي ذلك فإن الفعاليات الثقافية العربية والإسلامية مدعوةٌ إلى الإنفتاح على الآخر الغربي وفلسفاته من خلال الترجمة والإحتكاك الثقافي الذي كان في وقت من الأوقات أساسا لانطلاق الحضارة الإسلامية من خلال ترجمة العلوم والآداب والفلسفات اليونانية والرومانية، وعليه فإن الغرب "يجب أن يُصبح مرة أخرى "غربيا" لا "عالميا" ويجب أن ندرك محليته وخصوصيته الحضارية والجغرافية، وأن ننفتح عليه بطريقة نقدية ابداعية تماما مثل انفتاحنا على الحضارات الأخرى، وهذا لا يمكن أن يتم إلا باستعادة المنظور العالمي والتاريخي المقارن بحيث يصبح التشكيل الحضاري الغربي تشكيلا حضاريا واحدا له خصوصيته وتاريخه ويتسم بما يتسم به من سلبيات وإيجابيات تماما كما أن لكل التشكيلات الأخرى خصوصياتها وسماتها وتاريخها"[1]، وبالموازاة مع هذا فإن الغرب مدعو هو الآخر إلى نفس هذه المهمة بالإنفتاح على الحضارات الأخرى وتقبل الإختلاف والتعدد الثقافي والحضاري، وذلك من خلال إعادة بناء الدراسات الإستشراقية وفق منظور معرفي بدل المنظور الإيديولوجي والسياسي القائم اليوم.

6- تحديد المصالح المشتركة والصعوبات والعوائق المشتركة بين المسلمين والغربيين "فهناك العديد من القضايا الدولية الراهنة التي يتفق الجميع على الإهتمام بها أو على مقاومتها خصوصا في الجانبين الأمني والقيمي"[2]، ويكون ذلك من خلال تعزيز دور المؤسسات الدولية السياسية والإقتصادية والثقافية تحت مظلة واحدة وإشراك الدول بدون استثناء في الشرق والغرب وإعادة الإعتبار والمصداقية لهيئة الأمم المتحدة وفروعها، بدل أن تسيطر عليها دول بعينها وتستغلها لأغراضها الضيقة.

7- توظيف الحوار الديني إلى جانب الحوار السياسي باعتبار ما للدين "من أثر لا يمكن تجاهله في حياة الناس أفراداً وجماعات ولما له من أثر كبير وفعال في بناء الوعي الذاتي لدى المجتمعات البشرية قديما وحديثا، فتأثيراته لا تقل عن تأثيرات الإيديولوجيات الحديثة مثل: الإنسانية والعلمانية والوطنية والقومية والشيوعية وما إلى ذلك، كما أن الدين في حقيقته مقوم أساسي من مقومات الحضارات الإنسانية، باعتبار أنه هو الوحيد الذي يوفر لها ويمدها بالقيم والمثل التي بها تحقق وجوها وصيرورتها وقوتها وشرعيتها وديمومتها في التاريخ"[3] واستنادا إلى هذا الدور المحوري للأديان فإن استثمارها في إقامة الحوار بين الشعوب في الشرق والغرب يعد حاجة ملحة في عالم اليوم.

---

[1] عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، دار الهلال، مصر، د ط، 2001، ص254.

[2] فارح مسرحي، مرجع سابق، ص 179.

[3] أنيس مالك طه، حورا الأديان بين بناء جسور التفاهم وحفظ الهُوية، ملجة التجديد، العدد 27، ماليزيا، 2010، ص136.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الواقع العربي وشروط إقامة مجتمع المعرفة

Arab reality and the condition of knowledge society

أ/ يموتن علجية *

تاريخ الإرسال: 2019/02/18	تاريخ القبول: 2019/06/17	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

تعالج هذه الدراسة إشكالية مهمة في العالم العربي اليوم وهي إشكالية بناء مجتمع المعرفة . وسنحاول الوقوف عند الجهود المبذولة من قبل المفكرين العرب المعاصرين والتي تستهدف تشخيص الواقع العربي المتأزم،. ووضع الحلول لمعالجة مشكلاته ومواجهة تحدياته، خاصة تلك التحديات التي تواجه التحول العربي نحو مجتمع المعرفة، .أي كيفية ابتكار المعرفة وإنتاجها ونشرها وتوظيفها بمهارة وكفاءة دقيقة في جميع المجالات كالاقتصاد والاجتماع والسياسة وحياة الأفراد بصفة عامة

الكلمات المفتاحية: المعرفة؛ مجتمع المعرفة ؛ الأزمة ؛التخلف ؛ التقدم.

Summary :

This study treats a very important problematic in Arab world today, which is the building a knowledge society. We will try to detect the efforts of Arab thinkers who aim to develop solutions to get out of underdevelopment and enter the knowledge society.

Is to created knowledge and be consistence in its production and use with skill. And efficiency of minutes in all community activity such as economics. Politics and sociology and the lives of individuals in general.

Keywords :. the knowledge. the knowledge society .the progress. the underdevelopment . the crisis

* يموتن علجية .أستاذ محاضر أ.جامعة وهران 2. الفكر العربي الحديث والمعاصر yamoutenm@gmail.com

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة

يعاني الفكر العربي المعاصر أزمة حالت دون تحقيق النهوض الحضاري، ودخولنا عالم التقدم، والخروج من دائرة التخلف . ومنذ مطلع عصر النهضة في منتصف القرن التاسع عشر وحتى دخولنا القرن الحادي وعشرين - عصر التحول نحو مجتمع المعرفة- بذل المفكرين العرب جهودا كبيرة في الكشف عن أسباب تخلفنا الحضاري، والبحث عن السبل لتجاوز التخلف وولوج عالم التقدم والحضارة ، فكان سؤال النهضة الكبير ، السؤال الذي عبر عنه شكيب أرسلان : لماذا تخلفنا وتقدم غيرنا ؟

وسنحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف عند الجهود المبذولة من قبل المفكرين العرب والتي تستهدف تشخيص الواقع العربي المتأزم، ووضع الحلول لمعالجة مشكلاته ومواجهة تحدياته، خاصة تلك التحديات التي تواجه التحول العربي نحو مجتمع المعرفة، وتشييد مجتمع المعرفة العربي الحديث، مجتمع يقوم على إنتاج المعرفة ونشرها ، ومن ثم توظيفها للإفادة منها في مجالات الحياة كافة

1. من المعرفة إلى مجتمع المعرفة

تحمل مفردة المعرفة في التراث اللغوي والثقافي العربيين عدة أوجه وتحيل إلى أكثر من دلالة،" فالمعرفة هي نقيض الجهل ، حيث يطلق اسم العارف على من يتيقن عملا يقوم به ، وعندما تبلورت اختصاصات معرفية عديدة في الفكر الإسلامي في العصور الوسطى أصبح العارف محصل المعرفة وحاملها يشير إلى المختص في دقائق المعلومات في مجال معرفي بعينه" [1]

ومع تطور الفكر العربي ونتيجة تفاعله مع الفكر الغربي أصبحت مفردة المعرفة تحيل إلى "الإنتاج العقلي والفلسفي والبحث في مختلف العلوم والنظريات "[2]

وفي الآونة الأخيرة كثر الحديث في سائل الإعلام المختلفة وفي تقارير منظمات العالمية خاصة منها المتعلقة بالتنمية البشرية؛ عن " مجتمع المعرفة " والذي يقصد به حسب ما جاء في تقرير اليونسكو "المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة و إنتاجها و توظيفها بكفاءة في جميع المجالات: النشاط المجتمعي، الاقتصاد و المجتمع المدني و السياسة والحياة الخاصة، وصولا إلى ترقي الحالة الإنسانية باطراد أي إقامة التنمية الإنسانية "[3]

[1] تقرير المعرفة العربي 2009،شركة دار الغرير الإمارات العربية المتحدة ، ص 26

[2] المرجع نفسه ص 27

[3] برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، 2003 ، ص 39،40

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وقد ظهر مفهوم مجتمع المعرفة لأول مرة في منتصف عقد الستينات من القرن الماضي، وقدم العديد أبرز هذه الجهود النظرية التي قدمها الباحث نيكوستر، وهي نظرية خاصة بالسمات العامة لمجتمع المعرفة وتركز على الوظائف و الأدوار المعرفية على أساس أن المعرفة تمثل منتجا جديدا يمكن أن يحل محل رأس المال حيث أنها تعبر عن عناصر الإنتاج غير التقليدية[1]

تعد المعرفة في مجتمع المعرفة المحرك الأول للتنمية ومصدرا القوة للدول المتفوقة في إنتاجها.ومجالا للتنافس الدولي ومن ثمة فإن امتلاك ناصيتها يؤهل أصحابها لبسط نفوذهم وقوتهم وسيطرتهم السياسية والاجتماعية والثقافية على غيرهم .ورغم التطور الملحوظ في بناء مجتمع المعرفة عالميا، إلا أن مجتمعاتنا العربية مازالت تواجه تحديات جمة، تقلل من فرص الإسهام في بناء مجتمع المعرفة .وتنعكس هذه التحديات على مؤسسات توليد وإنتاج المعرفة العلمية القابلة للتطبيق، الأمر الذي يقلل من فاعلية أدائها في تنشيط دورة المعرفة، ومن ثم ضعف قدرتها على الإسهام في إنجاز أهداف خطط التنمية الوطنية[2]

إن مجتمعاتنا وبسبب التخلف الموروث عن عهود الاستعمار، وعجز المشاريع الفكرية منذ القرن التاسع عشر إلى يومنا في تحقيق النهوض المنشود والخروج من دائرة التخلف، بالإضافة إلى قلة الاستثمار العلمي في البحث وربطه بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية؛لم تتمكن بعد من دخول مجتمع المعرفة

2 أزمة الفكر والواقع العربي وتحديات التحول العربي نحو مجتمع المعرفة:

إذا أردنا تعقب بدايات خطاب الأزمة في الفكر العربي فيمكن أن نعد كتاب قسطنطين رزيق(معنى النكبة) الذي أعقب هزيمة العرب عام 1948 أول كتاب التفت إلى ضرورة تشخيص الهزيمة، والبحث عن أسبابها الاجتماعية والسياسية والحضارية .ومنذ ذلك الحين والعرب يتحدثون عن الأزمة، وهو ما يعكس حالة التَّردي التي تعيشها المجتمعات العربية، والشعور بالإحباط المهيمن على الوعي العربي .ومنذ ندوة الكويت عام 1984 كان عنوانها(أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي) والمثقف العربي يعالج الأزمة، ويحاول صياغة الحلول للخروج منها. لقد ساد الحديث عن الأزمة منذ التسعينيات من القرن الماضي بصورة لا سابق لها، حتى بات مصطلح الأزمة من المفردات الأكثر تكرارًا في الأدبيات الفكرية العربية وفي وسائل الإعلام، فهناك أزمة سكانية، أزمة غذاء، أزمة في الواقع العربي، أزمة في الثقافة العربية، أزمة في الهوية، أزمة في الديمقراطية ... وهو ما يعكس الحالة النفسية الصعبة التي يمر بها الواقع العربي، حيث تسيطر مشاعر اليأس والإخفاق على المثقف وعلى الجمهور على السواء.

[1] منصور الخثلان مجتمع المعرفة(مفهومة، خصائصه، أبعادة، و متطلبات بنائه)www.faculty.psau.edu.sa يوم 2019/01/21

[2] لطفي كمال عزاز .آفاق وإمكانات استخدام نظم المعلومات والنشر الإلكتروني ضمن كتاب "مجتمع المعرفة :التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضراً ومستقبلاً ،منشورات جامعة السلطان قابوس ، مسقط ،2007،المجلد الثاني ص 230

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وفي واقع الأمر، إن الأزمة التي يمر بها العالم العربي أزمة شاملة، لا تمس الفكر فقط بل لها جذور في الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فإشكالية التخلف الفكري لا تنفصل عن إشكالية تخلف البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

نتيجة الوضع المتأزم الذي أضحت تحيى في ظله المجتمعات العربية برزت في الفكر العربي المعاصر ثلاث مقاربات، ركزت المقاربة الأولى على نقد المجتمع، وركزت المقاربة الثانية على نقد الدولة، بينما ركزت المقاربة الثالثة على نقد الفكر.

أولاً :على مستوى المجتمع

حاول العديد من الباحثين العرب مقاربة الأزمة التي يمر بها العالم العربي من خلال تحليل ونقد المجتمع العربي، وإبراز بنيته الاجتماعية والاقتصادية، ومنهم هشام شرابي الذي يصف بنية المجتمع العربي بالبنية الأبوية، حيث يخضع الفرد إلى السلطة والإرادة الواحدة، والتي تجد نموذجها البنيوي وأصلها التاريخي في سلطة الأب داخل العائلة، ويري شرابي أن هذا المجتمع الأبوي وإن لم يكن تقليديًا بكل معنى الكلمة، فإنه لم يتوصل إلى تحقيق الحداثة بمعناها الأصلي، بل هي حداثة مزيفة لا تمس من البنية الأبوية إلا مظاهرها الخارجية، فالمجتمع العربي مجتمع متضارب تحكمه التناقضات على صعيد الفكر والممارسة، فهو مثلا حين يحلم بالوحدة يمارس التشرذم، وحين ينادي بحقوق الإنسان يمارس القمع والإكراه[1]

وإلى الرأي نفسه يذهب حليم بركات في تحليله للمجتمع العربي، حيث يرى أنه يتصف تقليديًا بالأبوية والنزوع إلى الاستبداد على مختلف المستويات : على مستوى أنظمة الحكم، ومؤسسات التَّربية،والعمل، ... ويرى أنه يقوم على بنية إنتاجية تجارية، زراعية مع ظهور نظام ريعي في بعض البلدان المنتجة للنفط، وأنه يعاني رسوخ بنية طبقية هرمية، حيث تحتكر فيها القلة السلطة وثروات البلاد على حساب الطبقة الوسطى والقاعدة التي تشكل فيها الأغلبية، كما يتصف بالتقليدية الاجتماعية حيث تتعدد الانتماءات والعصبيات القبلية والطائفية والعرقية والجهوية .ورغم هذا التعدد فإن المجتمع العربي يميل إلى التكامل في بنيته الثقافية [2]

ويجمع الباحثون في تحليلهم للمجتمع العربي على تبعيته للرأسمالية العالمية، وذلك راجع إلى تبعية البرجوازية المهيمنة في المجتمع العربي، ويحدد لنا برقاوي هذه البرجوازية وهي على رأس السلطة الوليدة

[1] هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1990 ، ص93

[2] حليم بركات ،المجتمع العربي في القرن العشرين مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، بيروت،2000،(انظر الفصل الأول : مقدمة لدراسة المجتمع العربي.)

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بعد الاستقلال،حيث سعت إلى خلق دولة على غرار النمط الأوروبي، فاستعارت النموذج الغربي في كل شيء، استعارت النظام السياسي الديمقراطي لتطبيقه في مجتمع لم يخض أي صراع من أجلها[1]

ونمت هذه البرجوازية المزعومة،وأصبحت تشير إلى شرائح متنوعة في المجتمع العربي، تختلف في طرق ثرائها وعلاقاتها بالإنتاج، ففي الجزائر وبعد سيطرة الدولة على العملية الاقتصادية نشأت فئات اجتماعية استغلت وضعها الوظيفي، عن طريق الرشاوى وكومسيونات من الشركات الأجنبية المصدرة، وفي مصر تكونت طبقة ثرية من خليط معقد من قيادة الجهاز الإداري والعسكري، والبرجوازية الطفيلية الهامشية، والبرجوازية الوطنية، والبرجوازية العقارية، أما الدول النفطية فقد نشأت البرجوازية فيها ثمرة لريع النفط[2].

إن التبعية الاقتصادية وفشل دول العالم العربي في بناء اقتصاد مستقل، بعد حصولها على الاستقلال لأن الخطط التي رسمتها " لم تكن ذات توجهات تنموية حقيقية، بل كانت تجميع لبرامج متباينة، ركزت على النواحي الصناعية، واعتماد مبدأي الربح والخسارة أساسين لفلسفة الاقتصاد العربي .تلك الفلسفة التي تجلت بالديون الثقيلة، فقد زادت معدلات الديون منذ نهاية السبعينات وحتى الآن حيث وصل حجم الديون الخارجية العربية حوالي 155.67 بليون دولار عام 1994، وصل إلى 188 مليار دولار عام 2003 مقارنة ب 72.7 بليون دولار عام 1984 ، ولقد بلغ خدمة الديون في بعض الدول العربية نسبا مرتفعة مما حدا بهذه الدول إلى محاولة جدولة ديونها مما يعكس الاضطراب الواضح في مدفوعات الدول العربية الخارجية.[3]

ويشير آخرون إلى ضعف العلاقات الاقتصادية العربية :فقد وصلت من الضعف إلى الحد الذي يلغي أن يكون مشروعاً أو حتى التفكير به في المستقبل بين الدول العربية من خلال المدخل الاقتصادي .فكل تلك المشاريع القائمة باهتة لا تنطلق من المشروع التوحيدي، بل من آفاق قطرية أو جغرافية أو اقتصادية ضيقة، كما أن مجمل الدعوات التي تنصب على إقامة المشاريع الاقتصادية الكبرى في العالم العربية – أسوة بأوربا - لم تلق آذاناً صاغية، لا من النظام السياسي العربي ، ولا من الجامعة العربية، ولا من رجال الاقتصاد والمال العرب بصفة خاصة، الأمر الذي أضعف القدرة العربية على المواجهة، وغيابها على

[1] أحمد برقاوي العرب بين الأيديولوجيا والتاريخ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1، دمشق ، 1995، 15

[2] أحمد برقاوي :الثقافة العربية المعاصرة :الهوية والاختلاف(مقال ضمن كتاب المسألة الثقافية في العالم العربي الإسلامي)، دار الفكر، ط1،1998، 105، 107

[3] اسماعيل بوقنور، التخلف السياسي في الدول العربية المعايير الدولية والمقاربات الإقليمية، مجلة دفاتر السياسة والقانون العدد التاسع / جوان ،الجزائر 2013 ص 27

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المسرح الإقليمي، والدولي، لغياب أبسط صور الوحدة العربية، وهي السوق العربية المشتركة، التي لم تر النور إلى اللحظة، بوصفها أبسط صيغ القرار العربي في حل مشكلاتها المتواصلة[1].

وفي إطار تشريح البنية المجتمعية العربية، فقد أشار تقرير التنمية الإنسانية 2003 ، إلى أن الثروة النفطية في بعض البلدان العربية ذات تأثير سلبي على منظومة القيم، والحوافز الاجتماعية، التي كان يمكن أن تؤازر، وتسند الإبداع واكتساب ونشر المعرفة .فخلال الفترة الماضية من انتشار القيم السلبية، أضعفت مقومات الإبداع، وأفرغت المعرفة من مضمونها التنموي والإنساني .فقد ضاعت القيمة الاجتماعية للعالم والمتعلم والمثقف .وباتت القيمة الاجتماعية العليا للثراء والمال بغض النظر عن الوسائل المؤدية إليهما .وحلت الرغبة في الامتلاك والملكية محل المعرفة والعلم .كما فقدت المرحلة الراهنة قيمة نمط الوجود الذي يتميز بالاستقلالية، والحرية، وحضور العقل النقدي، والنشاط الايجابي الفاعل، الذي يسهم في اكتساب المعرفة ونشرها وإنتاجها أيضا.وعلى جانب آخر فقد ساهم القمع والتهميش، إلى حد ما في قتل الرغبة في العمل نلاحظ سيادة الشعور باللامبالاة، والاكتئاب السياسي والاجتماعي .ومن ثم ابتعاد المواطنين عن المشاركة والمساهمة في إحداث التغيير المنشود في المجتمع العربي[2].

ثانيًا :على مستوى الدولة:

يتفق العديد من الباحثين على تحميل الدولة مسؤولية الأزمة التي تواجهها المجتمعات العربية، بعد عجزها عن تحقيق المطالب التي وعدت بها من ديمقراطية وتنمية وحرية .ويعمل البعض على إبراز الطبع التسلطي للدولة العربية ودوره في الأزمة، ومنهم خلدون حسن النقيب وبرهان غليون. وفيما يخص خلدون حسن النقيب فإنه يركز على مرحلة استيلاء العسكر عن طريق الانقلابات على الحكم، والقضاء على التجربة الليبرالية، والتي كان من نتائجها احتكار الدولة للسلطة ومصادر القوة في المجتمع،وتفريغ القضايا الحيوية ومعضلات التنمية من محتواها السياسي .فمنذ النصف الأول من الستينيات نجح الإرهاب المنظم للدولة ومأسسة العنف في إبعاد المعارضة، وقصر المساهمة في السياسة على المؤيدين والموالين،من التكنوقراط والمنتفعينُ بالسلطة، وبهذا قضت الدولة بوعي أو بدون وعي على الأسس المادية لمؤسسات

[1] عبد الله محمد الفلاحي مشهد الفكر الفلسفي العربي المعاصر بين جدلية النهضة والحداثة ومتغير مجتمع المعرفة وتحدياته الراهنة ضمن كتاب "مجتمع المعرفة :التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضراً ومستقبلاً ،منشورات جامعة السلطان قابوس ، مسقط ،2007،المجلد الثاني ، ص 9

[2] تقرير التنمية الإنسانية، 2003

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المجتمع المدني(الأحزاب السياسية، النقابات المهنية، وسائل الإعلام) وأتاحت المجال لعودة التنظيمات المختلفة(ما قبل الرأسمالية)كالقبلية والطائفية والإقليمية للظهور كتنظيمات بديلة.[1]

أما برهان غليون ومن خلال مفهوم الدولة التحديثية بوصفها دولة المركزية الشديدة والسلطة المطلقة والبيروقراطية، فيحاول إثبات أن الأزمة التي تعيشها المجتمعات العربية اليوم تكاد تتَّركز كليًا على إشكالية الدولة.فالدولة التحديثية وبهدف استدراك التأخر التاريخي وتحقيق الاندماج في الحضارة والتاريخ عملت على استيعاب عناصر الحداثة، ولكنها قادت باسم التقدم والعقلانية والحرية والوطنية إلى عكس أهدافها، فهي لم تتَّردد في تجاوز مفاهيم الحداثة إذا اقتضت مصالحها ذلك، وهذا ما يسميه برهان غليون ما تحت الحداثة أو حثالة الحداثة.

ويرى برهان غليون أن الدولة التحديثية الوطنية، سقطت ضحية تصورها للدولة التحديثية ذاتها .فهذه الدولة التي فرضت نفسها على المجتمع في سبيل دفعه نحو الاندماج في الحضارة والتاريخ، عملت على استبعاد هذا المجتمع كلياً، فأزمة الدولة التحديثية كما يرى برهان غليون ليست في الاستبداد والقمع بقدر ما هي في القطيعة بين المجتمع والدولة .فالأزمة السياسية والاجتماعية التي نعيشها اليوم هي نتيجة هذا الشرخ الاجتماعي بين المجتمع والدولة،حيث لم تعد هذه الأخيرة تعبر عن المجتمع، بل أصبحت تشكل مجتمعا نقيضًا قائمًا بذاته، له منطقه ومصالحه وأهدافه [2].

ويتفق الباحثين على أن غياب الديموقراطية في العالم العربي أدى إلى إضعاف مؤسسات المجتمع المدني، والعكس صحيح ذلك أن وجود ديمقراطية شرطا أساسيا لنمو المجتمع المدني، كما أن المجتمع المدني يعد ركيزة أساسية لوجود الديمقراطية، المجتمع المدني، ويشخص سمير أمين حال الديمقراطية في الوطن العربي حين يرى الحكومات العربية وقد اعترفت بالحقوق السياسية للمواطنين، ولكنه ظل اعترافا شكليا لم يعمل به، فالأحزاب والنقابات والجمعيات واتحادات الطلبة وغيرها كلها موجودة في الوطن العربي وتقودها في العادة نخب ثقافية عربية، فالدولة العربية وسعت كثيرا من نفوذها وقوتها مما جعلها دولة مركزية وشمولية ،ووضعت العراقيل المتعددة أمام قدرة المجتمع المدني وفعاليته من خلال القيود القانونية والإدارية التي تكبله بها[3]

إن الحريات بأشكالها المختلفة تعد أبرز سمة من سمات البيئات المحفزة للمعرفة. لمنظمات المجتمع المدني ومؤسساته دوراً كبيراً لا ينكر في الإسهام في التمهيد و تيسير الطريق نحو المجتمع المعرفي .

[1] انظر خلدون حسن النقيب : الدولة التسلطية في المشرق العربي(دراسة بنائية مقارنة)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت،1999

[2] انظر برهان غليون المحنة العربية، الدولة ضد الأمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت. 1993

[3] إسماعيل بوقنور، المرجع نفسه ،ص26

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ثالثًا : على مستوى الفكر والعلم والثقافة :

إن أزمة العالم العربي لا تكمن كليًا في النظام السياسي، أو في بنية المجتمع العربي، بل لها جذور في نظام الفكر وطرق التفكير ومنظومات القيم، فأزمة البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لا تنفصل عن أزمة الفكر، ذلك أن الفكر يتشكل في إطار جدلي مع الواقع المعيش، فالفكر من حيث كونه إنتاجًا ثقافيًا هو انعكاس للواقع .ومن الذين اهتموا بالبحث في أزمة الفكر العربي فؤاد زكريا، الذي يرى أن أفضل الوسائل لفهم الأزمة هو البحث في تلك الصلة الفريدة بين الماضي والحاضر في الثقافة العربية، حيث يرى أن نظرتنا اللاتاريخية للماضي هي المسؤولية عن التخلف الفكري الذي يعاني منه العالم العربي، وعن ذلك التخبط والاضطراب الثقافي الذي يظهر أوضح ما يكون في الطرق التي تعالج بها مشكلة موقفنا من التراث، ودوره في حياتنا الحاضرة، أو مشكلة الأصالة والمعاصرة

كما يشيع تسميتها، فهذه النظرة لا تضع الماضي في سياقه الفعلي بوصفه مرحلة تلاشت في المراحل اللاحقة وتم تجاوزها بالتدريج حتى وصلنا إلى الحاضر، بل تنظر إليه بوصفه قوة مستقلة عن الحاضر منافسة له.ويحاول فؤاد زكريا إثبات أن الطريقة التي طرحت بها مشكلة التَّراث سواء أكان من جانب أنصاره أممن جانب خصومه غير سليمة، فخصومه يتهمونه بأنه حافل بالعناصر اللاعقلية وبالاستبداد، وأن هذه العناصر هي المسؤولية عن تخلفنا، بينما يرى أنصاره أن سبب تخلفنا هو عدم التزامنا بتَّراثنا، وكلاهما في نظر فؤاد زكريا مغتَّرب، من ينكر التَّراث مغتَّرب مكانيًا فهو رافض للتَّراث، مرتبط إلى حد مفرط بثقافة معاصرة تنتمي إلى مجتمع غريب عن لمجتمعه، ومن يتمسك بالتراث مغتَّرب زمانيًا، يتعلق بعصر تفصله عن أجيالاً عديدة .[1]

إن طرق تفكيرنا التي ما زالت تقليدية ساهمت في انحسار الإبداع في العالم العربي، فالأداء الإبداعي العربي يظل نقطة الضعف الأبرز في المشهد المعرفي العربي الراهن. بالإضافة إلى تدني نسبة ما تنفقه الدول العربية على البحث العلمي " فإن تدني نسبة ما تنفقه الدول العربية على البحث والتطوير يؤثر سلباً على الأداء الإبداعي العربي كماً وكيفاً، حيث لا يتعدى معدل الإنفاق على البحث العلمي في معظم الدول العربية 0.3% من الناتج المحلي الإجمالي، ويعتمد في مجمله على التمويل الحكومي الذي يصل إلى 97%. أما الدول المتقدمة فهي تنفق حوالي 2.5% من إجمالي ناتجها المحلي للبحث والتطوير مع الإشارة إلى أن 80% يأتي من القطاع الخاص. ويبين التقرير كذلك أن معدل نصيب المواطن العربي لا يتجاوز مبلغ 10 دولارات

[1] انظر فؤاد، زكريا، التخلف الفكري وأبعاده الحضارية(مقال ضمن كتاب أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي، وقائع ندوة الكويت مابين 7و12نيسان 1974) دار السياسة، ط1، الكويت،1975

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

في السنة من مجمل ما ينفق على البحث العلمي مقارنة بحصة المواطن في ماليزيا والتي تبلغ 33 دولاراً، وفي وفنلندا والتي تبلغ 1304 دولاراً"[1]

بالإضافة إلى استفحال الفساد الإداري داخل الحقل العلمي العربي، بأوجه متعددة، انطلاقاً من السرقات العلمية للحقوق الفكرية، وصولاً إلى المحاباة في البعثات العلمية، ومروراً بالتضخم البيروقراطي، المتوغل في مؤسسات المعرفة والتعليم في العالم العربي

ويواجه العرب في مطلع القرن الواحد والعشرين،قرن التطور المذهل لمجتمع المعرفة نتيجة الطفرات الحاصلة في تكنولوجيا المعلومات،تحديات عديدة منها انتشار الأمية في المجتمعات العربية ذات الكثافة السكانية المرتفعة .حيث يقدر عدد الأميين في الدول العربية مجتمعة بنحو 60 مليون نسمة و تمثل النساء الأميات ثلثي هذا العدد، مما لاشك فيه أن التعليم اليوم يعد من الوسائل المساعدة على ارتفاع الإنتاجية و الزيادة في مردودية العمل،فكلما تطورت المعارف و الأدوات المعرفية، انعكس ذلك على درجة الإنتاجية، فبالرغم من أن التعليم في الوطن العربي استطاع خلال العقود الماضية تحقيق إنجازات إنسانية كبيرة لا يستهان بها،إلا أنه لا يزال متدنيا من حيث النوعية و الكيف و أدنى مستوى مما تم إنجازه في العديد من الدول التي بدأت نموها بعد كل البلدان العربية[2]

3. شروط تحقيق مجتمع المعرفة في العالم العربي

بناءً على ما تقدم، تبدو الحالة العربية بعيدة عن خصائص مجتمع المعرفة ، فبين مجتمع المعرفة المنشود والواقع العربي الراهن فرق شاسع،وان الوصول إليه يتطلب جهود مضنية وتخطيطا دقيقا وذلك يتضمن :

- وضع سياسات ثقافية واستراتيجيات علمية وطنية، تسعى إلى تنويع وإغناء الأبحاث عبر الجامعات ومراكز الدراسات، والعمل على إدخال العلم إلى الحياة العامة، كثقافة للرأي العام من خلال تقليص الهوة بين النخب والمواطن، بهدف تحسين الوعي والسلوك الاجتماعي .وإطلاق حريات الرأي والتعبير والتنظيم والانفتاح على بالثقافات الإنسانية الأخرى من خلال تشجيع و تحفيز جهود الترجمة ، و تحترم قدرات التفكير والإبداع والبحث .
- تحفيز الفكر السياسي والنظم السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية العربية على تبني ثقافة الوحدة العربية في ممارستها النظرية والعملية(فكراً وسلوكاً)وتعزيز ودعم مقومات الوحدة العربية من خلال المشاريع العربية المشتركة في المجالات المجتمعية المختلفة، بوصفها وسيلة أمتنا

[1] تقرير المعرفة العربي 2009،شركة دار الغرير الإمارات العربية المتحدة

[2] 2- التقرير الاقتصادي العربي الموحد 2002 ،صندوق النقد العربي،أبو ظبي،الإمارات العربية المتحدة.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

للدخول في مجتمع المعرفة المعاصر، ودعم موقف أمتنا وتعزيز دورها الفاعل في ظل التكتلات الدولية التي يشهدها العالم اليوم

- طرح أنماط جديدة من التعليم مثل التعليم عن بعد، التعليم عبر الإنترنت، التعليم بالانتساب والانتقال من النموذج التقليدي للتعليم القائم على التركيز في التعليم والدراسة خلال مدة محددة من الزمن ومقتصر على فئة عمرية معينة إلى نموذج معاصر قائم على التعليم والتدريب المستمرين للجميع ولمدى الحياة .بحيث تسهم في تنفيذه إلى جانب المؤسسات التعليمية الرسمية، المؤسسات والشركات التجارية ومراكز التدريب. وتوطين العلم في جميع النشاطات المجتمعية ووضع أهداف طموحة لسياسته و بما يسهم في قيام ذلك وتقوية ودعم التماسك والتجانس في المجتمع بحيث يؤهل أفراد المجتمع للقيام بالمهام الصعبة التي سوف تستخدم فيها المعرفة .
- تغيير اقتصادي ومؤسساتي بالانتقال من الاقتصاد الريعي إلى اقتصاد المعرفة يمثّل اقتصاد المعرفة، الذي ينظر إلى المعرفة بوصفها محرك العملية الإنتاجية، والسلعة الرئيسية فيها، فهي تلعب دورا رئيسيا في خلق الثروة غير المعتمدة على رأس المال التقليدي، ولا على المواد الخام، أو العمال، إنما تعتمد كليا على رأس المال الفكري، ومقدار المعلومات المتوفرة لدى جهة ما(شركة، أو دولة ..الخ)، وكيفية تحويل هذه المعلومات إلى معرفة، ثم كيفية توظيف المعرفة للإفادة منها بما يخدم البعد الإنتاجي
- نهضة ثقافية وفكرية: يعمل من خلالها المثقفون العرب في الفضاء يساعد على إنتاج أفكار ومعان توازي التحولات الاجتماعية والمتغيرات الحالية في قضايا المعرفة، الإصلاح، الحداثة، العولمة، الديمقراطية والمواطنة.

خاتمة

لقد شهد العالم على مدى العقود القليلة الماضية حراكاً كبيراً على جميع المستويات من اجل بناء مجتمع المعرفة فهو الاختيار الإستراتيجي للدول وحكوماتها وشعوبها، لمواصلة الركب الحضاري، فلقد أصبح العلم ساحة تتبارى فيها الدول وقاطرة التغيير الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي . لذلك يعد مجتمع المعرفة بالنسبة للعالم العربي ضرورة حتمية، للخروج من حالة التخلف وولوج عالم التقدم والحضارة ، وان كان يبدو مجتمع المعرفة العربي تطلعاً كبيراً، لكن تحقيقه ليس مستحيلا .

المراجع

1. أحمد برقاوي العرب بين الأيديولوجيا والتاريخ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 دمشق ، 1995
2. برهان غليون :المحنة العربية، الدولة ضد الأمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت. 1993
3. حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، بيروت،2000،

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

4. خلدون حسن النقيب ،: الدولة التسلطية في المشرق العربي(دراسة بنائية مقارنة)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت،1999
5. هشام شرابى، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1990
6. مجموعة من المؤلفين المسألة الثقافية في العالم العربي الإسلامي دار الفكر، ط1998،1،
7. مجموعة من المؤلفين مجتمع المعرفة :التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضراً ومستقبلاً ،منشورات جامعة السلطان قابوس ، مسقط ،2007،المجلد الثاني
8. مجلة دفاتر السياسة والقانون العدد التاسع /جوان ،الجزائر 2013
9. أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي، وقائع ندوة الكويت مابين 7و12نيسان 1974) دار السياسة، الطبعة الأولى، الكويت،1975
10. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، 2003 ،
11. تقرير المعرفة العربي 2009،شركة دار الغرير الإمارات العربية المتحدة
12. التقرير الاقتصادي العربي الموحد 2002 ،صندوق النقد العربي،أبو ظبي،الإمارات العربية المتحدة.
13. www.faculty.psau.edu.sa

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الكتابة العربية قبل الإسلام (جذورها وخصائصها)

Arabic writing before Islam :its roots and characteristics

أ. بودين قدوري (دكتورالي)

جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة.

تاريخ الإرسال: 2019/01/27	تاريخ القبول: 2019/05/22	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على حالة الكتابة عند العرب قبل الإسلام، وذلك من خلال دراسة جذورها وتاريخها وأين وجدت ومن أين جاءت إلى العرب، ثم دراسة خصائصها وحيثياتها قبل نزول القران الكريم الذي دلت بعض آياته على أن العرب قبله كانوا أميّين وأنّه هو الكتاب الموثق الأول في تاريخهم.

الكلمات المفتاحية: الكتابة ، قبل الإسلام، حيثيات، خصائص.

Summary :

The purpose of this study is the Clarification of the Status of writing when the Arabs before Islam By studying the roots and history of writing where it is found and where it is came to the Arabs,Thenstudy their characteristics and Merits of WritingBefore the descent of the Koran,Some verses of the Koran indicated that the Arabs were illiterate, and The Koran was the first book documented When the Arabs

Keywords : Writing, before Islam, rationales, characteristics.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمـة:

الشائع بين كثير من الناس أنّ العرب قبل الإسلام كانوا في جاهلية عمياء وعصبية مقيتة، لا يقرءون ولا يكتبون، وأنّ الكتابة عندهم كانت قليلة جدا، بل بالغ بعض الدارسين فجعلوا الكتابة عند العرب كانت منعدمة تماما واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: " **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ** " (الجمعة:02) وبقوله صلى الله عليه وسلم " إنّا أمة لا نكتب و لا نحسب"[1]وهذا غمط للحق، ونقص في التحري، فلقد وجد كتّاب بيثرب يكتبون بكتاب مكة، وآخرون في أماكن أخرى يكتبون بكتابهم أيضا، وعلى هذا الأساس ارتأينا أن نجعل هذه الأسطر حول الكتابة عند العرب قبل الإسلام تاريخها و خصائصها ومن أول من خط بها.

الكتابة لغة: مصدر كَتَبَ إذا خطّ بالقلم، أو ضم أو جمع أو خاط.

جاء في لسان العرب مادة (كتب):" الكتاب المعروف، والجمع كُتب، وكتب الشيء يكتبه كِتْبًا وكتابة إذا خطّه[2].

ويعرفها "القلقشندي" بقوله " الكتابة في اللّغة مصدر كتب يكتب كِتْبًا وكتابة ومكتبة، وكتبة فهو كاتب ومعناها الجمع، يقال تكتّب القوم إذا اجتمعوا، وفيه يقال لجماعة الخيل كِتبه، ومن ثم سُمّي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض، كما سُمّي خرز القربة كتابة لضم بعض الخِرز إلى بعض"[3].

وجاء في مقاييس اللغة "الكتابة في اللّغة تتضمن معانٍ عدة منها: تصوير اللفظ بالحروف الهجائية، والقضاء، والتعليم، والاستنساخ، والفرض، والحكم، والقدر، والجمع"[4].

وأما اصطلاحا: فهي إعمال القلم باليد في تصوير الحروف ونقشها"[5].

---

[1] حديث لا أصل له, ذكره الزبيدي في معجمه "تاج العروس" ماده " أمم"

[2] ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي) - لسان العرب - دار صادر - بيروت - د.ط - سنة 1968- ج: 13.

[3] القلقشندي (أحمد بن علي)– صبح الأعشى في صناعة الإنشا- د.ط- سنة 2004-ج : 01 - ص:51.

[4] ابن فارس (أبو الحسن أحمد)- مقاييس اللغة - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر– ط:2 -سنة 1969 م-ج: 05-ص: 121.

[5] علي محمد الضباع – سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين – طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – جمهورية مصر العربية – د.ط – د.ت- ص:18.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وعرّفها **ابن خلدون** -رحمه الله- بقوله "الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وهي رسوم وأشكال حرفيّة على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس"[6].

وأمّا الدارسون المحدثون فيعرّفون الكتابة تعاريفَ متنوعة من أبرزها "إعادة ترميز اللغة المنطوقة في شكل خطّي على الورق، من خلال أشكال ترتبط ببعضها وفق نظام معروف اصطَلح عليه أصحاب اللغة في وقت ما، بحيث يعدّ شكلا من هذه الأشكال مقابلا لصوت لغوي يدل عليه، وذلك بغرض نقل أفكار الكاتب وآرائه ومشاعره إلى الآخرين بوصفهم الطرف الآخر لعملية الاتصال "[7].

أوّل من وضع الكتابة العربية ومن أين وصلت إلى العرب: اختلفت الدراسات حول هذا الأمر فكثرت الآراء حوله وكان منها:

1- أوّل من وضع الكتابة العربية آدم عليه السلام كغيرها من سائر الكتابات، حيث أنّه كتب الكتابات كلّها في طين وطبخه (أحرقه) ودفنه قبل موته، وبعد الطوفان وجد كل قوم كتابا فتعلموه بإلهام إلهي ونقلوا صورته واتخذوها أصل كتابتهم "[8].

2- قيل أنّ أوّل من وضع الكتابة العربية هو كاتب الوحي لسيّدنا هود عليه السلام وتعلّمها منه مُرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة[9]، وأخذها عنهم أهل الأنبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها، فتعلّمها **بشر بن عبد الملك** أخو **أُكيْدر بن عبد الملك** صاحب دومة الجندل، وقد سافر **بشر** هذا مع **حرب** إلى مكة وتزوج **بالصهباء بنت حرب**، فتعلّم منه **حرب** وجماعة من أهل مكة الكتابة، وبذلك كثُر من يكتب بها من قريش .

[6] ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) – المقدمة: ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر-د.ط -سنة 1984- ص:417.

[7] شلبي مصطفى رسلان وموسى محمد محمود – مهارات الاتصال باللغة العربية – دار القلم للنشر والتوزيع – د.ط- سنة 2007- ص:137.

[8] علي محمد الضباع – سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين – ص: 18.

[9] هؤلاء الرجال الثلاثة من عرب طيء.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

3- وقيل إنّ أوّل من وضعها هو سيّدنا **إسماعيل بن إبراهيم الخليل** عليهما السلام وكانت كتابته بحروف متّصلة بعضها ببعض حتى الألف والراء، إلى أنّ فصلها ثلاثة من أولاده، أو **نزار بن معدبن عدنان**[10].

4- وقيل ستّةٌ من ملوك مدين ببلاد العرب هم الذين وضعوا الكتابة العربية بحسب حروف أسمائهم التي هي: أبجد، هوّز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ولما كانت هذه الأسماء غير جامعة للحروف العربية، جمعوا ما بقي منها في لفظين وألحقوهما بأسمائهم وهما ثخّذ، ضظغ، وسمّوها بالروادف.

5- وقيل أوّل من استعملها الحميريون من أهل اليمن، وكانوا يكتبون بحروف متّصلة بعضها ببعض مختلفة باختلاف موقعها، وكانوا يسمّونها بالمسند، لاشتمالها على علامات تفصل الكلمة بعضها عن بعض، ثم انتقلت منهم إلى الحيرة ثم إلى مكة المكرمة[11].

حالة الكتابة العربية قبل الرسم العثماني: من المعلوم بديهة أنّ الكتابة العربية كانت منتشرة قبل الرسم العثماني، غير أنّ الدارسين لحالة الكتابة قبل مجيئ الإسلام سجّلوا لنا اضطرابات كثيرة ، فهذا الإمام ابن قتيبة -رحمه الله تعالى- (ت: 276 هـ) يقول:" وكانت الكتابة في العرب قليلة "[12]، ويقول عن الصّحابة وهو يتحدث عن إذن النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بتقيّيد الحديث:" ...وكان غيره من الصحابة أمّيّين، لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان، وإذا كتب لم يُتقن ولم يصب التهجي"[13].

فهذه إشارة بيّنة من كلام ابن قُتيبة على أنّ الكتابة العربية عند العرب قبل مجيء الإسلام كانت قليلة جدا مع إقراره بوجودها.

وهناك رأيٌ مغايرٌ لرأي ابن قتيبة وهو رأي الإمام البلوي (ت: 604 هـ) الذي جنح إلى أنّ الكتابة كانت منعدمةً عند العرب في الجاهلية، وأنّ الشعر قد جعل لهم عوضا عنها[14].

---

[10] نفس المرجع السابق والصفحة.

[5] ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري)– المعارف – دار إحياء التراث العربي – بيروت -ط: 02- سنة 1970- ص:130.

[13] ابن قتيبة- تأويل مختلف الحديث – مطبعة كردستان العلمية بمصر- د.ط- سنة 1326 هـ - ص: 366.

[14] البلوي(أبو الحجاج يوسف بن محمد) – ألف با – جمعية المعارف بمصر – د.ط- سنة 1287 هـ - ج1 – ص:70.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وهذا الرأي قد جنح إليه عدد كبير من الدارسين المحدثين، فقد انساقوا إليه بدعوى أميّة العرب قبل الإسلام وندرة الكتابة بينهم، كما عبّر على ذلك الأستاذ حفني ناصف بقوله" فإذا وُجد فيهم من يكتب ويقرأ، فإنّما هو نزيلٌ هبط إليهم، أو آيبٌ من سفر بعد طول إقامة في أرض متحضّرة، أو آخذ عن هذين وهو نادر[15].

ويتبنى الأستاذ **إبراهيم أنيس** هذا الكلام، ويقول بشيوع الأميّة في شبه الجزيرة، وأنّ العرب لم يكونوا أهل كتابة وقراءة[16].

وقد ردّ على هذا الكلام العديد من الدارسين القدامى و المحدثين، فهذا العلامة **أحمد بن فارس** (ت: 395هـ) يقول:" فإنّا لم نزعم أنّ العرب كلّها مدرا ووبرا قد عرفوا الكتابة كلّها والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلاّ كنحن اليوم، فما كل يعرف الكتابة والقراءة"[17] ويقول علم الدين السخاوي (ت: 643 هـ) " فإيّاك وما تراه من قول من يقول " لم تكن العرب أهل كتابة ولا أقلام "[18] فهذين العَلَمين -رحمة الله عليهما- ذهبا إلى أنّ العرب أمّة كان فيها من يعرف الكتابة والقراءة وكان فيها خلاف ذلك، غير أنّ الغالب على الأمة العربية إذْ ذاك هي الأميّة وإلى ذلك أشار ربّنا سبحانه بقوله:"**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ** " (الجمعة:02) فوصف الله الأمة العربية بأنّها أمّة أُميّة لا تقرأ ولا تكتب، وذاك على سبيل التغليب لأنّ الغالب عليهم الأميّة.

ومن خلال دراستي لهذا الأمر وقفت على كلام نفيس للدكتور **غانم قدوري الحمد** في كتابه:"رسم المصحف" حيث قال: ".... لكنّ نفي معرفة العرب للكتابة قبل الإسلام إلى حد النُدرة إخلال بالمنهج السديد، وردٌّ للروايات والشواهد التي تؤكد أنّه قد كان للكتابة العربية شأن قبل الإسلام، سواء في قلب الجزيرة أم في أطرافها، فلم تعُد معرفة عرب الجاهلية للكتابة موطن شك، فإنَّ كثرةً منهم في الحواضر وقلّةً منهم في البادية كانت تقرأ وتكتب، وجاء في القرآن الكريم ما يفيد معرفة عرب الجاهلية القريبة من الإسلام القراءة والكتابة، فقد تكررت في كثير من الآيات مادة (كتب) وما في معناها[19]، واسم آلات

---

[15] حفني ناصف – تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية – مكتبة جامعة القاهرة – ط:02 - سنة 1958- ص:34.

[16] الدكتور إبراهيم أنيس – في اللهجات العربية – مكتبة الأنجلوا المصرية – القاهرة – ط.03 - سنة 1965-ص:33.

[17] احمد بن فارس- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – المكتبة السلفية – القاهرة – د.ط - سنة 1910 – ص:08.

[18] السخاوي – علي بن عبد الصمد – الوسيلة إلى كشف العقيلة – مخطوط دار الكتب المصرية – رقم: 30 - ورقة رقم: 15.

[19] وذلك مثل قوله تعالى، "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه " (الفرقان:05) وقوله :" اقرأ باسم ربك الذي خلق " (العلق 01) وقوله : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (الإسراء:14) وقوله أيضا " ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذكر" (الأنبياء: 104).

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الكتابة[20]، ولا تعقل مخاطبة القرآن الكريم قوما بهذه الآيات لو لم يكونوا على علم وبصيرة بالقراءة والكتابة، والقرآن الكريم أصدق وثيقة تُحدثنا عن حياة العرب في ذلك العهد[21].

ويمكننا لإظهار حالة الكتابة العربية عند العرب قبل الرسم العثماني، أنْ نشير إلى ممارسات كتابيّة متعدّدة، سواء في مدن الحجاز أو في الحواضر العربية في أطراف الجزيرة الشمالية، ففي مكة رغم أنَّ الحياة لم تكن بالغة التحضّر بالنسبة لذلك العهد، وأنَّ دواعي الكتابة كانت محدودة، إلا أنّه من الإجحاف إنكار ما حرَّروه أحيانا لبعض العهود والمخالفات بينهم وبين القبائل المجاورة، رغم أنّ ذلك كان في نطاق ضيق[22].

فمكّة مثلا بلدة مقدّسة عبارة عن عاصمة ثقافية وتجارية، من المفروض أنْ يكون بين سكّانها جماعة من المثقفين والباحثين في أمور الدين ومن القراء الكاتبين[23].

وتُشير بعض كُتب السيرة النبوية إلى أنّ **ورقة بن نوفل** كان يكتب الكتاب العربي والكتاب العبراني [24]، وحين قاطعت قريش الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة بمكة كتبوا كتابا بذلك وعلّقوه في جوف الكعبة [25] فلو لم يكونوا على علم ودراية بالقراءة والكتابة – أعني البعض منهم – لما فعلوا ذلك.

ويذكر **ابن النديم** أنّه رأى في خزانة المأمون الخليفة العباسي كتابا بخط عبد المطلب بن هاشم، فيه ذكر حقِّه على فلان بن فلان الحميري[26].

---

[20] وذلك كذكر القلم في قوله تعالى " نّ، والقلم وما يسطرون" (القلم 01) ،والقرطاس في قوله تعالى:"تجعلونها قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا" (الأنعام:92) ، والكتاب في قوله تعالى" كتاب أنزلنه إليك مبارك ليدبروا آيته" (ص: 28) واللوح في قوله تعالى:"في لوح محفوظ" (البروج:2) .

[21] غانم قدوري الحمد – رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية – اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري – بغداد – ط.01 – سنة 1402 هـ- 1982م، ص:23.

[22] محمد حميد الله – مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي – لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة– د.ط- سنة: 1941 ص:

[23] وإلاّ كيف نعلِّل كتابة كُتّاب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمثال : علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وأبي بن كعب.... وهؤلاء كلهم مخضرمون أدركوا الجاهلية والإسلام.

[24] جواد علي – السيرة النبوية – دار صادر – بيروت – د.ط- د.ت - ص 147.

[25] ابن سعد (محمد) – الطبقات الكبرى – دار صادر – بيروت – د.ط -سنة 1957 هـ- ج1- ص: 208.

[26] ابن النديم (محمد بن إسحاق) -الفهرست– مكتبة ليبسك – د.ط - سنة 1871 م – ص: 05.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ولقد أشار الدكتور **غانم قدوري الحمد** إلى أنَّ كتب التاريخ قد ذكرت استعمال العرب للكتابة في مكة في وقت مبكر، **فقصي بن كلاب** يكتب من مكة إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام العذري في مشارف الشام يدعوه إلى نصرته والقيام معه في منازعة خزاعة وبني بكر أمر مكة[27].

وإذا انتقلنا إلى كتاب فتوح البلدان **للبلاذري**، نجد أنَّه قد أورد أسماء لرجال يعلمون الكتابة والقراءة وذلك في قوله:"دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب.... إلى أنْ قال عن الكتابة في المدينة المنورة:"إنَّ الإسلام جاء وفيهم عدد يكتبون ومنهم أحد عشر كاتبا"[28].

وقد أشار **الواقدي** رحمة الله عليه (ت: 207 هـ) إلى أنَّ بعض اليهود قد عَلِم كتابة العربية، وكان يُعلمها الصّبيان بالمدينة في الزمن الأول"[29].

وإذا انتقلنا من قلب الجزيرة إلى أطرافها الشمالية نجد الروايات العربية تكثر مؤكّدة استخدام الكتابة على نطاق واسع، فهذا **حمّاد** جدّ **عدي بن زيد** الشاعر (ت:590 م) قد كتب للنّعمان الأكبر، وأنّ عديّا كان يكتب بالعربية لملك فارس، وما دام عديٌّ يستخدم العربية في ديوان مُلك فارس فإنّه من المنطقي أنْ تكون الكتابة العربية هي المستعملة في إمارة المناذرة في الحيرة[30].

وقد ذكر **ابن قتيبة** قصة في كتابه الشعر والشعراء تبيّن هذا الكلام، ومفادها أنّ الشاعرين **المتلمس** و**طرفة بن العبد** قَدِمَا على **عمرو بن هند** ملِك الحيرة، فكتب لهما كتابين إلى عامله في البحرين يأمره بقتلهما، وأخبرهما أنّه كتب لهما بجائزة، فأعطى الشاعر **المتلمس** صحيفته لغلام من غلمان الحيرة فقرأها له ونجا بنفسه"[31] فهذه القصة فيها دليل واضح على شيوع الكتابة العربية في البحرين.

ومهما يكن فإنّ الكتابة قبل مجيئ الإسلام كانت نادرة عند العرب وذلك لبعدهم عن الحضارة، ولم يكن فيهم ممّن يحسن الكتابة والقراءة إلا النزر القليل، ولذلك نجد علماء هذا الفن يشهدون بأنّ الإسلام ساهم بشكل كبير في تطور الكتابة وانتشارها، ومن هؤلاء مثلا نجد الإمام **علي محمد الضباع** في

---

[27] غانم قدوري الحمد – رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية – ص:24.

[28] البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر البغدادي) - فتوح البلدان – شركة بيع الكتب العربية – القاهرة-ط.1 – سنة 1901م- ص: 477، وانظر: ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي)- العقد الفريد - لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – د.ط- د.ت - ج:4- ص: 157.

[29] البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر البغدادي) - فتوح البلدانص: 479.

[30] غانم قدوري الحمد – رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية - ص: 26.

[31] ابن قتيبة – الشعر والشعراء – دار المعارف – مصر- ط:2 ،سنة: 1966 –ج:1- ص:228.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

كتابه سمير الطالبين حيث قال رحمه الله: "...ثم لمّا تمّت الهجرة إلى المدينة المنورة ووقعت غزوة بدر أسر الأنصار سبعين قرشيّا فجعلوا على كل أسير فداء من المال، وعلى كل من عجز عن الافتداء بالمال أنّ يعلّم الكتابة لعشرة من صبيان المدينة، ولم تكن الكتابة بها قبلئذ[32] فبذلك كثرت فيها الكتابة، وصارت تنتشر في كل ناحية فتحها الإسلام في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته"[33].

أصل الكتابة العربية عند القدامى والمحدثين.

1- **عند العلماء القدامى**: اختلفت آراء العلماء القدامى في أصل الكتابة العربية عموما، والتي كُتب بها القرآن الكريم خصوصا، ولذلك نجدها متضاربة مختلفة،كما حرّر ذلك العلاّمة **أحمد بن فارس** الذي يرى أنّ الخط توقيف من الله مستندا في ذلك إلى نصوص قرآنية كقوله تعالى: " **وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** "(البقرة:30).

وعلى هذا الأساس يقول ابن فارس رحمه الله تعالى: "ليس ببعيد أنْ يُوقِف آدم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب "[34].

وهناك رأي آخر تبناه **الإمام السيوطي** رحمه الله تعالى حيث روى عن كعب الأحبار (ت:32هـ) أنّه قال أوّل من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبه في الطين ثم طبخه، فلما انقضى ما كان، أصاب الأرض من الغرق، وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به، فكان إسماعيل عليه السلام قد وجد كتاب العرب"[35].

وجاء في كتاب عيون الأخبار للإمام **ابن قتيبة** [36] أنّ أول من خط بالقلم بعد آدم هو نبي الله إدريس عليه السلام، في حين ذكر **القلقشندي**[37] أنّ أوّل من كتب الخط العربي هو **حمير بن سبأ**.

---

[32] هذا كلام فيه تحفُّظ فإنّ المدينة المنورة كان فيها من يعرف الكتابة والقراءة قبل مجيء الإسلام ومن هؤلاء اليهود والنصارى وكذا كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة كما جاء في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

[33] علي محمد الضباع – سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين – ص:15

[34] ابن فارس- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها- ص: 07.

[35] السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)- الإتقان في علوم القرآن- مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني -القاهرة – ط1: – 1967 – ج:04-ص: 145.

[36] ابن قتيبة – عيون الأخبار – دار الكتب المصرية – القاهرة – د.ط- 1925- ج1: – ص: 43.

[37] القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الإنشا – ج:03، ص: 13.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وهذه الروايات مهما تشعّبت وتنوعت، فإنّها تفتقر إلى التحقيق والتدقيق بخلاف الرأي الأول الذي رأى بأنّ أصل الكتابة العربية هو التوقيف وذكر في ذلك أدلة من القرآن الكريم صحيحة غير صريحة في الاستدلال.

وقد أشار الدكتور **غانم قدوري الحمد** إلى أنّ غالب الروايات التي تدل على أصل الخط العربي ضعيفة، إنْ لم تكن من قبيل الخرافة حيث يقول:" وكذلك يمكن القول في الرواية التي تزعم أنّ أوّل من وضع الخط العربي جماعة هم : أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت، وهم قوم من الأوائل نزلوا عند **عدنان بن أُدد**، فاستعربوا ووضعوا الكتاب العربي على أسمائهم، ولما وجدوا أحرفا ليست من أسمائهم، ألحقوها بها وسمّوها الروادف...إلى أنْ يقول:" وهذه الروايات ممّا يغلب عليها طابع الخرافة، مما لا يقبله منهم التحقيق العلمي والوقائع التاريخية، وليس أدل على الخرافة فيها من أنْ بعض أصحابها قد أخذ الترتيب الأبجدي للحروف وجعله أسماء ملوك من العرب العاربة..."[38].

ومهما يكن فإنّ هذه الروايات تمثل وجهة نظر صاحبها تبنّاها بما وصله من أدلّة، سواء أكانت صوابا أم خطأ، وعليه سأنتقل إلى روايات عن أصل الخط العربي أكثر جديّة ذكرها صاحب كتاب الجمهرة[39] حيث ذكر أنّ هذا الخط كان يسمى في الجاهلية (الجَزْم)، مع خلاف في سبب تسميته، إذ نقل **السجستاني** (ت: 248 ه) أصل تسميته بالجزم بالأخذ، لأنّه جُزم به من المسند أي أُخذ منه"[40].

وذهب **ابن خلدون** رحمه الله تعالى (ت: 808ه)[41] أنّ الخط من الصنائع الحضرية، وأنّه من جملة الصنائع المدنية المعاشيّة، وأنّ جودة الخط إنّما تكون على قدر الاجتماع والعمران، وهو بذلك يرى أنّ الخط العربي قد انتقل من اليمن، حيث بلغ فيه درجة عالية من الإتقان والجودة في دولة التبابعة- وهو المسمّى بالخط الحميري- إلى الحيرة حيث دول آل المنذر نُسباء التبابعة، ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين، ومن الحيرة لقّنه أهل الطائف وقريش.

وعلى العموم فإنّ كلام **ابن خلدون** رحمه الله تعالى أقرب ما يكون إلى الصواب، وذلك لأنّ صناعة الخط كغيرها من العلوم تنساق حول الحضارة طوعا أو كرها، فعلى سبيل المثال العلم الشرعي – الديني – على مدار التاريخ قد انساق حول عواصم الخلافة الإسلامية، فلمّا كانت الخلافة بالمدينة كان أغلب

[38] غانم قدوري الحمد – رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية – ص: 30.

[39] ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) – جمهرة اللغة- دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد- د.ط – 1345 هـ – ج :2- ص :91.

[40] ابن جني (عثمان أبو الفتح) – سر صناعة الإعراب – مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – ط:1 – 1954- ج:1 –ص: 45.

[41] ابن خلدون – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر – دار الكتاب اللبناني – بيروت – د.ط- سنة: 1956 – ج:1 – ص: 755-756.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

العلماء في المدينة المنورة من أمثال: سعيد بن المسيّب ومحمد بن شهاب، الزهري، ومالك بن أنس.... ولما نقل الأمويّون الخلافة إلى دمشق صار أغلب العلماء منها كالأوزاعي وقتيبة بن سعيد...، ولما نقل المنصور الخلافة العباسية إلى بغداد صار أغلب العلماء بها كالقاضي عبد الوهاب..، بل صارت بغداد حاضنة العلم، لكن بعد سقوطها على يد التتار وقيام الدولة المملوكية بالشام صار أغلب العلماء بالشام كالنووي والبلقيني وابن تيمية.... فهذا العلم الشرعي قد انساق حول الحضارة والتمدّن، فعلم الخط من باب أولى.

وهناك رأي آخر نقله **البلاذري** عن أبي الكلبي عن الشرقي بن القطامي (ت: 155هـ) أنّه قال:" اجتمع ثلاثة نفر من طئ ببقّة، وهم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة، فوضعوا الخط، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلّمه منهم قوم من أهل الأنبار، ثم تعلّمه أهل الحيرة من أهل الأنبار"[42].

ونقل **ابن النديم** -رحمه الله تعالى- هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال:" أوّل من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة سكنت الأنبار، وأنّهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطّعة وموصولة وهم مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، فأمّا مرامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأمّا عامر فوضع الإعجام[43].

فهذه الروايات تدل على أنّ الخط العربي قد اقتُبس من الخط السرياني الذي سمّاه **ابن النديم**[44]: أسطر نجالا، غير أنّ الدارسين المحقّقين لم يسلموا بهذا الأمر واستبعدوه كليّة ومن هؤلاء جورجي زيدان[45] الذي نفى أنْ تكون الكتابة السريانية[46] إحدى مراحل الخط العربي، حيث أنّ لكل منها تاريخ تطوره المستقل عن الخط الآرامي[47]، وعلل تشابه الحروف والخصائص بين اللغتين كونها خضعت لظروف واحدة و أدوار متشابهة.

---

[42] البطليوسي (عبد الله بن محمد بن سيد) -الاقتضاب في شرح أدب الكتاب – دار الجيل – بيروت – د. ط- 1973 –ص: 88.

[43] ابن النديم – الفهرست – ص: 4،5.

[44] ابن النديم – الفهرست – ص:12.

[45] جورجي زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية – دار الهلال – د. ط –1957 –ج:1- ص: 227.

[46] اللغة السريانية لغة سامية مشتقة من اللغة الآرامية، ويعتبرها بعض الباحثين تطورا طبيعيا لها موحدين بين اللغتين . يُنظر: المطران إقليس يوسف داوود – اللمعة الشهية في نمو اللغة السريانية- مطابع الإباء- دمشق –د.ط- 1996- ص:9.

[47] اللغة الآرامية، هي أصل اللغة السريانية نشأت في الألف الأول قبل الميلاد لتكون العائلة الثالثة ضمن عائلة اللغات السامية، يُنظر: نفس المرجع السابق والصفحة.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

2- **عند العلماء المحدَثين**: بعد الاطلاع على آراء العلماء القدامى ووجهتهم في أصل الكتابة العربية تبيّن لنا أنّها في معظمها غير دقيقة تعتمد على السرد القصصي أكثر منه التحقيق العلمي، ننتقل إلى رأي المحدثين الذي سلكوا طريقا مُغايرا نوعا ما عمّا ذهب إليه القدامى حيث اعتمدوا على نقوش عربية قديمة مكتوبة بأحد فروع الخط النبطي المتأخر، الشبيه بالخطوط العربية القديمة، وهذا ما يُعدّ دراسة مقارنة بين الخطوط، وعليه يمكننا القول هنا أنّ الاكتشافات الأثرية في جزيرة العرب قد أدّت إلى التمييز بين نوعين من الخطوط التي كانت مستعملة عند العرب فيما قبل الإسلام وهما:

أ- الخط العربي الذي دُوّن به القرآن الكريم، والذي يعرف بالشمالي تمييزا له عن الآخر.

ب- الخط العربي القديم في جنوب الجزيرة العربية، والذي عُرف في المصادر العربية باسم المسند، وإنْ كان وقع الخلاف في سبب تسميته[48].

وقد عُثر على بعض النقوش المدوّنة بخط المسند، ليس في أرض اليمن والجزيرة فحسب، بل تعداها إلى بلاد مصر ووصل إلى جزيرة اليونان وأطراف العراق، وعلى ذلك ثبت علميّا أنّ المسند كان معروفا وشائعا قبل الإسلام في كل شبه جزيرة العرب، وربما كان القلم العام للعرب قبل ميلاد المسيح، فهو أقدم الأقلام التي عُرفت في شبه جزيرة العرب حتى الآن[49].

ويذكر الدكتور **غانم قدوري الحمد**[50] أنّ استعمال خط المسند امتد حتى القرن الخامس الميلادي وربما إلى القرن السادس، أي أنّ هذا الخط قد زال عن الاستعمال قبل مجيء الإسلام، وأما عن بدايته فهي غير واضحة، ويعتقد أنّه مشتق من الخط الفينيقي أو أنّه متفرع عن الأبجدية السينائية التي انحدر عنها الخط الفينيقي.

وقد اختُلف في تاريخ أقدم الكتابات المدونة بالمسند فمنهم من يرجعها إلى سنة 1500 أو 1300 قبل الميلاد، على حين يرتفع آخرون بتاريخ أقدم كتابة عُثر عليها بالمسند إلى أكثر من 800 أو 700 سنة قبل الميلاد، وهذه التواريخ لها دور كبير في معرفة أصل منشأ هذا الخط العربي[51].

---

[48] القلقشندي– صبح الأعشى في صناعة الانشا –ج :3 – ص : 13، وجواد علي – تاريخ العرب قبل الإسلام – المجمع العلمي العراقي – بغداد – د.ط- 1950 – ج:1 – ص: 197-198.

[49] نفس المرجع السابق –ج:1 – ص:192.

[50] غانم قدوري الحمد – رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية – ص: 39.

[51] جواد علي – تاريخ العرب قبل الإسلام- ج:1– ص: 209.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والخط المسند يتألف من تسعة وعشرين حرفا، وأبجديته مثل الأبجديات السامية الأخرى من حيث أنّها تتألف من الحروف الصامتة، ولا حركة في الكتابة بها، ولا ضبط في أواخر الكلمات، ولا علامة للسكون أو التشديد، وقد يُكتب الحرف المشدد مرتين، وتكتب الحروف في كلمة واحدة منفصلة، ولذلك فإنّ شكل الحرف لا يتغير بتغير موضعه في الكلمة، ويفصل بين الكلمة والكلمة التي تليها فاصل وهو خط عمودي مستقيم، وتُقرأ الكتابة من اليمين إلى اليسار أو بالعكس، ويُمزج بين الطريقتين أحيانا[52].

ومما يجب الإشارة إليه هنا أنّ الكتابة العربيّة الشمالية عند العرب ليست متطورة عن الخط المسند وذلك مع انتشار هذا الخط في شمال الجزيرة لعدة قرون قبل الميلاد وبعده إلى ما قُبيل الإسلام وهذا ما أرجعه بعض الباحثين[53] إلى تدهور أحوال اليمن في الفترة المتأخرة قبل الإسلام وطبيعة الخط المسند وفروعه وما تمتاز به من أشكال دقيقة صعبة الرسم التي قد تفسِّر لنا ذلك الإهمال الذي أصاب المسند وانحساره أمام الخطوط المنحدرة والتي نمتاز بالمرونة والسهولة، ولا سيما في الكتابة على القراطيس[54].

وعلى هذا كلّه يمكن أنْ نبيّن رأي الدارسين المحدثين في أصل الخط العربي بأنّه خط المسند الذي عرفه العرب بقرون كثيرة قبل الإسلام، وإنْ كان يختلف على ما هي عليه الخطوط اليوم، ويعدّ رأيهم أقرب إلى الدقة والتحقيق العلمي من رأي العلماء القدامى، وذلك لأنّ اعتمادهم كان على نقوش عربية وُجدت مؤخرا وكذا أثريات اعتمدوا عليها في إبداء رأيهم، وهذا ما يجعل مذهبهم أقرب إلى الصواب من غيرهم والله أعلم.

الخاتمة:

وخلاصة قولنا إنّ العرب قبل الإسلام لم يكونوا أميين بما تحمله الكلمة من معان، وإنّ وصفهم بالأمية في مواضع كثيرة من القرآن إنما هو وصف على التغليب أي أنّ الغالب عليهم هو الأمية هذا من

[52] جواد علي – تاريخ العرب قبل الإسلام – ج:1 ص: 198-199 .

[53] من بين هؤلاء الباحثين نجد : الدكتور جواد علي والدكتورغانم قدوري الحمد و بلاشير.... وغيرهم.

[54] غانم قدوري الحمد – رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية – ص: 40 ، وجواد علي – تاريخ العرب قبل الإسلام- ج:7 - ص: 55.

[54]عبد الجبار محمود السامرائي – مجلة الواحة – العدد الستون – السنة السادسة عشرة – شتاء 2010 – عنوان الكتابة و القراءة في جزيرة العرب قبل الإسلام.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

جهة، ومن جهة أخرى أنّ الأمية بلفظها الشمولي اللغوي لا تعني فقط ترك الكتابة و القراءة، بل لها معان أخرى ومنها ما ذكره الفراء في تعريفه للأميّين بقوله[55] "الأميّيون هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب" يعني بذلك كتاب سماوي كـ: التوراة و الإنجيل، وهذا ما يوضحه وصف الله عز و جل لليهود و النصارى في القرآن بأنهم أهل كتاب، وأما العرب – على هذا الأساس – فإنّ وصفهم بالأميّة إنما هو على معنى الوثنية أو على سبيل التغليب وهو ما بيناه في بحثنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أنيس – في اللهجات العربية – مكتبة الأنجلوا المصرية – القاهرة – ط 03 - سنة 1965.
2- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي) – لسان العرب – دار صادر – بيروت -د. ط – سنة: 1968- ج : 13.
3- ابن فارس (أبو الحسن أحمد) – مقاييس اللغة – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط2 – سنة 1969 م- ج: 05 .
4- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري)– المعارف – دار إحياء التراث العربي – بيروت -الطبعة : 02- سنة 1970.
5- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) – المقدمة: ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر -د.ط - سنة 1984.
6- ابن قتيبة- تأويل مختلف الحديث – مطبعة كردستان العلمية بمصر- د،ط- سنة 1326 هـ .
7- ابن النديم (محمد بن إسحاق) -الفهرست– مكتبة ليبسك – د.ط - سنة 1871 م .
8- ابن سعد (محمد) – الطبقات الكبرى – دار صادر – بيروت – د.ط -سنة 1957 هـ- ج1.
9- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي)- العقد الفريد - لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – د- ط- د-ت ج 4..
10- ابن قتيبة – الشعر والشعراء – دار المعارف – مصر- ط-2 سنة: 1966 -ج1 .
11- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

12- ابن قتيبة – عيون الأخبار – دار الكتب المصرية – القاهرة – د- ط- 1925- ج1 –
13- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) – جمهرة اللغة- دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد- د. ط – 1345 هـ – ج 2.
14- ابن جني (عثمان أبو الفتح) – سر صناعة الإعراب – مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – ط1 – 1954- ج1 .
15- ابن خلدون – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر – دار الكتاب اللبناني – بيروت – د.ط- سنة: 1956 – ج1 .
16- أحمد بن فارس- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – المكتبة السلفية – القاهرة – د. ط - سنة 1910 .
17- البلوي(أبو الحجاج يوسف بن محمد) – ألف با – جمعية المعارف بمصر – د. ط- سنة 1287 هـ - ج1 .
18- البطليوسي (عبد الله بن محمد بن سيد) -الاقتضاب في شرح أدب الكتاب – دار الجبل – بيروت – د – ط- 1973 .
19- البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر البغدادي) - فتوح البلدان – شركة بيع الكتب العربية – القاهرة-ط1 – سنة: 1901م.
20- السخاوي – علي بن عبد الصمد – الوسيلة إلى كشف العقيلة – مخطوط دار الكتب المصرية – رقم: 30 - ورقة رقم: 15.
21- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)- الإتقان في علوم القرآن- مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - القاهرة – ط1 – 1967 – ج 04.
22- القلقشندي (أحمد بن علي) – صبح الأعشى في صناعة الانشا – د. ط – سنة 2004. ج : 01 .
23- المطران إقليس يوسف داوود – اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية- مطابع الإباء- دمشق –د- ط- 1996.
24- جورجي زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية – دار الهلال – د ، ط – سنة 1957 -ج1.
25- جواد علي – السيرة النبوية – دار صادر – بيروت – د ط- د ت
26- حفني ناصف – تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية – مكتبة جامعة القاهرة – ط2 - سنة 1958.
111-إبراهيم أنيس – في اللهجات العربية – مكتبة الأنجلوا المصرية – القاهرة – ط 03 - سنة 1965.
27- شلبي مصطفى رسلان، وموسى محمد محمود – مهارات الاتصال باللغة العربية – دار العلم للنشر والتوزيع – د. ط- سنة 2007.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

28- علي محمد الضباع – سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين – طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – جمهورية مصر العربية – د،ط - د ،ت.

29- غانم قدوري الحمد – رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية – اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري – بغداد – ط 01 – سنة 1402 هـ- 1982م.

30- محمد حميد الله – مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – د-ط سنة: 1941 .

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المؤسسات التعليمية في مدينة بجاية خلال القرون 07 – 10 هجرية

Les établissements d'enseignement dans la ville de Bejaia au cours des siècles

أ / رحيم عائشة (جامعة تلمسان).

تاريخ الإرسال: 2018/05/30	تاريخ القبول: 2018/06/10	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

شهد القرن السابع الهجري ازدهارا علميا كبيرا في جميع حواضر المغرب الإسلامي, ولا سيما مدينة بجاية التي تعد احد المراكز الثقافية الهامة في هذا العصر,فقد عرفت هذه الحاضرة تطورا فكريا و رقيا حضاريا لا مثيل له حيث قامت بها مؤسسات تعليمية و ثقافية من مساجد جامعة وزوايا عريقة ساهمت إلى حد كبير في تنشيط الحركة العلمية التي شهدتها المنطقة ,وفي تخريج جمهرة كبيرة من العلماء أصبحوا من رواد الحضارة الإسلامية, بل تعدى تأثيرها إلى استقطاب عدد كبير من طلبة العلم و العلماء من مختلف الحواضر المغربية و الأندلسية.

الكلمات المفتاحية: المؤسسات العلمية ، العلماء، بجاية ، زوايا.

Le résumé :

Le 7eme siècle hégirien a connu une grande prospérité scientifique dans toutes les villes islamiques du Maghreb islamique ,et en particulier la ville de Bejaïa qui était à cette époque l'un des importants centres culturels. Cette ville a connu un progrès intellectuel et civilisateur sans précédent. Ceci a été réalisé par les établissements scolaires et culturels, les mosquées et les écoles coraniques anciennes qui ont grandement contribué à la stimulation du mouvement scientifique dans la région , en formant une grande foule de scientifiques qui sont devenus pionniers de la civilisation arabo-islamique ,et plus encore, son influence a attiré un grand nombre d'étudiants en sciences et des scientifiques de différentes métropoles maghrébines et l'Andalousie.

les mots clés : Institutions scientifiques, scientifiques, Bejaia, coins.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة :

اهتم سلاطين و أمراء بجاية اهتماما خاصا بالتعليم و حرصا منهم على ان تتوفر جميع السبل التي تمكن طلبة العلم من ممارسة التعليم قاموا بإنشاء العديد من المؤسسات التعليمية التي خدمت بدورها الحركة العلمية و عملت على إثرائها فكانت هذه المؤسسات من كتاتيب ,و مساجد و زوايا وغيرها بمثابة الإشعاع الذي يضيء العالم الإسلامي في تلك الفترة بنور العلم و المعرفة ,كما أنها كانت قبلة للعلماء من كل مكان سواء من المغرب و الأندلس أو من بلاد المشرق الإسلامي يأتونها من اجل الاستزادة من علوم علمائها

أولا: الكتاتيب:

الكُتاب بضم الكاف وتشديد التاء هو موضع تعليم الكُتاب وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة , والجمع الكتاتيب أو المكاتب , والمعلم الذي يتولى التعليم يسمى بالمكتب أو المعلم[1] أما اصطلاحا فالكتاب عبارة عن حجرة مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه بعض الشيء، خصصت لتعليم الأطفال حفاظا عليها من النّجاسة [2] لأن جل العلماء أفتوا بعدم جواز تعليم الصّبيان في المساجد المخصصة للصلاة وهو في ذالك يقول الإمام مالك رضي الله عنه :"لا أرى ذلك يجوز،لأنهم لا يتنظفون من النّجاسة"، كما جاء في نوازل الونشريسي أنه" لا يجوز للمعلمين إقراء الصبيان لا في المسجد ولا في صحنه.... وسواء أكان عامرا أو خرابا إذ خرابه لا يسقط حرمته، وامنعوا المعلمين من ذلك أشد المنع"[43]

ويرجع استخدام الكتّاب كمؤسسة تعليمية إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث اتخذ مكانا لتحفيظ الصبيان القرآن الكريم، وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة، وبعد استقرار المسلمين في بلاد المغرب وبالتحديد في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة(السابع ميلادي)، قاموا بإنشاء الدور والمساجد، ثم التفتوا إلى أطفالهم واتخذوا لهم كتّابا بسيطة البناء[5]، ظلّت المؤسسة التعليمية الابتدائية في بجاية خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين (16-13م) [6] ، ينشؤها خواص في الغالب لبساطتها، أو يستأجر المعلمون غرفا تتخذ مكانا لتعليم الصّبيان، أو يقوم أولياء التلاميذ الميسورين ببنائها، كما يمكن أن تتكلف ببنائها جماعة من أهل الخير تطوعا منهم واحتسابا لوجه الله [7] .

ونظرا لكثرة الإقبال على التحصيل العلمي انتشرت هذه الكتاتيب بحاضرة بجاية، ولم تشر المصادر الخاصة بفترة البحث إلى عددها، ولكن يبدو أنّه كان لا يخلو حي إلا ووجد به كتّاب[8]

يتمثل في غرفة بسيطة أثاثها الحصير المصنوع من الحلفاء أو السُّمار يتحلق فيها التلاميذ حول المعلم[9]، و كان التمدرس فيه يقوم على حفظ القرآن الكريم ورواية الشعر والتدرب على القراءة والكتابة مع تعلم أولويات الحساب[10] أما الوسائل التعليمية التي يستعين بها التلميذ في الكتّاب فكانت جد بسيطة، وهي في الغالب لا تتجاوز مجموعة من المصاحف وبعض الكتب في النحو والأدب والسير[11] وألواح مسطحة مصقولة، وأقلام من القصب اليابس وقطع من الصلصال، ودواة من الصمغ، والصوف وجرة ماء[12]، وإناء

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يمحون فيه ألواحهم وهو ما يسمى بالمحو يصبون فيه الماء الطاهر، ثم يحفرون له حفرة في الأرض يصبون ذلك فيجف.[13]

1) **تلاميذ الكتّاب:**

ارتبط ظهور الإسلام مباشرة بالدعوة إلى التعلم وإبراز أهميته لقوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.[14]

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، إنّ الدعوة إلى التعلم ترددت في كثير من الآيات والأحاديث وهو ما جعل تعليم الأبناء واجب شرعا[15]، ولذلك كان الأولياء بمختلف حواضر المغرب الإسلامي بما فيها حاضرة بجاية يوجهون أطفالهم إلى الكتّاب لتلقي تعليمهم الأولي، ولم تشر المصادر إلى وجود سن محددة لدخولهم إلى هذه المؤسسة التعليمية، لكن يبدو أنها كانت تبدأ متى بلغ الطفل سن التميز ما بين الخامسة والسابعة من عمره[16]، ولعل السن المفضل الذي كان الفقهاء يفضلونه هو سن السابعة، وهو العمر الذي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم بإجبار أبنائهم على أداء الصلاة[17]، وتنتهي الدراسة في الكتّاب عند بلوغ الأطفال من الثالثة عشر أو الرابعة عشر حيث يكون الصبي قد حفظ القرآن الكريم كله أو جزءه، وأتم مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ الحساب الأولية[18].

2) **معلمو الكتّاب:**

يشرف على التعليم في الكتّاب المعلم أو المؤدب الذي اشترط فيه العلماء والفقهاء جملة من الشروط وجب توفرها فيه حتى يكون مؤهلا للتدرّيس في هذه المؤسسة التعليمية، وهي شروط علمية ودينية وخلقية نظرا لتأثيره على سلوك الأطفال في هذه المرحلة من أعمارهم[19]، ولذلك شدّد الفقهاء على ضرورة استقامته وحسن سلوكه وقدرته على العطاء[20]، فمن واجبه أن يحتمل أخلاق الصبيان بالصبر والاحتمال وأن يراعي قدراتهم العقلية وأحوالهم من النباهة والبلادة[21]، وأن يكون حافظا للقرآن الكريم وملما بعلومه حيث أورد ابن أبي جمعة في كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان ذلك في قوله:" المعلم الذي لا يعرف الإظهار والإدغام والإهمال والإعجام والتفخيم والترقيق وأحكام القرآن لا تجوز له الحدقة".[22]

وقد جاء في كتاب ابن سحنون الشروط والصفات التي يجب على المؤدب أن يلتزم بها أثناء قيامه بوظيفته ومن أبرزها:

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- أن يساوي بين التلاميذ الفقراء والأغنياء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أيّما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوّية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم، حشد يوم القيامة مع الخائنين".
- أن يبلغ أولياء التلاميذ عند غياب أبنائهم.
- أن يتفرغ إلا لمهنة التعليم دون سواها.
- أن تكون همَته مصروفة إلى نفع المتعلمين.
- أن يتجنب عيادة المرضى وتشييع الجنائز أثناء عمله.
- أن لا يقتصر التعليم على المواد والمعلومات المخصص دراستها في الكتَاب بل على المعلم أن يعلم التلاميذ أمور دينهم كالوضوء والصلاة وما يلزمهم فيها من عدد ركعاتها وسجداتها والأدعية فيها.[23]
- أن يتفقد ويراقب تصرفات التلاميذ أثناء عمله وأن لا ينشغل عنهم خاصة فيما يتعلق بمحو القرآن الكريم لأنه لا يجوز لهم استعمال أرجلهم في المحو حيث يقول الإمام مالك رضي الله عنه في هذا الشأن:" إذا محت صبية الكتاب تنزيل من رب العالمين من ألواحهم بأرجلهم، نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره، ثم لم يبال حين يلقى الله على ما يلقاه عليه." ويضيف الإمام مالك رضي الله عنه:" كان للمؤدب إجانة."[24] وكل صبي يأتي كل يوم نوبته بماء طاهر يصبونه فيها ليمحوا به ألواحهم ثم يحفرون حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء فينشف[25]، ويبدو أن هذه الطريقة كانت متبعة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تزال إلى يومنا هذا.

أما عن أجرة المعلم فتجدر الإشارة أن نظام الأجرة في الإسلام وقع فيه اختلاف منذ صدر الإسلام، فهناك فريق من العلماء والفقهاء أجازوا استفادة المعلمين من الأجرة عن عملهم التعليمي والتربوي، في حين ذهب آخرون إلى حد التحريم ورفض ذلك، وكل فريق قدم أدلة شرعية، لكن فقهاء وعلماء بلاد المغرب الإسلامي رجحت فيه كفة الفريق المؤيد والذي أجاز أجرة المعلم.[26] حيث لم يكن التعليم عند المسلمين في بادئ الأمر مهنة، و لم يكن يؤدى بمقابل مادي، وإنما احتسابا لوجه الله، ولما كثر الإقبال على العلم وتنوعت مواضيعه، نشأت طبقة احترفت التعليم وتفرغت له[27]، فأصبح من الضروري الاستفادة من أجرة تساعد المعلم على سد حاجياته اليومية، من مأكل ومشرب وملبس ومأوى.[28] ولذا كانت الأجرة إما نقدا أو عينية من زيوت وشمع وحبوب وبعض البقول المجففة،[29] وفضلا عن هذه العقود تأصلت في بلاد المغرب الإسلامي عامة تقديم الهدايا للمعلم في مختلف المناسبات كعيد الفطر والأضحى وعاشوراء والمولد النبوي الشريف وعند ختم القرآن الكريم.[30] أما المعلمون الأكثر حظا فهم الذين يسهرون على تعليم وتربية أبناء الأمراء ورجال البلاط، حيث نجدهم أيسر حالا، لكنهم قلة إذا ما قورنوا بعامة المعلمين ببجاية في العهد الحفصي.[31]

ولقد كانت نفقة التعليم في الكتَاب بالمغرب الإسلامي عموما على عاتق أولياء التلاميذ حيث لم تتدخل الدولة في شؤون التعليم بالكتَاب، وإنما اقتصر دورها على المراقبة التي يقوم بها المحتسب لمعرفة

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

كيفية تعامل المعلمين مع الصبيان، في حين يسهر القاضي على تعليم اليتامى.[32] وكان المعلم يتعاقد مع الأولياء على أجر معين، حيث يتصل بولي أمر كل تلميذ ليتفقا على المادة أو المواد التي سيتم تعليمها لابنه، والزمن المخصص لذلك، وشروط دفع الأجرة، ليكون الاتفاق محددا لحفظ جزء معين من القرآن الكريم، أو تعليم مبادئ مادة معينة لمدة شهر أو سنة[33]، وقد يتعاقد جماعة من الأولياء ويتكفلون بدفع أجرة المعلم، كما يمكن للمعلم أن يتقاضى ثمن كراء المحل الذي يدرس فيه أبنائهم،[34]لكن يبدو أن الأحباس[35] بدأت تتكفل بنفقات تعليم الصبيان بدءا من القرن 8هـ/14م.[36]

نظام الكتاتيب القرآنية:

كانت الدراسة في الكتّاب تتم طوال اليوم الدراسي وتنقسم إلى ثلاث فترات تتخللها أوقات للراحة وتناول الطعام وهذه الفترات على النحو التالي:

- من الصباح إلى وقت الضحى يدرس فيها الصّبيان القرآن الكريم وبعدها استراحة قصيرة لتناول الإفطار.
- من الضحى إلى الظهر يتعلم فيها الصّبيان الكتابة والخط ثم بعد ذلك ينصرفون إلى بيوتهم للغداء والراحة.
- بعد العصر وهي الفترة التي كانت مخصصة لدراسة بقية العلوم كاللغة والآداب والحساب.[37]

أما عن المواعيد الدراسية بالكتَاب، فكانت تتم طيلة أيام الأسبوع ما عدا ظهيرة يوم الخميس ويوم الجمعة، وعطل الأعياد الدينية فبمناسبة عيد الفطر يخلون من يوم إلى ثلاثة أيام، أما بمناسبة عيد الأضحى فقد تصل إلى خمسة أيام، كما يخلى الأطفال يوما أو بعض يوم بمناسبة ختم أحد الصبيان القرآن الكريم، وقد حرص العلماء على وجوب العطل في التعليم لما فيها من راحة للصبيان من عناء الدراسة.[38]

ومهما يكن من الأمر فإن التعليم في الكتّاب لم يقتصر على تعليم الصبيان المواد والمعلومات المخصص دراستها في الكتّاب، بل كان له أهداف تربوية ودينية، حيث يتخرج الأطفال من الكتاتيب وقد حفظوا القرآن كله أو جزءه، وأتقنوا الكتابة وألموا بمبادئ العربية والحساب لينتقلون إلى المرحلة الثانوية أو العالية بمؤسسات تعليمية جديدة وهي المساجد والجوامع الكبرى والزوايا التي أنشئت بحاضرة بجاية.

ثانيا: المساجد:

لقد ارتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمساجد ارتباطا وثيقا[39] قبل تأسيس المدارس والزوايا، بحيث قامت حلقات الدروس فيه منذ أن أنشئ لأول مرة، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون وفي مختلف الأمصار [40]، فقد كانت لا تزال مكانا مقدسا تقام فيه العبادات[41] لقوله تعالى " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" [42] ولم تقتصر وظيفة المساجد على أنها مكان لأداء الشعائر الدينية فحسب، بل كانت تقوم

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقام المدارس والمعاهد العليا التي تدرس فيها مختلف العلوم كالقرآن والحديث والنحو والأدب والعلوم العقلية[43]، وبجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي عرفت انتشارا لهذه المؤسسة الدينية والتعليمية فقد بنى البجائيون عدة مساجد في مختلف أنحاء المدنية، ومن أشهر مساجدها.

المساجد الجامعية: وهي التي تقوم بإنشائها الحكومة وتتولى الاتفاق عليها وترتب لها الأئمة ويقوم بأمرها السلطان أو من تفوض إليه شؤونها كالقاضي والامام وتقام بها الصلوات الخمسة وغيرها من الصلوات الأخرى[44]، وقد اهتم أمراء بجاية بترميمها وإصلاحها وترجع أغلبها إلى العهد الحمادي، حيث حرصوا على تهيئتها لتؤدي رسالتها الدينية والتعليمية فاهتموا بإنارتها وفرشها بأزهى وأفخر الأفرشة [45]ومن بين هذه المساجد الجامعة نذكر.

الجامع الأعظم: يعود بناؤه إلى القرن 5 هـ /11م خلال فترة حكم المنصور بن الناصر الحمادي (481-498هـ/1088-1104م) الذي شيده بجانب قصر اللؤلؤة فسمي أيضا بالمسجد المنصوري[46].

وقد احتل هذا القطب مكانه عالية بالمغرب الاسلامي حيث عبر العبدري عن إعجابه به عندما مر ببجاية في القرن 7هـ/13م حوالي سنة 680هـ لقوله "... ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصوفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحرها فهو غاية الفرجة والأنس ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس ..."[47] وظل هذا المسجد مركزا للعلماء ومقصدا لطلاب العلم حيث كانت تدرس به مختلف العلوم النقلية والعقلية في شكل حلقات مسجدية

فقد ولى به أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي (ت699هـ) الفريضة والخطبة ما ينيف عن ثلاثين عاما فروى وأقرأ واستمتع واستنفع به خلق كثير[48] – كما جلس للتدريس بهذا الجامع أبي إسحاق ابن العرافة فكان يدرس علمي الدراية والرواية[49]، اما من كان يتعلم فيه فهم كثر أبرزهم أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 704هـ 1304م) صاحب كتاب عنوان الدراية حيث كان يجلس متحلقا حول شيوخ الجامع رفقة زملائه الطلبة ينهلون منهم مختلف العلوم[50] ولكن هذا المسجد اندثر كليا بفعل الاحتلال الاسباني حيث كان قائما إلى غاية العقدين الأولين من القرن السادس عشر مع سائر المساجد الأخرى بشهادة مارمول[51] .

جامع القصبة: شارك هو الأخر في نهضة بجاية، يعود بناؤه إلى القرن 6هـ/12م[52] ، ومن أشهر من جلس للتدريس به أبو عبد الله محمد بن غريون البجائي 733هـ/1333م الذي عرف بخطيب القصبة[53]، وأبو

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الذي قال عنه الغبريني : " جلس للأستاذية وانتفع الناس به"[54] كما أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون قد درس به أثناء تواجده ببجاية سنة (766هـ / 1365م) مبجلا عند الأمير الحفصي أبي عبد الله، وهو في ذلك يقول ابن خلدون: "وقدمني للخطابة بجامع القصبة، وانا مع ذلك عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك غدوة إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبة لا أنفك عن ذلك[55].

مساجد الأحياء: وهي المساجد غير التابعة للدولة في أغلبها حيث يقوم بإدارتها أهالي الأحياء التي تقع فيها، فهم الذين يتولون الانفاق عليها وترتيب الأئمة للصلاة فيها، ومعظم هذه المساجد بناها ميسرو الحال وبعض الشخصيات البارزة وبهذه المساجد كان البجائيون يؤدون شعائرهم الدينية ويزاول فيه ابناؤهم تعليمهم في مرحلته الأولى[56] ومن أبرزهم:

مسجد ابي زكرياء الزواوي: قديم النشأة يعود إلى القرن (6هـ/ 12م)، يقع بحومة اللؤلؤة خارج باب المرسي عند قبر الشيخ الولي الصالح أبو عبد الله العربي[57]، وقد تردد على هذا المسجد أبو مدين شعيب الأنصاري[58] للتدريس به، ولكن ما هو معروف أن هذا المسجد نسب إلى الفقيه أبي زكرياء الزواوي الذي جلس به ليعلم الناس أمور دينهم فعرف بإسمه[59].

- مسجد المرجاني : نسبة إلى الشيخ الفقيه أبي زكرياء المرجاني الموصلي الذي جلس للتدريس به فنسب إليه تكريما له بعد رجوعه إلى بلاده الموصل في بلاد المشرق[60].

مسجد الريحانة[61]: وهو المسجد الذي درس به المهدي بن تومرت[62] وقد كان يعج بمجالس الفقهاء.

- مسجد سيدي عبد الحق نسب هذا المسجد إلى الشيخ الفقيه عبد الحق الأزدي الاشبيلي[63] أحد علماء بجاية الذي تصدر للتدريس به وهذا حسب الغبريني، أما من الناحية المعمارية والأثرية فهو عبارة عن قاعة مربعة الشكل[64] بها محراب ولا تحوي مئذنة.

بالإضافة إلى مسجد الموحدين[65]، مسجد النطاعين،[66] ومسجد عين الجزيري[67]، وغيرها من المساجد التي ساهمت في رقي العلوم وازدهارها ببجاية منذ القرن السابع الهجري.

ثالثاً الزوايا:

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يطلق لفظ الزاوية على مكان ذي طابع ديني وثقافي وتعليمي، كما تمارس فيه العبادات كالقيام بالصلوات، هذا بالإضافة إلى حلقات الدروس التي كانت تلقى على الطلاب و المريدين فيه، وكانت الزوايا مكانا لاستقبال عابري السبيل وإطعام الفقراء والمساكين، هذا فضلا عن إتخاذها مكانا من قبل بعض الزهاد للانقطاع إلى العبادة والهروب من الدنيا وزخرفها[68]، وقد عرفت الزوايا انتشارا كبيرا ببلاد المغرب الإسلامي منذ القرن (7هـ- 13م) حيث شهدت بجاية كغيرها من مدن المغرب الاسلامي ظاهرة التصوف فاصبحت قطبا يقصدها المتصوفة من مناطق عديدة وخاصة الأندلس، ويأتي على رأس المتصوفة الأندلسيين الذين فضلوا الاستقرار ببجاية الولي الصالح أبي مدين شعيب الذي خلف وراءه تلامذة واصلوا مهمته بعده،[69] وبذلك انتشرت الزوايا ببجاية وظلت قائمة إلى أوائل القرن 10 هـ/16م وقد اشار إلى وجودها حسن الوزان أثناء حديثه عن مدينة ببجاية فقال أن بها جوا مع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة[70]، ولعل أهم أبرز زوايا بجاية.

- زواية ابي زكرياء يحي الزواوي ت611هـ / 1215م[71] وكانت عبارة عن بناء صغير ملحق بالمسجد يدرس فيها علوم الحديث والفقه والتذكير[72].

زاوية أبو الفضل قاسم محمد القرطبي (ت662هـ - 1263م) : يقول الغبريني عنها: "وقفت عند باب الزاوية فأصابتني هيبة وسمعت كلاما بداخلها ومذاكرة" وهذا ما يترجم أنها كانت تساهم في نشر المعرفة[73].

- **زاوية الشيخ احمد بن ادريس البجائي[74] (ت بعد 760هـ / 1359م):** تأسست في حدود 760هـ / 1359 بقرية أيلول ببجاية اشتهرت بنشرها للتعليم ومناهج التصوف[75].

- زاوية الشيخ الحاج حساين بسيدي عيش ببجاية وتأسست في أواخر القرن الثامن الهجري سنة 770 هـ / 1368م[76].

- **زاوية الشيخ يحي العيدلي**: تنسب لمؤسسها الشيخ يحي العيدلي المتوفى سنة 881 هت/ 1476م[77]، اهتمت هذه الزاوية بتدريس مختلف العلوم الدينية من تحفيظ القرآن والقراءات السبع وعلوم الحديث، وتدريس الفقه المالكي إلى جانب اهتمامها بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، دون إهمالها لبعض العلوم الأخرى، ومن أشهر الطلبة المتخرجين من هذه المؤسسة العلمية الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي[78] الذي اصبح مدرسا بها، ومن طلابها أيضا الشيخ عبد الرحمن الصباغ صاحب شرح الوغليسية في الفقه، وشرح البردة للبوصري، والشيخ أحمد يوسف الملياني، والشيخ أحمد بن يحي مؤسس زاوية امالو ولم

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تتوقف عن هذا الدور التعليمي والتثقيفي حيث كانت لها اوقاف كثيرة حبست عليها عقارية ومنقولة، ولا تزال قائمة حتى اليوم[79].

- **زاوية محمد التواتي**: تنتسب هذه الزاوية إلى احد علماء بجاية محمد التواتي الذي تمتع بشهرة عالية في القرن التاسع الهجري، حيث كانت فتواه لا ترد من بجاية الى توزر وهو معاصر للشيخ يحي العيدلي، واشتهرت زاويته بنشر الثقافة والتعليم خاصة وأنها غذتها أوقاف كثيرة ساعدتها على مواصلة نشاطها ومسيرتها العلمية[80].

- زاوية الشيخ سعيد بصدوق تأسست في القرن التاسع الهجري.

- زاوية الشيخ أحمد بن يحي بامالو تاسست في القرن التاسع الهجري من قبل الشيخ أحمد بن يحي الذي كان مدرسا بها بعد أن كان احد طلاب الشيخ يحي العبدلي وما هو جدير بالذكر ان هذه الزوايا أغلقت ابان الاستعمار الفرنسي، وبعد الاستقلال استأنفت نشاطها إلى يومنا هذا[81].

رابعا: المدارس:

تعد المدارس من المنشآت الثقافية والتعليمية المستحدثة بالعالم الإسلامي، وأول مدرسة بنيت في الإسلام هي المدرسة البيهقية بمدينة نيسابور أوائل القرن 5هـ/11م وفي سنة457هـ/1065م، قام الوزير السلجوقي ببناء المدرسة النظامية ببغداد.[82]

ومع منتصف القرن السادس الهجري انتشرت بالديار المصرية أما ببلاد المغرب الإسلامي فيعود ظهورها إلى منتصف القرن السابع الهجري وقد كان الحفصيون هم السباقين إلى إنشاء المدارس حيث تواجد معظمها في العاصمة تونس فكانت أول مدرسة هي المدرسة الشماعية التي أسسها السلطان الحفصي أبي زكرياء (ت 647هـ/1249م)وذلك سنة 633هـ/1235م[83] لكن هذا لا يعني أن حاضرة بجاية لم تعرف انتشارا لهذه المؤسسة وإنما ذلك راجع إلى سكوت المصادر التاريخية عن ذكر أسمائها وعن عددها، ولسنا ندري لماذا التزمت الصمت مع العلم أن المدارس كانت منتشرة ببجاية منذ القرن السابع الهجري وهو ما ذكره الغبريني في عنوان الدراية حيث قال:" ولقد ولي أبو عبد الله بن شعيب المدارس فزانها بنظره وجملها بحميده أثره" [84] وبدوره الحافظ التنسي يؤكد ما ذهب إليه الغبريني في كتابه نظم الدر والعقيان قائلا:" وفي بعض المدن المحاطة بالأسوار مثل قسنطينة وبجاية لازالت الحضارة ميزاتها في القرن التاسع حيث بها كذلك حمامات ومدارس ونزل ومستشفيات"،[85] وقد استمرت في نشاطها العلمي إلى غاية القرن العاشر الهجري وهذا بشهادة الرحالة والجغرافيين الذين زاروا بجاية حيث ذكر الحسن الوزان ذلك في كتابه وصف إفريقيا في قوله:" وبجاية بها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة والأساتذة في شتى العلوم"، وهو نفس الاتجاه الذي ذهب إليه مارمول من بعده[86]، أما بالنسبة للبيمارستانات[87] فهي الأخرى

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

كانت متواجدة ببجاية وهو ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية لكن في إشارات شاحبة جدا[88]، وقد أضاع علينا هذا السكوت الكثير من الحقائق خاصة في معرفة تجهيز هذه المؤسسات العلمية وخاصة دورها التعليمي والثقافي.

خامسا: المكتبات:

تعتبر المكتبات من المؤسسات العلمية المكّملة للوظيفة التعليمية التي اهتم بها المسلمون حيث كان لها دور كبير في الحياة الثقافية والعلمية، وقد أنشأت المكتبات في العالم الإسلامي مع نشأة المساجد حيث أصبح المسجد مكتبة عامة احتوت على مختلف الكتب الدينية والعلمية والأدبية، ثم انتشرت في المدارس والزوايا ودور العلم لتكون مرجعا للطلبة والعلماء والنساخ[89] ومما ساعد على انتشارها:

1) حركة التبرع والهبة وانتشار مبدأ الوقف و تحبيس الكتب[90].
2) التعاهد الرسمي من الأمراء فقد انتشرت المكتبات الخاصة والعامة.
3) انتشار حركة الشراء الواسعة للكتب فظهرت الأسواق الخاصة لبيع الكتب.
4) اتساع دائرة وحركة التأليف والنسخ.[91]

وقد تنوعت مستويات المكتبات في بجاية على مايلي:

- **المكتبة الملكية ببجاية:** احتوت بجاية على مكتبة كبيرة كانت مزودة، بالكتب، وهو ما أكده الغبريني حينما قال أنه رأى نسخة من أحسن النسخ للشاعرة عائشة الموجودة بالخزانة السلطانية ببجاية[92]، وهو ما ذهب إليه شاربونو[93] الذي قال أن أمير بجاية قد أعجب بعائشة البجائية مما جعله يحتفظ بأحسن نسخها بالمكتبة الملكية ببجاية.
- **مكتبات العلماء:** ساهم العلماء البجائيون بمكتباتهم الخاصة في نشر العلم من خلال نظام الإعارة، فقد كان أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي ت 673هـ يساعد الطلبة ويقدم لهم كتب للاستفادة منها.ويقول في ذلك الغبريني الذي كان أحد تلاميذته:" وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم فيها." ويستدل ذلك ببيت شعري:[94]

كتبي لأهل العلم مبذولة يدي مثل أيديهم فيها
أعارنا أشياخنا كتبهم وسنة الأشياخ نمضيها

سادسا: بيوت العلماء:

لم ينحصر التعليم بالمؤسسات العلمية، وإنما تعددت أماكنه، فقد أصبحت بيوت بعض العلماء مراكزا للتعليم وقبلة لطلبة العلم خاصة النجباء منهم حيث لم يكتف هؤلاء العلماء من إلقاء الدروس والمحاضرات بالمؤسسات العلمية الرسمية للدولة، فاتخذوا من بيوتهم أماكنا للمجالس العلمية،

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وأصدق مثال على ذلك العالم أبو عبد الله محمد بن عمر بن صمغان القلعي،[95] الذي كان له مجلس دراسة بعلو سقيفة داره حيث يجتمع إليه خواص الطلبة ومنهم الطالب أبو الحسن بن عبد المؤمن الذي كان يقرأ عليه كتاب الموطأ قراءة تفهم[96]، و كان للعالم أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي القلعي(ت ما بين 628-640هـ) [97] حلقة علم ودراسة بداره ببجاية.[98]كما ساهم العلماء الأندلسيون بشكل كبير في نشر التعليم وتعميمه بالمؤسسات الدينية والثقافية ببجاية، ولما كان الإقبال والتهافت عليهم عظيما بهذه المؤسسات فتحت منازلهم لاستقبال الطلبة والإنتفاع بهم في شتى العلوم والمعارف التي نبغوا فيها ومن بين هؤلاء العالم أبو العباس أحمد بن خالد المالقي ت660هـ.[99] الذي كان يقرأ عليه في منزله الإشارات والتنبيهات لابن سينا من فاتحتها إلى خاتمتها.[100] إضافة إلى ذلك فقد اشتهرت ببجاية ظاهرة بيوتات العلم ولعل أشهرهم أسرة الغبريني[101] وأسرة المشادلة[102] اللتان ساهمتا في تنشيط الحركة العلمية وفي الحفاظ على التخصصات العلمية والمصنفات التي كانوا يتوارثونها أبا عن جد مما جعل من هذه المنازل مؤسسات ثقافية عامرة بالنشاط العلمي.

خاتمة:

وما يمكن قوله في الأخير أن هذه المؤسسات التعليمية و الدينية ساهمت في نشر الثقافة و ازدهارها بمدينة بجاية خلال الفترة المدروسة، و جعلت منها مركز إشعاع علمي وثقافي يقصده طلبة العلم و العلماء من كل حدب و صوب .

---

[1] الفيروز أبادي ، **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التراث،ج1،ط2، مؤسسة الرسالة 1987،ص 12.

[2] محمد بن سحنون، **آداب المعلمين**،تقديم و تحقيق محمد عبد المولى ،ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 64، أبو الحسن علي القابسي، **"الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين"**، تحقيق وترجمة أحمد خالد، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 145، أحمد شلبي، **"تاريخ التربية الإسلامية"**، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973، ص 53.

[3] أحمد بن يحي الونشريسي أبو العباس، **"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب"**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 36.

[4] بشير رمضان التليسي، **"الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م)"**، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان،2003، ص 365.

[5] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية ،ج3،ط1 ، دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع ،الج3، ص 243.

[6] عاشور بوشامة، **"علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626-981هـ/1228-1573م"**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1991، ص 422.

[7] صالح أبودياك، **"مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة"**، أبحاث اليرموك، المجلد 12، العدد 1417،02هـ/1996م، ص231، إبراهيم بلحسن، **"العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن(9-7هـ/13-15م)"**، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان،2004،2005،ص 228.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

[8]) محمود عفيفي، **"الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب"**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص 317.

[9]) لخضر عبدلي، **"الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان"**، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، تلمسان، 2006، ص 105، أحمد فؤاد الأهواني، **"التربية في الإسلام"**، ط2، دار المعارف، مصر، 1975، ص93.

10) محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، د ت، ص 19.

[11]) أحمد الأزرق، **"الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة و أصالتها"**، دار الغرب، وهران، 2002، ص 32-37.

[12]) لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ص106.

[13]) الآية 05 من سورة العلق.

[14]) حبيب رزاق، **"مراكز التعليم ومناهجه في العهد الحمادي بقلعة بني حماد وبجاية الناصرية"**، مجلة الفكر الجزائري، العدد04، ديسمبر، 2009، ص 111.

[15]) محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 63، عبدلي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ص 93.

[16]) لخضر عبدلي، نفس المرجع السابق، ص 93، عبد العزيز فيلالي، **"تلمسان في العهد الزياني"**، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 344.

[17]) محمد عادل عبد العزيز، **"التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية"**، المكتبة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص08.

[18]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 345.

[19]) محمد أسعد أطلس، التربية و التعليم في الإسلام ،ط1، دار العلم للملايين،بيروت،1975 ص ص 70- 74.

[20]) محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 45.

[21])أحمد بن أبي جمعة المغراوي، **"جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآداب الصبيان"** ، تحقيق أحمد جلول بدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص 24.

[22])محمد بن سحنون، المصدرالسابق، ص ص 74،95.

[23])هو إناء تغسل فيه الألواح ينظر: أحمد المغراوي، المصدر السابق، ص 49.

[24]) محمد بن سحنون، نفس المصدرالسابق، ص 74،75، المغراوي، نفس المصدر السابق، ص 49.

[25]) أحمد المغراوي، نفس المصدر السابق، ص ص29،27.

[26]) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص ص 215-217، لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ص 103.

[27]) الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 252، قاسمي بختاوي، **"التعليم في المغرب الأوسط بين القرنين 7-9 هـ/13-15م"**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة سيدي بلعباس، 2010-2011، ص 47.

[28]) محمد الشريف سيدي موسى، **"التربية والتعليم بالجزائر في العصر الوسيط بجاية نموذجا"**، حولية المؤرخ، العدد02، الجزائر، 2002، ص 93.

[29]) الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 254.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

[30] محمد الشريف سيدي موسى، **"الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري"**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2001، ص59.

[31] فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص ص295-296.

[32] محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص ص91-95، الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 151.

[33] عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص424.

34) الأحباس والأوقاف تتضمنان معنى الإمساك والمنع، الإمساك عن الإستهلاك أو البيع وهو أيضا إمساك المنافع والفوائد ومنعها عن كل أحد أو عرض غير ما أمسكت وأوقفت عليه، وتتمثل هذه الأوقاف عادة في الدكاكين والأفران والأراضي الزراعية وأشجار الزيتون، ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص151، محمد مصطفى شلبي، **"أحكام الوصايا والأوقاف"**، ط4، الدار الجامعية، بيروت،1982، ص ص302-303.

[35] الونشريسي، المصدر السابق، ج 7، ص 300-301، عبد العزيز فيلالي، المصدر السابق، ج2، ص 345.

[36] Attallah dhina , **les états de l'occident musulmans au 13 et 15 siècles**, office de publication universitaires, Alger, 1984, p 289.

[37] لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ، ص 92.

[38] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص ص 215

[39] محمد منير مرسي، "التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية"، القاهرة، 1983، ص 221.

40) نوراة شرفي، الحياة الاجتماعية في المغرب الاسلامي في عهد الموحدين (524 – 667 هـ/ 1229 – 1268، رسالة ماجستر، جامعة الجزائر ، 2008.) ص 222.

[41] سورة الجن، الآية 18.

42) مبخوت بودواية، "العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان"، اطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، تلمسان 2006،2005، ص 66.

[43] زينب رزيوي، "مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م"، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة سيدي بلعباس، 2010، ص 91.

[44] محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع إلى بداية القرن العاشر الهجري ، رسالة ماجستر في التاريخ الاسلامي، جامعة الجزائر، 2001، ص 77

[45] رشيد بوريبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1977، ص209.

[46] أبو عبد الله محمد بن محمد البلنسي العبدري، "الرحلة المغربية"، تقديم سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2007، ص ص 49،50، مولاي بلحميسي، "بجاية في حدائق الكتب"، العدد 19 ، ص 102.

[47] أبو العباس أحمد الغبريني ،عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،تحقيق رابح بونار ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981، ص 104.

[48] الغبريني ، المصدر نفسه ، ص 222

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

[49] الغبريني ، المصدر نفسه ، ص 25

[50] اسماعيل العربي، "بجاية من خلال النصوص الغربية (مارمول)"، مجلة الأصالة، العدد 19، ص 19-76.

[51] الهادي روجي إدريس، "الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م"، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1992، ص 109

[52] مريم الهاشمي: العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال القرن 7هـ - 9هـ /15م، مذكرة ماجستر ، تلمسان، 2011، حبيب رزاق، مراكز التعليم ومنهاجية في العهد الحمادي بقلعة بني حماد وبجاية الناصرية، مجلة الفكر الجزائري، العدد 04، الجزائر، 2005.

[53] الغبريني، المصدر السابق ص59.

[54] عبد الرحمن بن خلدون، "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص ص 97-98.

[55] محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص 76.

[56] الغبريني ، المصدر السابق، ص82.

[57] هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الإشبيلي، ولد في إشبيلية بالأندلس سنة 520هـ، رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها أمثال أبي الحسن علي بن إسماعيل، ولما ذهب لأداء فريضة الحج لازم الشيخ عبد الرحمان الجيلاني وعند عودته استقر ببجاية وتولى التدريس بها ، توفي سنة 595هـ، وهو في طريقه إلى الخليفة الموحدي في مراكش، دفن بالعباد قرب تلمسان، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص 55، 61، ابن قنفد القسنطيني، "أنس الفقير وعز الحقير"، صححه محمد الفاسي وأودولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص ص11-12

[58] الغبريني، المصدر السابق، ص59.

[59] الغبريني ’نفسه ، ص165، رزيوي زينب، المرجع السابق، ص51.

[60] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص84.

[61] هو محمد بن تومرت المهدي ولد سنة 471هـ/1076م من قبيلة مصمودة ارتحل إلى المشرق لطلب العلم فالتقى بأبي حامد الغزالي، وعند وصوله إلى المغرب نزل بقرية ملالة حيث التقى عبد المؤمن بن علي بويع سنة 515هـ/1120م وتوفي سنة 524هـ/1129م، ينظر: عبد الواحد المراكشي، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة المصرية، بيروت 2006، ص 136 – 137.

[62] هو عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن ابراهيم الأزدي الأشبيلي، ولد بإشبيلية سنة 510هـ ونشأ بها، ثم انتقل إلى بجاية واستقر بها سنة 550هـ جلس للتدريس والخطابة في الجامع الأعظم، برع في دراسة الحديث وعلومه، له عدة مؤلفات منها: الأحكام الكبرى والصغرى لكنها ضاعت، والمرشد في الحديث، توفي سنة582هـ ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص73-75، رابح بونار، "عبد الحق الإشبيلي محدث القرن السادس الهجري"، مجلة الأصالة، العدد19، ص ص260-264.

[63] عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص 35، 36.

[64] الغبريني، المصدر السابق، ص215.

[65] الغبريني ’نفسه، ص 161، الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص 111.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

[66] الغربني، المصدر نفسه، ص 91.

[67] عبد القادر خلادي 'أبومدين الغوث دفين تلمسان (820 – 894هـ) مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، أوت 1975، ص511.

[68] أمينة بوتشيش، بجاية دارسة تاريخية و حضارية مابين القرنين 6 – 7هـ/ 12 – 13 م ، مذكرة ماجستر، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2008، ص76.

[69] حسن الوزان، "وصف إفريقيا"، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضري، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 50

[70] أبو زكرياء يحي بن أبي علي المشهور بالزواوي (ت 611م) ولد في بني عيسى من قبائل زواوة، قرأ بقلعة بني حماد، ارتحل إلى المشرق للدراسة، ثم عاد إلى بجاية أين جلس لنشر العلم بها، ينظر الغبريني، المصدر السابق ص 135 – 139.

[71] الغبريني' نفسه، ص 138 – 139.

[72] نفسه ، ص 163.

[73] هو أحمد بن ادريسي البجائي كبير علماء بجاية ومن أشهر حفظة مالك كان حسن التعليم، وكثير التأليف أخذ عنه العديد من العلماء أمثال عبد الرحمن الرغليسي، وعبد الرحمن بن خلدون، محمد بن عمر الهواري توفي بعد سنة 760، ينظر: التنبكتي، نيل الانتهاج بتطريز الديباج، على هامش ديباج ابن فرحون، الطبعة الأولى ، مطبعة الفحامين، القاهرة، 1351هـ، ص99.

[74] عبد المنعم القاسمي الحسني، "أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى"، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007، ص69

[75] أمينة بوتشيش المرجع السابق، ص 67.

[76] علي أمقران السحنوني، "هذا الشيخ المجهول أبو زكرياء يحي العيدلي"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد4، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص39

[77] هو أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير برزوق ولد سنة 846 هـ/ 1442م، وهو الفقيه المحدث الصوفي والزاهد، ألا ارتحل إلى تلمسان ودرس على ايو الحافظ التنسي والسنوسي وابن زكري ثم عاد إلى بجاية وتتلمذ على يد عبد الرحمن الثعالبي والمشذالي، له تاليف منها قواعد التصوف، وعيوب النفس" ، توفي قرب طرابلس سنة 899هـ / 1495م، ينظر التنبكتي ، المصدر السابق، ص 130 – 134.

[78] يحي بوعزيز أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995، ص42، 43.

[79] علي أمقران السحنوني، المرجع السابق، ص 43، عمار الطالبي، الحياة العقلية في بجاية، الفلسفة الكلام والتصوف، مجلة الأصالة العدد 19، ص172.

[80] محمد نسيب، المرجع السابق، ص 169، 219، عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص91.

[81] مريم بوعامر، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى و دورها في الإزدهار الحضاري مابين 7 و 9 هـ /13و16 م ،مذكرة ماجستير تلمسان 2010 ، ص63.

[82] أبو الحسن علي الأندلسي القلصادي، **"رحلة القلصادي"** ، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1978، ص 115.

Attallah Dhina, op-cit, p 310.

[83] الغبريني، المصدر السابق، ص 173، حبيب رزاق، المقال السابق، ص 116.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

[84] محمد عبد الله التنسي، **"الجانب الأدبي من مخطوطة الحافظ التنسي التلمساني نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك الدولة الزيانية"**، تحقيق وتعليق وتقديم محي الدين بوطالب، منشورات دحلب، الجزائر، 1993، ص ص 31،29.

[85] إسماعيل العربي، "بجاية من خلال النصوص الغربية (مارمول)، مجلة الأصالة، العدد19، ص 79، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 50.

[86] البيمارستان كلمة فارسية تتألف من كلمتين بيمار بمعنى مريض وستان " وتعني دار المرضى" ينظر: أحمد عيسى، **"البيمارستانات في الإسلام"**، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص ص 9-10.

[87] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص50، محي الدين بوطالب، الجانب الأدبي من مخطوطة الحافظ التنسي، ص 29-31.

[90] علي حسن الخربوطلي، **"الحضارة العربية الإسلامية (حضارة السياسة والإدارة والقضاء والحرب والاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم والثقافة والفنون)"**، ط2، مكتبة الخانجي، 1994، القاهرة، ص264.

[91] حول تحبيس الكتب ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص37، ص239، ص336، ص340. وحول النوازل المتعلقة باستعارة الكتب ينظر: نفس المصدر السابق، ج 5، ص 274-275.

[92] حبيب رزاق، المقال السابق، ص 114.

[93] الغبريني، المصدر السابق، ص 79.

[94] Cherbonneau, **Aicha Poète de Bougie au 7eme siècle de l'hégire** , revue africaine, 1859-1860, OPU, Alger, p34.

[95] الغبريني، نفس المصدر السابق، ص ص94-95.

[96] راجع ترجمته في الفصل الثالث.

[97] الغبريني، المصدر السابق، ص 189.

[98] راجع ترجمته في الفصل الثالث.

[99] حبيب رزاق، المقال السابق، ص 116.

[100] راجع ترجمته في الفصل الثالث.

[101] مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص263.

[102] زينب رزيوي، المرجع السابق، ص115.

[103] رابح بونار، **"عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر"**، مجلة الأصالة، العدد19، الجزائر، 1974، ص ص303-313.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

قراءة في أنثروبولوجيا الجزائر من 1830 إلى 1962.

Reading in the anthropology of Algeria from 1830 to 1962

د. بن عرفة إبراهيم *: أستاذ مؤقت بجامعة علي لونيسي، البليدة 02.

د. بشيرة عالية *: أستاذ محاضر - أ- بجامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة.

تاريخ الإرسال: 20 / 02 / 2019	تاريخ القبول: 2019/05/22	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

تعد الأنثروبولوجيا علما فتيا في الساحة الاكاديمية، له الكثير من الاسهامات في الساحة العلمية في الدراسات الحقلية، وقد كانت مرتبطة دوما بصفة الاستعمار وغالبا ما يتم وصمها بهاته الصفة، غير أنها قدمت للجزائر دراسات هامة وحساسة في عدة ميادين كان ولا بد من الرجوع إليها، لمعرفة مواطن التغيير والتحول الاجتماعي الذي يعرفه المجتمع الجزائري في حراكه خصوصا في العصر المعاصر ولئن كانت الأنثروبولوجيا تشهد نهضة معرفية وثقافية إلا أنها لا تزال ترتدي لباس الغرابة لدى الطلاب والأساتذة، لذا كانت ورقة بحثنا هاته موجهة نحو قراءة لعلم الأنثروبولوجيا في محور تخصصي هو الأنثروبولوجيا الجزائرية التي تعد الجزائر ميدانها الأساسي للدراسة خصوصا الدراسات المعمقة في الفترة الإمبريالية مع أهم الكتاب وإضافتهم للجزائر ولهذا العلم .

الكلمات المفتاحية: أنثروبولوجيا; الجزائر; الاستعمار; **الكتابة الحقلية; المجتمع الجزائري.**

Summary :

Anthropology is considered a young science in the academic arena. It has a lot of contributions in the field studies scientifically, and it has always been associated with colonization and it is often stigmatized by its nature; however, it has provided Algeria with important and sensitive studies in several fields which must been referenced to know the place of change and social transformation that Algerian society knows in its mobility, especially in the contemporary era. While anthropology is witnessing a renaissance of knowledge and culture, but it still wears the oddity dress for both students and professors. Therefore, this research paper is directed towards reading anthropology in a specialized field: The Algerian Anthropology, which consider Algeria as a primary field of study, especially for deep studies in the imperialism period with the most known writers and their additions to Algeria and to this science .

Keywords : Anthropology; Algeria; colonization; Field writing; Algerian society.

* د. بن عرفة إبراهيم، أستاذ مؤقت، جامعة علي لونيسي البليدة 02، أنثروبولوجيا عامة، bbenarfa@yahoo.com

* د. عالية بشيرة، أستاذ محاضر -أ-، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، علم الاجتماع الثقافي، aliabachira@gmail.com

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة :

«Il y une Algérie des anthropologues .L'Algérie des chimères et des idées historiquement condamnées, mais singulièrement vivaces. Le crâne colonial pèse aujourd'hui encore sur la connaissance de L'Algérie-et celle qu'elle tente de libérer à son profit ..... »[1]

لفت انتباهنا هذا المقطع الذي ابتدأ به كتاب جون كلود فاتان وفيليب لوكا المعنون ب جزائر الأنثروبولوجيين كتمهيد أو مدخل عام لهذا الأخير، والذي ألفه الكاتبان اعتمادا على جملة من الدراسات الحقلية التي كانت الجزائر أرضا خصبة لها خصوصا في الحقبة الاستعمارية، والتي نادرا ما نجد دراسات أو كتابات أخرى تتناولها بعد نهاية تلك الحقبة بالرغم من غزارة الإنتاج المعرفي والعلمي في جميع الميادين، وهو ما ساهم في تكوين إشكالية كبيرة لدى نخبة المثقفين والباحثين الأكاديميين، وحتى الطلبة الجامعيين لأن الجزائر كانت ولا تزال أرضا خصبة بتنوعها الثقافي والجغرافي، ومهدا للبحوث الأنثروبولوجية والفكر الإناسي، وما دفعنا للأخذ بهذا الطرح هو أن الجزائر مرت بعدة أشكال من الحكم والاستعمار مما ساهم في دفع وتنشيط الحركة المعرفية، سواء كانت ذات أغراض علمية أو محل أطماع استعمارية إبان الإمبريالية الفرنسية على طول قرن و32 سنة من الاحتلال: فما السبب في القطيعة مع هاته الدراسات بصفة خاصة؟ حيث لا نجدها متوفرة في المكتبات الجامعية سواء باللغة الأصلية أو حتى مترجمة؟ كما أن القطيعة مع علم الأنثروبولوجيا هي قطيعة عامة فكلما ذكر هذا العلم إلا وتم ربطه بالسياسة الاستعمارية ؟

من هذا المنطلق سنحاول في هذا البحث الكشف عن أهم الكتابات ذات الصبغة الأنثروبولوجية التي تناولت الجزائر كحقل ميداني لها، ونبرز أهم المواضيع التي تطرقت إليها، كذلك محاولة فهم القطيعة التي وأدت هذا العلم في بلادنا لفترة من الزمن، والتأسيس لمحاولات في أنثروبولوجيا الجزائر.

أولا :البدايات الأولى للكتابات الحقلية في أنثروبولوجيا الجزائر

بعد اكتشاف العالم الجديد وقع نوع من الغرابة أثناء دراسة الشعوب المسماة بشعوب العالم الثالث، نظرا لطبيعة تركيبتها الاجتماعية وطريقة عيشها والأنظمة التي تسير طريقة حياتها، حيث مازالت تعيش على السليقة في نظام اجتماعي قبلي عشائري يسيره الإنتاج المشترك والاكتفاء الذاتي، وتقاسم الإنتاج سواء من الزراعة أو الصيد وهو ما يعتبر جديدا كل الجدة عن هؤلاء الرحالة والدارسين أو بالأحرى نظرة الغلو والنزعة الإيديولوجية المركزية التي كانت تميزهم ورؤيتهم للآخرين بأنهم أبعد ما يكون

[1] P .Lucas & J .C. Vatin : L'Algérie des anthropologues ,FM/Fondation ,paris 1975, P 07.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

على الحضارة[2]. وتم طرح التساؤل الآتي: ما هي الميكانيزمات التي يجب وضعها في دراستنا لها؟ وهل مرت بتطور معقد أو خط تاريخي وصولا لما هي عليه اليوم؟ أم أننا وجدنا أنها وليدة الصدفة؟

بناءا على ما سبق نستطيع القول بأنه ظهر نوع من الإناسة من أجل تطوير هاته الشعوب وحتى لا يحدث خلط، ونعتبر بأن الأنثروبولوجيا وليدة الاستعمار لأن الكتابات التي كتبت استعملت ككتابات تجارية، الغرض منها هو البحث عن مصادر طاقوية وبديلة ومواد أولية تحتاجها مصانع الثورة الصناعية في فترة الازدهار الأوروبية، وعليه يلزمنا التحقيق في ذلك بكل علمية وأمانة موضوعية، فكيف نتصور الآخر الذي سيتم استعماره لأن الاستعمار وفي بداية نهايته إكتشف في الشعوب النامية وبصفة خاصة إفريقيا (الفلاح والعامل والكائن الاجتماعي باختصار الإنسان، بدل الكائن الغريب البدائي، باني الأنظمة ما قبل المنطقية)[3].

وعليه نستطيع التأكد بأن معظم الكتابات لم تكن من طرف أكاديميين مؤهلين علميا بل متعددة من طرف رحالة رجال دين سياسيين عسكريين وتطغى عليها الصبغة الكنسية الدينية[4]. والتي من خلالها تم إرسال حملات تبشيرية على إثرها تم تشييد عدة مدارس وكنائس من خلالها درست الشعوب المغاربية بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة من حيث نمط العادات والتقاليد والعرف والقانون والوضع الاجتماعي بشكل شبه علمي .

ولكن ما الذي دفع بالأنثروبولوجية الشهيرة فاني كولونا Fanny Colonna إلى القول لا بد من غربلة هاته الدراسات وتحقيقها وتدقيقها لتفادي الوقوع في الذاتية وتقصي الموضوعية لصناعة علم قائم بذاته. ربما هذا يرجع إلى أنه لما أيقن العلماء بأن هذا العلم ارتبط بالمصلحة الكولونيالية قاموا بنقده (العلم) من أجل تخليصه من براثن الاستعمار وعلى سبيل الذكر: كلود ليفي ستراوس Claude Lévis Strauss في كتابه الفكر المتوحش أثناء نقده لجون بول سارتر Jean Paul Sartre صاحب كتاب نقد العقل البدائي هذا الأخير يكتب من منطلق ماركسي فلسفي بحت، [... بأنه يستحيل على المجتمعات البدائية امتلاك عقل منطقي...] ، وهو ما فنده ستراوس Strauss في أبحاثه وكذلك كتابات جون كوبانس Jean Copainsوكيف يبين لنا أن الاستعمار له مصالح من خلال الاكتشافات التي يقوم بفضلها بنهب خيرات وثروات هاته البلدان.

هنا اختفت أطروحة البدائي السعيد الذي لا هم له سوى رغد العيش، لتحل محلها أطروحة الإنسان الجامد المتحجر الكسول فهو ثمرة طبيعية معطاء: (...إذا كانت الأرض خصبة والمناخ مناسبا

[2] جمال معتوق، الانثربولوجيا المداخل النظرية والمفاهيم، دار الكتاب الحديث،القاهرة، 2016، ص 38.

[3] جيرار ليكليرك، الأنثربولوجيا والإستعمار،ت جورج كتورة، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990، ط2، ص 23.

[4] علي محمود اسلام الفار : الانثروبولوجيا الاجتماعية الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص 23.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والمياه جارية، تسقط الثمرة لوحدها فلا تنتظر قيام صناعات في مثل هذه المناطق أما أين يوجد مناخ يارد قاسي يمكن إنتظار إنتاج غزير ومتنوع...)[5]، وهذه هي حجة الاستعمار من خلال مثل هذه البحوث.

ثانيا : حالة المجتمع الجزائري قبل الاحتلال

لقد أقر المفتش العام للمعارف بفرنسا موريس كروزويه Maurice Crozet في كتابه تاريخ الحضارات العام بأن جل الاكتشافات التي كان يقوم بها الأوروبيون تدخل في إطار شهوانية الرغبة، الرغبة في الربح وتحقيق مدخول تجاري اقتصادي يدر الأموال الطائلة لدول أوروبا القديمة والمتنافسة فيما بينها للظفر بخيرات القارة السوداء كما قال: (... الحضارات القائمة في هذه الأقطار الجاهلة لأصول الكتابة في أدنى صورها والعاجزة عن الاحتفاظ بمدوناتها البدائية، تكون السواد الأعظم مما تقع عليه العين من أنماط أخرى متغايرة ... فالمستندات الوحيدة المتوفرة، تتألف من عدة كتب: حول إفريقيا الشمالية، بلاد الزنج، العرب والبربر، بعض العلائق عبر التاريخ ...)[6]، ومما كتب عن الجزائر بأنها كانت خاضعة لنظام الدايات والداي ينتخب عادة من طرف ضباط الانكشارية، وقد وقع حوالي 14 إنقلابا أدت إلى موت الحاكم العام في كل مرة من بين 30 دايا، تعاقبوا على حكم البلاد في الفترة ما بين 1671 و 1818 وكانت الصناعة الشهيرة التي تمتاز بها آنذاك هي القرصنة البحرية، بالإغارة على السفن التجارية والبحرية إلى أن تشكل أسطول قوي، بلغ عتبة 27 سفينة حربية مجهزة ما دفع بالدول الأوروبية إلى دفع إتاوات للداي من أجل سلامة سفنها، ونظرا لكساد صناعة القرصنة وعدم وجود صناعة بحرية ذات أسس علمية ولقلة الاهتمام بالأسطول الجزائري آخذ يتآكل عبر الوقت حتى بقيت 10 سفن عام 1788 وذلك كان لتردي الزراعة والجفاف، وجلب الأوبئة الدخيلة من أوروبا عن طريق الشركات التجارية حتى أنتشر وباء الطاعون أكثر من مرة وأدى إلى أزمات صحية كبرى عانت منها الجزائر، زد على ذلك أعباء الضرائب الثقيلة التي كانت تثقل كاهل النظام الاجتماعي القبلي، والتي كانت تقوم بحروب وانتفاضات داخلية على تلك الإتاوات المجحفة، ما عجل في سقوط الدولة الجزائرية أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر .

ثالثا: الاسقاطات النظرية على البناء الاجتماعي الجزائري

ساهمت البحوث الأنثروبولوجية والاجتماعية التي كان المجتمع الجزائري مخبرا خصبا وحقلا مميزا لها، بعمليات هدم وتفكيك التركيبة الاجتماعية ودراستها دراسات مفصلة وعميقة وتوصلت إلى نقاط قوته وضعفه، وإيجاد السبل المناسبة للتحكم في الأوضاع التي يعيشها ونذكر منها نظريات التحليل السائدة في تلك الفترة :

[5] المرجع نفسه، ص 19

[6] موريس كروزويه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر وفريد م داغر، منشورات عويدات، بيروت/باريس، 1987، ص 345.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

1 تحليل فالونسي (valloncié):

نجد الكثير من المفكرين قد إعتمدوا على الجانب الإنتاجي لتفسير بنية المجتمع الجزائري من أمثال فالونسي valloncié) وكارل ماركس (Carle Marx) وقد استنتجت فالونسي بأن المجتمع الجزائري ليس إقطاعيا، بحكم أن الفائض الذي يمكن استخراجه من الفلاحين كان ضعيفا جدا، والفائض في الإقتصاد يعتمد على التقنية والتقنية غير موجودة في مجتمع يعتبر فلاحيا رعويا، وبالتالي انعدام العبودية وهو ما يفسر عدم وجود نظام إقطاعي ومنه فالفرضيات التي صورت بأن المجتمع هنا مجتمع إثني قد فندت تماما، وذلك لانصهار الفروقات الاجتماعية في اللحمة البنائية الكلية للمجتمع الجزائري وهذا التيار يمثله بيار بورديو(Pierre Bourdieu) في دراسته لمنطقة القبائل والميزاب والوسط[7].

2 تحليل كارل ماركس (Carle Marx) :

أما ماركس (Marx) فقد اهتم بأسلوب الإنتاج في الجزائر، وذلك بعد زيارة قادته إليها بعدما تعّرض إلى صدمة نفسية عميقة، أواخر عام 1881 إثر الوفاة المفاجئة لزوجته ورفيقة حياته جيني فون فستفالن، مما جعل صحته المتدهورة أصلاً تزداد سوءاً. فقد كان ماركس مصاباً بالتهاب حاد في المجاري التنفسية وتورم في ألياف القفص الصدري، إضافة إلى أنه كان مدخناً شرهاً ومصاباً بأمراض جلدية مزمنة تمنعه دائماً تقريباً من الاغتسال، وبات يخشى من زحف الالتهاب الصدري إلى دماغه، فقرر بناءً على نصائح الأطباء وصديقه فريدريش إنجلز(Frederick English) وأفراد أسرته أن يمضي فصل الشتاء في مدينة الجزائر، ليواصل علاجه هناك، مستفيداً من اعتدال المناخ[8]وأنتج خلال تلك الرحلة كتابا بعنوان الملكية الجماعية للأرض وأسباب انحلالها، التاريخ والنتائج قائلا بأن: (... الجزائر بعد الهند هي التي تحتفظ بالشكل العتيق للملكية العقارية حيث كانت فيها الملكية القبلية والعائلية غير المنقسمة أوسع أشكال الملكية إنتشارا، وقد عجزت قرون من السيطرة العربية والتركية وبعد ذلك الفرنسية عن تحطيم التنظيم المبني على الدم عدا الفترة الأخيرة...)[9]. وهنا يتضح لنا أن ماركس يحاول أن يفهم البنية الإجتماعية الجزائرية[10] بمنظور إنتاجي من خلال :

الملكية المشاعية مثل لحوم الحيوانات وألبانها

[7] رابح درواش وعبد القادر خريبش، الانثروبولوجيا العامة ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،2011 ،ط1،ص 183.

[8] مقال أنترنت الوسيط على الخط :http://www.fobyaa.com/2015/03/ تاريخ الدخول 2019/01/13 مقالة عن ماركس والجزائر من كتاب Marlene Vesper: Marx in Algier, Bonn 199.

[9] كارل ماركس وفريديريك إنجلز:الماركسية والجزائر، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص 55.

[10] رابح درواش وعبد القادر خريبش، نفس المرجع السابق ،ص 187.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

استقلالية ذاتية في القضاء ومجالس القبائل

توزيع الأرض وفقا لمجلس القبيلة والاستثمار الجماعي

أشكال الأسرة الممتدة ونظام الإرث والهدايا والهبات وتقسيم العمل .

3. بعض الكتاب الآخرين :

كما نجد آخرين من أمثال جورج كوندوميناس (Georges Condominas)وجورج بالونديه (Georges Balandier) وروبرت جوليان (Robert Juliane)نادوا باستقلال الشعوب وبينوا الضبابية التي تتسم بها تلك الكتابات، ففي الجزائر تم رفض الانثربولوجيا بحكم أنها علم الاستعمار وتم الابقاء على CRAPE مركز البحث في الانثربولوجيا وما قبل التاريخ الموروث من فرنسا بتسيير مولود معمري، وكان هذا المركز يصدر مجلة شهيرة يصف فيها الوضع العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني لجميع مناطق الجزائر تسمى ب LA LYBIKA وكانت أيضا لروبرت جوليان محاولات في مجلة la pié blanche .

أما كتاب جزائر الانثربولوجيين فقد أشار صاحبه إلى أن نسبة الأمية في الجزائر حسب الدراسات التي تعاطاها، كانت شبه منعدمة عكس فترة ما بعد الاستعمار لأنه كان هناك نظام تعليمي قائم بذاته يعتمد على الزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على بعد النظام الديني الإسلامي وتحكمه في مجريات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الجزائر، ويمكن أن نقسم الكتابات في السياق التاريخي إلى ثلاث مراحل :

1. المرحلة الأولى 1830 إلى 1871 : كتابات يطغى عليها الطابع العسكري وجلها مفبركة من الضباط الفرنسيين
2. المرحلة الثانية 1871 إلى ح ع 1 : خليط موزع في عدة اتجاهات .
3. المرحلة الثالثة 1919 إلى 1954 : كلها حول الحركات التحررية وعصبة الأمم والحركة الوطنية وطريقة إخراج المستعمر .

كما نجد كتاب أبحاث وأراء في التاريخ الجزائري لصاحبه أبو القاسم سعد الله من أحسن الكتب، التي ألفت في السياق التاريخي الجزائري بصيغة أدبية رفيعة المستوى تحدث فيها بتفصيل دقيق عن الأوضاع العامة، التي تسود الجزائر خلال تلك الفترة .

كما ظهر إلى العيان بورديو Bourdieu وقيرتز Girtez وجاك برك Jack Berque وارنست قلنر Ernest Gillner في دراسات حول المغرب العربي على أساس أنه يمثل وحدة مشتركة وثقافة جغرافية متماسفة، والبنى الإجتماعية جد متقاربة وكانت خضعت تقريبا لاستعمار واحد هو الاستعمار الفرنسي، ويقول بيرك

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

Berqueدفاعا عن هاته الشعوب (... لا يجب نهب الآخر، يجب تذوقه كما هو... إن الإلهام الغريب والحشرية العلمية هما بديل الامبريالية، طالما أنها تحيل الديانة إلى توهم والحق إلى عادة والفن إلى فولكلور)[11]وهنا يقصد التخلي عن النزعة الهمجية والعنف المستعمل مع الأهالي، فلهم الحق في العيش على أرض ليست ملكنا بل توارثوها عن أجدادهم و إن أردنا الدراسة أجرينا دراسة علمية، لنضفي على هؤلاء الطابع التحضري المدني .

كما بين من جانب آخر معاناة الجزائريين بمقولة (... إن تفكير المسلمين في العصر الحاضر قد طلق الحياة التي يعيشونها، لأن ضميرهم الذي يزداد عذابا كل يوم أكثر، أصبح يتطلب أيضا أشياء جديدة كل يوم أكثر تسمى الوعي أو الشعور...) بمعنى أن الحركة الحضارية بدأت المسير ويلزم أن يكون سيرها خلاقا ويأتي بشيء جديد للدولة[12].

إضافة إلى ذلك يعد مفهوم التعاضد الآلي الذي أسسه دوركايم (Emile Durkheim) بعد اطلاعه على أعمال كل من A.Hanateau/A.Letourneau حول عادات المجتمع القبائلي في الجزائر، حيث لاحظ هذان الباحثان أن هناك منطق ذو طبيعة اجتماعية وليس بيولوجية للترابط الدموي والعلاقات القرابية، حيث يتكافل أفراد المجتمع هنا آليا في أي عمل يقومون به من فلاحة وحصاد، وجني للمحصول وطقوس احتفالية إلخ....

في ذلك الحين تأسس قسم L'Action Sociale بعد الحرب العالمية الثانية في الجزائر، من طرف فرنسا في جامعة الجزائر وظهرت الحركة الوطنية الجزائرية مطالبة بالاستقلال نسبة للمد التحرري، فأسند هذا القسم لجيرمان تيون (Germaine Tillion)خشية ضياع المصالح الفرنسية في الجزائر، ولأنها كانت سوسيولوجية متمكنة في المكتب وانثروبولوجية في الميدان وذات طرح إنسانوي تقربت من جميع الأهالي، وتمكنت من إقامة علاقات وطيدة هاته العلاقات هي التي جعلتها فيما بعد تتبنى أفكار الاستقلال وجندت في تلك الفترة بورديو Bourdieu الذي كان يقوم بالخدمة العسكرية في منطقة القبائل، القل والشلف.

هذا الأخير أسس لنظرية رأسمال الاجتماعي والعنف الرمزي، المرتبطان أساسا بمفهوم الشرف وعليه فالاحترام بين الأفراد يسوده نوع من رأس المال الرمزي[13]، لأنه ينبع أساسا على سبيل المثال بين فالعلاقة بين الأب والأبناء داخل الأسرة الجزائرية من رأس المال المادي الذي هو مقدار تلبية الحاجيات والأساسيات الضرورية، للأبناء من طرف الأب أو رأس المال المعرفي مقدار المعرفة العلمية التي يمتلكها

[11] جيرار ليكليرك، نفس المرجع السابق، ص 43.

[12] عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 199.

[13] Lahouari Addi, Pierre Bourdieu, l'Algérie et le pessimisme anthropologique, article publier au revue des sciences sociales, université de sétif, n° 19 année 2014, P 09.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الفرد داخل أسرته ومحيطه في المج الجزائري وخصوصا المعرفة الدينية مما يفرض عليهم احترام ذاك الشخص، زد على ذلك فالمجتمع هو مجموعة طبقات سواء احببنا ام كرهنا وهذه هي النظرية، التي انطلق منها بورديو Bourdieu لفتح الباب ولو دون شعور للمعارف الانثروبولوجية حتى تستشف مصادرها من المعرفة العلمية، وتؤسس لها عن طريق الفينومينولوجيا أي الظاهرتية جميع الظواهر الاجتماعية، فالفرد ليس كما هو يريد أن يكون بل هو محدد اجتماعيا حسب طبيعة المج الذي يكون فيه.

لنجد تأكيدا على ذلك من جاك برك (Jack Berque) ابن مدينة فرندة في تيارت والذي أسندت له مهمة تولي المكاتب العربية، والتي ورثته من النظام العثماني حيث أسست فرنسا نظاما خاصا بالأوروبيين ونظاما خاصا بالأهالي، أحدثت من خلاله قطيعة معهم مع فرض الرقابة التامة عليهم، وتمكن بيرك من التملص من شرك الاستشراقيين والغوغاء التقليدية، التي تمجد مقولة البدائيين والبرابرة ويعد كتابه les structures sociales du haut atlas مرجعا رئيسيا في القبيلة لكثير من الباحثين والمشاهير في علم الاجتماع، لأنه تناول البنى الاجتماعية والتمثلات للأفراد حول الإسلام، وتأويل الثقافة إلى حد الاستعانة ببعض الآيات من القرآن في مقارباته العلمية ما أعطى لهاته الكتابات نوعا من الاستقامة، لأنه درس الزوي والطرقية والصوفية والأضرحة، الإخوان، العلماء والطبقات الاجتماعية المهمشة دراسة موضوعية دقيقة .

رابعا : التأسيس لأنثروبولوجيا الجزائر ما بعد الفترة الاستعمارية

في هذا الوقت من بدايات القرن العشرين ظهرت اتجاهات مختلفة في العالم تنادي بفصل الدين عن الدولة، وهو ما كانت تسعى له الادارة الفرنسية في الجزائر ولكنها ومع كل التجارب فشلت، مع نجاحها نجاحا نسبيا في بعض الخطط وعليه يمكن القول بأن الجزائر كانت ولا تزال مرجعا أساسيا، في الخطاب الانثروبولوجي وذلك بفضل:

1. وجود منهجية عمل خاصة في الحقل الدراسي الجزائري فالمتتبع لكتابات هؤلاء السابقين وغيرهم من أمثال ايميل ماسكوراي (Emile Masqueray)يرى بتداخل الجوانب الاقتصادية السياسية، الاجتماعية، الثقافية ولم يستطيعوا فصل السياسة عن الدين
2. استمرارية العادات والطقوس الممارسة في الوسط الشعبي الجزائري بجميع أطيافه الثقافية. وما يعاب على الباحثين الجزائريين هو عدم نبشهم في هاته الكتابات ومحاولة فهمها ونقدها وتفكيكها، وإعادة بنائها خدمة للبلاد نتيجة لما حدث بعد الاستعمار وصعوبة إنشاء دولة القانون، التي تعتمد على آليات الإنتاج والاقتصاد الحر لأننا كنا في معظمنا ولا زلنا عبارة عن مجتمع ريفي قبلي مصغر ومكبر حسب طبيعة التماسفات الجغرافية الجزائرية .
3. الجامعة الجزائرية كانت رهينة الخطاب المسيس الذي يرى بأن تطور المجتمع يلزم أن يخضع لإرادة السلطة، والقطيعة مع الاستعمار في جل أشكاله .

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الجامعة الجزائرية نالت من بيير بورديو (Pierre Bourdieu) بتبنيها في فترة ما لأطروحات فرانس فانون (Franc Fanon) التحررية وكانت ترى بأن بورديو عبارة عن حكواتي الى أن ظهر العكس .

ففانون كان ينادي بالطروحات الماركسية الاشتراكية ومحو طبقة البروليتاريا وتقاسم ثروات الشعب بين الشعب ويحسب عليه موقفه الارتجالي، في رسالة استقالته الشهيرة التي وجهها إلى الحاكم العام في الجزائر من منصبه كطبيب في مستشفى الأمراض العقلية، إبان حرب التحرير يقول : "...إن الإنسان العربي في الجزائر يحس بالغربة والوحشة في بلده .. إنه يعيش في حالة تجريد من آدميته .. إن البناء الاجتماعي الذي فرضته فرنسا على الجزائر يعادي كل محاولة لانتشال الفرد الجزائري من حالة عدم الآدمية، وإعادته إلى حالة الآدمية التي هو بها جدير .. "[14] وقد تكشفت لفانون من خلال عمله العلاجي، عقد النقص التي غرسها وعمقها الرجل الأبيض في الفرد الجزائري .. تكشفت له الأساليب الأوروبية في امتصاص دماء الكرامة من شرايين الفرد الجزائري، وإحلال الخوف والمذلة والمهانة مكانها.

أما بورديو فيقول كلما كنا فقراء كلما كنا ثائرين، ونملك القوة لمشروع تطبيقي للمستقبل. وقد عبر عن ذلك عدي الهواري في مقالة الحدود الايديولوجية للوطنية الجزائرية قائلا بان بورديو دعم الثورة ضد النظام الاستعماري ولم يدعمها كأنها تحمل مشروع سياسي حداثي.

ومنذ انتهاء الامبريالية أصبحت المواقف للشعوب النامية وخاصة المنطقة العربية أكثر حدة، كما بدا ذلك من خلال المهرجان الثقافي بالجزائر سنة 1969، حيث تم الإقرار برفض الانثربولوجيا الغربية بواسطة قيادات ورجالات العالم الثالث، حتى لا يتم تجاهل إرثهم الخاص، من خلال طرح الإشكاليات السابقة، البدائية والغرائبية وعقدة التفوق العرقي للمجتمعات الأوروبية كما يقول ليفي ستراوس (تخشى الشعوب الخارجة من الاستعمار إن تتحول الدراسة الاثنوغرافية التي تبحث عن التميز الإنساني إلى بحث عن مساواة غير مقبولة بين التحضر والاستعمارية) .

خاتمة :

ارتبطت الدراسات الإنسانية والبحوث التاريخية إلى فترة ما بأرشيف الإدارة الاستعمارية، وكل محاولة لفكها من قيودها تلاقى بسيل من الانتقادات والصعوبات و إما الفكرية أو المرجعية النظرية أو لقلة المراجع وضعف التكوين، وهو ما ساهم في جعل هذا العلم ضحية لنرجسية كل من الإدارة والجامعة الجزائرية على حد سواء فهو يلاقي عدم القبول نظرا لتاريخه المليء بالمغالطات من جهة، ولعدم تقبله من بعض الجهات المتفردة بالسيطرة على دواليب النظام التعليمي من جهة أخرى ولعدم وضحه في سوق العمل أيضا، وهو ما يجعل المدافعين عنه في عملية سجال عقيم ربما سببه أن من كتب عن تاريخ الجزائر وحاول في المضي قدما، ربما تأثر بأصوله الاجتماعية وبالبيئة السياسية المحيطة به وعمل بالوسائل

[14] مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي للنشر، بيروت، لبنان، 2005، ط 9، ص 35.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المنهجية والفكرية المتعارف عليه آنذاك، ولكن وفي الحين ذاته وعند عجز العلوم الإنسانية عن تفسير الظواهر الاجتماعية نجد اليوم سباقا كبيرا من طرف الجامعات الجزائرية لإعادة تبني هذا الاختصاص والتأطير فيه بمراكز بحث حكومية وغير حكومية وهو ما يشجع حركة البحث العلمي في هذا المجال .

المراجع :

1. P .Lucas & J .C. Vatin, L'Algérie des anthropologues ,FM/Fondation ,paris 1975 .
2. Lahouari Addi, Pierre Bourdieu, l'Algérie et le pessimisme anthropologique, article publier au revue des sciences sociales, université de sétif, n° 19 année 2014
3. جمال معتوق، الانثربولوجيا :المداخل النظرية والمفاهيم، دار الكتاب الحديث،القاهرة، 2016.
4. جيرار ليكليرك، الأنثربولوجيا والإستعمار،ت جورج كتورة، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990، ط2.
5. رابح درواش وعبد القادر خريبش، الانثروبولوجيا العامة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011.
6. عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

7. علي محمود اسلام الفار ، الانثروبولوجيا الاجتماعية الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية، دار المعارف، القاهرة، 1984 .

8. كارل ماركس وفريديريك إنجلز، الماركسية والجزائر، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1978.

9. مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي للنشر، بيروت، لبنان، 2005، ط 9 .

10. موريس كروزويه، تاريخ الحضارات العام، ت : يوسف أسعد داغر، فريد م داغر، منشورات عويدات، بيروت/باريس، 1987.

11. الوسيط على الخط، http://www.fobyaa.com/2015/03/ تاريخ الدخول 2016/01/13
مقالة عن ماركس والجزائر من كتاب Marlene Vesper: Marx in Algier, Bonn 199

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

القول الفلسفي من حضيض التقليد إلى آفاق الإبداع
طه عبد الرحمن المنظر والأنموذج
The philosophical saying from the bottom of tradition to the horizons of creativity
Taha Abdul Rahman Al - Manar and the model

نادية درقام * أستاذة محاضرة (أ)، قسم الفلسفة، جامعة وهران2.

تاريخ الإرسال: 2019/05/12	تاريخ القبول:2019/05/22	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

اتخذ طه عبد الرحمن موقفا سلبيا من القول الفلسفي العربي بسبب استغراقه في التقليد،فهناك هوة كبيرة بين القدرة على الترجمة والقدرة على الإبداع، وهكذا يسقط طه عبد الرحمن قناع التجديد و الإبداع على بعض المقلدة، الذين كرسوا التبعية للآخر.

يرى طه عبد الرحمن أن نحت المصطلح قضية مفصلية في تفعيل العقل العربي والإسلامي، فهو دليل على اشتغال النظر الذي ينتج فكر وفلسفة، يتمظهر في نظريات مصاغة باصطلاحات جديدة أساسها الإبداع الفكري ، وبهذا تمتلك الأمة نصها الخاص بها، أو ما يصطلح به طه عبد الرحمن "القول الفلسفي".

الكلمات المفتاحية: القول الفلسفي؛ التقليد؛ الترجمة؛ الإبداع؛

Summary :

Taha Abdel Rahman took a negative attitude from the Arab philosophical saying because of his obsession with tradition. There is a big gap between the ability to translate and the ability to create. Thus Taha Abdel Rahman drops the mask of renewal and creativity on the biting of imitations, who devoted subordination to the other. Taha Abdel Rahman believes that the term carving is a pivotal issue in activating the Arab and Islamic mind. It is evidence of the preoccupation of the view that produces thought and philosophy, which is manifested in theories shaped by new doctrines based on intellectual creativity. Thus, the nation has its own text," Philosophical saying ".

Keywords : Philosophical saying, Tradition, Translation, Creativity.

* نادية درقام، قسم الفلسفة كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران2،

philo.rumi2015@gmail.com

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة:

نحن المسلمين والعرب خاصة لازلنا نواجه إشكالية التعامل مع الآخر الذي يمثله الغرب في ظروفنا الراهنة، هي إشكالية فلسفية بامتياز لها تمظهرات اقتصادية وسياسية واجتماعية، هذه الإشكالية لها جذورها التاريخية، حيث كانت إرهاصاتها الأولى مع حركة الترجمة التي عرفها المسلمين لفكر الآخر لاسيما الفلسفة اليونانية. بحكم أن العقل الإغريقي عرف بالتفكير الفلسفي وأنتج فلسفة تتجاوز انحصارها ضمن عرق أو منطقة، أو دين أو أي اعتبار آخر. لذلك كان طلب هذه الفلسفة من قبل المسلمين رغم اعتراض البعض منهم عليها بحكم أن الفلسفة الإغريقية هي منتوج لعقل وثني، وانفتاح المسلمين عليها سيؤدي بالضرورة إلى الخروج عن ملة الإسلام، هؤلاء البعض أسسوا لنزعة ترفض التعاطي مع الفلسفة ، بل إن الفيلسوف عندهم كافر، لكن رغم هذا الاعتراض ظهر الكثير من الفلاسفة داخل الفضاء العربي والإسلامي، وكانوا رواد للفلسفة الإسلامية انطلاقا مع الفيلسوف الكندي وصولا إلى الفيلسوف ابن رشد، هذه الفلسفة التي أثيرت حولها العديد من الإشكالات بين إثبات هويتها الإسلامية وقدرة العقل العربي والمسلم على التفكير الفلسفي، وبين أن هذا المسلم أقصى ما يصل إليه هو ترجمة الفلسفة الإغريقية وشرحها فحسب. إذا كانت هذه الإشكالية واجهت العرب والمسلمين وهم يعيشون حضارة إسلامية وهي في عنفوانها ما بالك والعرب والمسلمون يعيشون حالة تقهقر أمام الحضارة الغربية المعاصرة، هذه الحضارة التي ارتبط وجودها بإنتاج فلسفي ضخم أشرف على تطوير واقع الإنسان الغربي فكريا وسياسيا واقتصاديا، هذه الحضارة التي لازالت تمسك بزمام المبادرة الفلسفية إلى يومنا هذا.

هذا الواقع يثير الكثير من التساؤلات من قبيل: كيف تعامل المفكرون العرب في العصر المعاصر مع الفلسفة الغربية؟ ما هي انعكاسات التعاطي مع الفلسفة الغربية على واقع العرب والمسلمين اليوم؟ هل ساعد ذلك المفكرين العرب على إنتاج فلسفة عربية في مقابل فلسفة غربية؟ أم أن تعاطي هذه الفلسفة هو تكريس لتبعية فكرية كانعكاس لتبعية حضارية؟ أم أنها مرحلة انتقالية لابد منها؟ ماهي الهيئة الفكرية والحضارية المطلوبة أن تكون عليها الأمة الإسلامية ؟ هل هناك من قدم لنا حلا لهذه المعضلة؟

يشتغل الكثير من ممثلي الثقافة العربية الإسلامية على طرح مشاريع فكرية غايتها التخلص من التبعية الفكرية والفلسفية للآخر. ونرى أن مشروع طه عبد الرحمن الرافض للتبعية الساعي للتحقق بالاستقلالية من أكثر المشاريع تألقا من حيث وضوح الرؤية وتقديم حلول واقعية قابلة للبرهنة العقلية ذات حجاج منطقي تستحق المباحثة ،من هذا المنطلق سنحلل موقفه من التقليد وكيفية التحقق بالإبداع الفكري، ومن ثمة خروج الأمة العربية الإسلامية من التبعية للغرب. وهذا تكريسا منا لثقافة التحفيز على الإبداع ونشر الوعي بأهمية التحرر الفكري.

2. موقف طه عبد الرحمن من القول الفلسفي العربي:

هاهو طه عبد الرحمن يخوض عباب بحر هذه الإشكالية ويواجهها كرجل من رجال الفكر الإسلامي القلة الذين وهبوا حياتهم لهذا المشروع الفكري والحضاري الضخم مستخدما مختلف المعاول، حيث

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ساعده في هذا المجال اشتغاله باللغة والمنطق،واثبات مقدرة فلسفية في تناول مختلف القضايا سواء من حيث طبيعتها أو من حيث حلولها، و الأهم من ذلك التزامه بالعقيدة الإسلامية وهذا حال من يؤوي إلى ركن رشيد، فيحميه من مهالك الانزلاق في مهاوي الغيرية، وتجنب سقوط من اتبعوا أهوائهم وأطماعهم مهما بدت تلك الأطماع مزينة بمصلحة الأمة. فالهوية الإسلامية الأصيلة للمفكر المجدد طه عبد الرحمن ذو الرؤية التوحيدية، كما أن الجرأة الفلسفية التي تميزت بها طروحاته، وغيرته على واقع الإسلام والمسلمين. كل ذلك ساهم في صقل شخصية فكرية داخل فضاء الثقافة العربية الإسلامية لها موقفها الخاص من قضايا الأمة.

يعد موقف طه عبد الرحمن من القول الفلسفي العربي سلبي فهو يقول:" من ذا الذي بوسعه أن ينكر أن القول الفلسفي العربي، إن لفظا أو جملة أو نصا، هو قول مستغرق في التقليد؟أما ترى أن المتفلسف العربي لا يصوغ من الألفاظ إلا ما صاغه غيره، ولا يستعمل من الجمل إلا ما استعمله، ولا يضع النصوص إلا الذي وضعه، لا يكاد يزيد على هذا أو ذاك شيئا يكون ن إنشائه، لا ن إنشاء غيره، ولا هو، على العكس من ذلك، يكاد ينقص منه شيئا يعزى إلى تصرفه، لا إلى تصرف غيره؟"[1]

3.خطورة التقليد على العقل العربي:

إن أخطر قضية واجهت العقل العربي هي حالة الركود و الذوبان في الآخر، فعندما نتحدث عن فلسفة غربية فنحن نتحدث عن فلسفة ساهمت في نهوض أوربا حيث أصبح التفكير الفلسفي الغربي رمز لحضارة تطورت في مقابل التراجع الحضاري للمسلمين والعرب، إذ تقهقر العقل العربي وأصبح عاجزا عن مجاراة النهضة الفكرية الأوربية. فهذا الموقف العاجز أدى إلى صدمة حضارية بذلك الفكر الغربي ومجتمعه. مما دفع بالكثير من ممثلي الثقافة العربية إلى السعي إلى محاكاة الواقع الأوربي الغربي المنطلق من الفلسفة الغربية بجميع تياراتها.

إذا كان طه عبد الرحمن يرى أن تقليد القول الفلسفي من طرف ممثلي الثقافة العربية ظاهرة قديمة وهي الفترة التي ربما كانت أحسن من حيث بروز العديد من الفلاسفة المسلمين. فما بالك بالفترة الحديثة التي هي أكثر انحطاطا مقارنة منها وبالتالي فإن التقليد سيبلغ أوجه مع المتفلسفة العرب المعاصرين، ما ينطبق عليهم مقولة يتبعون كل ناعق،بحيث يميلون مع كل ميل فلسفي مالته الفلسفة الغربية لذلك يقول:" انظر كيف أن المتفلسفة العرب المعاصرين" يؤولون" إذا أول غيرهم، و" يحفرون" إذا حفر، و"يفككون" إذا فكك...، سواء أصاب في ذلك أم أخطأ؟ و قد كانوا، منذ زمن بعيد، تومايين أو وجوديين أو شخصا نيين أو ماديين أو جدليين...مثله سواء بسواء كما لو أن أرض الفكر لم تكن واسعة، فيتفسحوا فيها.[2]

[1] عبد الرحمن طه،فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان،ط1، سنة 1999، ص 11

[2] المرجع نفسه، ص 12

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ولم يقف طه عبد الرحمن عند هذا الحد من نقد هؤلاء المقلدين بل نجده في حالة تعنيف لهم مما يدل غيرته اتجاه الاستقلال بكينونة فكرية للأمة العربية الإسلامية، فهو يقول عنهم:" وقد يتقلب الواحد منهم بين هذه المنازع المتباينة من غير أن يجد غضاضة في ذلك، ولا أن يستحي من نفسه، بل مع وجود الاعتزاز بفعله وحصول الاغترار بعلمه، كل ذلك بحجة أنه ينهض بواجب " الانخراط في الحداثة العالمية" أو أنه ينهض بواجب "الاستجابة للشمولية الفلسفية"."[1] وهذه الحجج التي يقدمونها لتبرير تقليدهم هي مضروبة أساسا في بناءها الفكري، فهي مقولات مبتذلة محاطة بالزيف من جميع الوجوه.

إن التغريب الذي عرفه العرب والمسلمين منذ الحملة الفرنسية التي قادها نابليون، اتخذ في بدايته صورة التعاون بين المسلمين والغرب والانتفاع بعلم أوربا، ولكنه خلال قرن من الزمان، تحول إلى غزو فكري، يشكك في كل شيء وفقا لقيم الحضارة الغربية الوافدة.مما أدى إلى نشاط النزعة الرافضة للتعاطي مع فلسفة آخر والانفتاح عليها لأي سبب من الأسباب حتى وإن كنا بحاجة إلى سد الفراغ العلمي، هذا الفراغ الذي كان حجة للمنفتحين على الفلسفة الغربية. فالفراغ العلمي والتخبط الفكري كما يعيشه واقعنا العربي تظهره جليا سذاجة المنهجية التبريرية التي تدغدغ العاطفة لتنويم عنفوان العقل ومتطلباته القاسية.[2]

1.3التقليد وأزمة المنهج:

رغم التبريرات التي قدمها مناصرو الانفتاح، فإن هناك آثارا سلبية لهذا الانفتاح، خاصة وأن المنفتحين من المفكرين العرب على الفلسفة الغربية انقسموا إلى تيارات كامتداد للتيارات الغربية التي تنوعت مناهجها. يمكن أن نذكر بعض الآثار السلبية لهذا الانتفاخ، فنقول: إن ارتباط كل منهجية بحقبة معينة وفي مجتمع معين يعني نسبيتها وفقدانها للشمولية والتعميم، وبالتالي فإن نقلها وزرعها في غير أرضها، بشكل آلي، يصبغان عليها في البداية هالة الجدة، غير أن الافتتان بها لا يلبث أن يذبل ويتلاشى مخلفا الفراغ، فلقد حاول المفكرون العرب في العصر الحديث نقل وجودية هيدغر ثم وجودية سارتر، وكذلك جرت محاولات لنقل الوضعية الجديدة، وهي تمثل مرحلة متقدمة من الابستومولوجيا، ولم تستطع مثل هذه المنهجيات أن تتأصل وتنمو لأن الخلفية التي كانت وراء بروزها في الغرب لم تكن قائمة في أرض العرب. وهناك الآن محاولات لتطبيق أركيولوجيا ميشال فوكو على الواقع العربي فهل سيكون حظها أوفر من حظ غيرها من المنهجيات؟[3]

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2] زيناتي جورج، رجلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1993، ص 97

[3] المرجع نفسه، ص 102

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

إن عدم براءة أي منهج وارتباطه الإيديولوجي يعنيان أننا حين ننقل منهجا معينا إلى واقع مغاير للواقع الذي نما فيه، فإننا نتجاهل كل الخلفيات الثقافية والاجتماعية التي تحكمت بوجوده، وهذا سيقودنا حتما إلى أخطاء فادحة في أي حكم نحاول أن نطلقه على واقعنا.[1]

فقد عملت الفلسفة الغربية على تطوير مناهجها في التفكير مما أفرز أنساق وتيارات فلسفية عديدة شكلت العقل الغربي في تنوعه وكثرت إبداعاته في مقاربته لمختلف الإشكالات، لذلك قدم كل تيار موقفه الفلسفي النابع من أصالة العقل الغربي وتماهيه مع الإشكالات التي يفرزها الواقع الغربي. إن الحضارة الغربية هي حضارة النسبية، أي الحقيقة النسبية المحتاجة دوما لأن تكون موضع تساؤل ليصار إلى تصحيحها وتعديلها باستمرار.

من هنا فإذا كان الفكر الغربي يعيش تجربته فله أن يخطأ وتستمر حركته فيتبعها بالنقد وهذا حال أي فكر يتفاعل ذاتيا مع مختلف الإشكالات التي تواجه الفيلسوف، لكن المشكلة تكمن فيمن ينبهر بهذا الفكر الذي سيقع بالضرورة في اجترار أخطاءه، وليس هذا فحسب بل إن الفكر الغربي يعيش أزمات مختلفة مما يصعب المهمة أمام من يتبناه وذلك لأن مقومات التفلسف يفتقدها، فالذي لم يستطيع أن يعيش مخاض ميلاد الإشكالات التي تتناولها الفلسفة الغربية فهو لا محال لن يستطع أن يدرك فلسفيا الخلل الذي يقع فيه مختلف التيارات الفلسفية الغربية حين يضطر العقل الفلسفي أن يكشف عن قصور كل تيار في مقارباته الفلسفية، ولذلك فإن تأثر المفكرون العرب بهذه التيارات سينعكس على الفكر العربي في منطلقاته وتوجهاته وسيكرس الأزمات التي تعرفها الفلسفة الغربية أكثر. كما سيكون مدعاة للصراعات بين المفكرين العرب انتصار كل منهم للتيار الذي يتأثر به، وبهذا سيكون الفكر العربي صدى للفلسفة الغربية مدعاة للتأصيل النزعة التغريبية التي تخلق مدافعين عنها أكثر. مما يؤدي الصراع بينهم إلى الهدم لا البناء .

2.3مفاسد المقلدة الجدد:

يدقق كثيرا طه عبد الرحمن في مسألة التقليد ويتتبع آثارها ويكشف عن تفاصيلها لدرجة أنك لا تكتفي بذكر جزء من طرحه،إلا وتلح عليك الأجزاء الباقية على ذكرها، وكأن الرجل يطرح أفكاره كنسيج أو كالبنيان المرصوص، وهذه دلالة واضحة على أن للرجل مشروع منشغل به ويتتبعه لبنة لبنة، فهاهو يستخدم كل إمكاناته لتوضيح مفاسد تقليد النموذج الواحد."لقد كان من آثار هذا التقليد والتشبه أن استحوذ على العقول نموذج واحد من التفكير ضيق آفاق التفلسف أيما تضييق، وقلص إمكانات الإبداع تقليص، و توضيح ذلك أن الأسباب التعبيرية والسلوكية لهذا النموذج متعلقة بأمة بعينها في سياق اجتماعي وتاريخي بعينه، فلما نقل هذا النموذج الفكري المخصوص إلى أمم غيرها من دون مراعاة خصوصية هذه الأسباب ولا تنبيه المنقول إليهم على هذه الخصوصية، فقد انساق هؤلاء إلى تقليد مسالك هذا النموذج والتشبه بواضيعه، بل أظهروا في ذلك

[1] المرجع نفسه، صفحة نفسها

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

من التفاني ما لم يظهروا في غيره، فحيث إنهم جهلوا أسباب هذا النموذج الموضوعية، عجبوا منه عجبا، فظنوه نمطا كليا لا ينقضه خصوص ولا يخرمه استثناء، وازدادوا بهذا الظن ميلا إلى النسج على منواله، والتمسك بأدنى تفاصيله، فكان أن انسدت في وجوههم انسدادا طرق استثمار ما بأيديهم من وسائل متميزة في التعبير و أنماط متفردة من السلوك، ولولا الافتنان بمنقول فلسفي مجهول الأسباب، لكان من شأن هذه الطرق أن توصلهم إلى وضع نموذج في التفلسف يضاهي، في سعته الإستشكالية وفي قوته الاستدلالية، النموذج الفكري الذي نقل إليهم نقلا أغفل كليا الوقوف على أسبابه التي تخصه ولا تلزم غيره.[1]

3.3مفاسد المقلدة المتقدمين:

بسبب هذا التيه الذي يسقط فيه المقلدة الجدد من العرب والمسلمين في العصر الراهن ، نجد أن طه عبد الرحمن يؤكد على خطورة التقليد من خلال تجربة المقلدة القدماء، فيقول: "وإذا اشتبه أمر هذا التقليد في القول الفلسفي على بعض المتأخرين الذين ضاقت عليهم سبل القول والفكر،فإنه لم يشتبه قط على المتقدمين، ذلك أنه لم يفتهم إدراك الفروق بين قول جار على عاداتهم في الكلام والإفهام وبين قول جار لا يجري عليها كما فات المتأخرين، ولا غابت عن أذهانهم حقيقة اختصاص كل أمة بمذاهب في الاصطلاح والتركيب والبيان كما غابت عن أذهان هؤلاء."[2]

يستدل طه عبد الرحمن على نباهة أحد المتقدمين وهو الفيلسوف الصوفي ابن سبعين الذي أنتقد التقليد الذي وقع فيه ابن رشد في تقليده لأرسطو، علما أن ابن سبعين لم يكن الوحيد في نقده هذا بل نجد أن الكثير من ممثلي الثقافة الغربية يعتبرون ابن رشد مجرد شارح للفكر الأرسطي.في حين نجد الكثير من النقاد العرب المتأخرين يرون أن الفلسفة الإسلامية وصلت مع ابن رشد قمة الإبداع الفلسفي وربما يعود ذلك حسب رأي طه عبد الرحمن إلى أن "وما ذاك إلا لأن تقليد الفلسفة المنقولة بلغ من نفوسهم مبلغا فقدوا معه القدرة على إمكان تصور خلاف ما يقلدون، فضلا أن يأتوا به."[3]

4.الفرق بين الإبداع والترجمة:

اهتم الكثيرين بالفكر الأرسطي، لكن لم يشتهر أي أحد منهم بعلاقته بأرسطو، كما اشتهر ابن رشد بهذه العلاقة التي أثيرت في تاريخ الفلسفة كإشكالية ذات أبعاد مختلفة تصب كلها في نقطة جوهرية أساسها التشكيك في موقف ابن رشد الفلسفي، فأرنست رينان سيعتبر " أن هذه الشروح لا يمكن أن يكون لنا بها غير متعة تاريخية، و أن هذه الشروح لا يمكن أن يكون لنا بها غير متعة تاريخية، وإن من الجهد الضائع استخراج نور منها لتفسير أرسطو، وذلك كما لو أريد الاطلاع على راسين بمطالعته في

[1] عبد الرحمن طه، فقه الفلسفة: 1- الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 1995، ص 22

[2] عبد الرحمن طه،فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ص 11

[3] المرجع نفسه، ص 11

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ترجمة تركية أو صينية، وكما أريد تذوق الأدب العبري بالتوجه غلى نيقولا الليري أو إلى كرنليوس ألابيد."[1] كما يقول أرنست رينان:" ذاع صيت ابن رشد بين اللاتين لأمرين، لكونه طبيبا وكونه شارحا لأرسطو، بين أنه فخره شارحا أعظم من فخره طبيبا بمراحل."[2]، فرغم شهرة ابن رشد كشارح للفكر الأرسطي عند الكثيرين، فمثلا اشتهر ابن رشد كما وصفه دانتي في الكوميديا الإلهية بالشارح الأكبر لمؤلفات أرسطو."[3] إلا هناك من يتجاهل هذه الحقيقة، فالجابري يعتبر أن هذه المهمة التي سيقوم بها ابن رشد تعتبر بمثابة مشروع ضخم يمكن أن يصف بكونه ثورة علمية كلف ابن رشد بإنجازها." [4]

كما يضيف محمد مهران في مقال نشره في كتاب "ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب"، عنصر الإعجاب الكبير الذي يكنه ابن رشد لأرسطو إلى الحد الذي جعله في نظر ابن رشد مبعوثا من العناية الإلهية لتجسيد الكمال الأقصى للإنسان."[5]

فعلا نجد أن ابن رشد لا يخفي هذا الإعجاب، بل على العكس من ذلك فنجده لا يتردد على التصريح به في الكثير من المواضع، فهو يقول في أحد كتبه:" أن مذهب أرسطو هو الحقيقة المطلقة، وذلك لبلوغ عقله أقصى حدود العقل البشري، ولذا فإن من الحق أن يقال عنه أن العناية الإلهية أنعمت به علينا لتعليمنا ما يمكن أن نتعلم."[6]

إن القدرة على الترجمة و الشرح لا يعني أن هناك إبداع، لأن هناك هوة كبيرة بين القدرة على الترجمة والقدرة على الإبداع، لكن عموما فإن ظاهرة ترجمة نصوص الآخر إلى اللغة العربية ظاهرة قديمة، ولازالت متواصلة إلى اليوم.إلا أن طه عبد الرحمن يتخذ موقفا مغايرا لما هو سائد، على أساس أنه لا يوجد فرق على مستوى نقل النصوص إلى اللغة العربية قديما أو حديثا، فهو يرى أن هناك تمايز بين التجربتين القديمة والحديثة من عدة وجوه، إذ يقول:"أن التجربة الثانية للترجمة العربية مماثلة للتجربة الأولى التي عرفها أهل اللسان العربي في العصر العباسي الأول؛ وهذا باطل."[7]

---

[1] رينان أرنست، ابن رشد والرشدية ، تر: عادل زعيتر، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، دون ط، سنة 1957، ص 69

[2] المرجع نفسه ، ص 24

[3] الجوهري محمد رونق عبد الكريم، الفكر الإسلامي والفلسفة الإسلامية، دار العلم، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 1968، ص 293

[4] الجابري محمد عابد، ابن رشد سيرة وفكر، مركز الدراسات العربية،بيروت، لبنان، ط 1، سنة1998، ص 81

منسية مقداد عرفة، ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب ج 2، المجمع الثقافي، أبوظبي، الامارات العربية المتحدة،ط1، سنة1999، ص 28 [5]

[6] رينان أرنست، ابن رشد والرشدية ، ص 71

[7] عبد الرحمن طه ، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، سنة 2006، ص ،ص،150،149

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يفند موقفه هذا فيقول :"وبيان بطلانه من الوجوه الآتية: أن تجربة الترجمة الأولى فعل اختياري صدر عن إرادة إثبات الذات وتحقيق إمكاناتها الواسعة، بينما التجربة الثانية انفعال اضطراري صدر عن غريزة الدفاع عن النفس وحماية حدودها التي ضاق نطاقها."[1]

هناك فرق كبير بين أمة تتفاعل مع الآخر وهي في حالة إثبات الذات و في حالة الدفاع عن نفسها، فشتان بين الحالتين،حالة القوة وحالة الضعف، فطه عبد الرحمن يرى أن المتقدمين من أهل العربية مارسوا تجربة الترجمة الأولى، وهم من موقع قوة، إذ شرعوا تأسيس هوية ثقافية وشخصية حضارية خاصتين بهم، بينما المتأخرون منهم يمارسون التجربة الثانية، وهم من موقع ضعف، إذ يستولي عليهم شعور حاد بتخلف مجتمعاتهم ولد فيهم عقدا نفسية تهدد هويتهم وشخصيتهم.[2]

كما يؤكد أن التجربة الأولى التزمت بمبادئ وأصول في تفاعلها مع نصوص الآخرين، يعكس قوتها وإرادتها الحرة في هذا الفعل عكس التجربة الثانية، فيقول:" أن تجربة الترجمة الأولى كانت تتخير النصوص التي ينبغي نقلها، بحيث لا تصادم القيم الأخلاقية التي تشعبت بها الروح الإسلامية، بينما التجربة الثانية تهافت على نقل كل النصوص، لا تبالي إن أضرت بالقيم الأخلاقية الإسلامية أو لم تضر بها."[3]

يقارب طه عبد الرحمن هذه المسألة من عدة زوايا أبرزها الزاوية الحضارية، فواقع الأمة في تجربتها الأولى لترجمة نصوص الآخر كان يختلف على واقعها في التجربة الثانية، فتطورها والقوة الحضارية التي كانت تتمتع بها في التجربة الأولى جعلتها تتعامل مع تلك النصوص بدون عقدة عكس تماما هيئتها في التجربة الثانية، و هنا يصرح قائلا: "أن تجربة الترجمة الأولى نقلت نصوصا أنتجتها حضارة غابرة ولو أن بعض آثارها باقية، في حين أن التجربة الثانية تنقل نصوصا تنتجها حضارة قائمة، بيدها أسباب صنع التاريخ الإنساني في هذا العصر.يترتب على هذه الحقائق أن درجة الاستقلال التي تمتعت بها التجربة الأولى لا تتمتع بها التجربة الثانية، وذلك من وجهين أساسيين: أحدهما أن التجربة الأولى كانت مبادرة بالفعل، إذ كانت مختارة ومستقوية ومنتقية، في حين أن التجربة الأخرى كانت رادة للفعل، إذ كانت مجبرة ومستضعفة ومرسلة؛ والثاني، أن الوصاية التي مارستها النصوص المنقولة على التجربة الأولى ليست بالقوة التي تمارسها بها هذه النصوص على التجربة الثانية، نظرا لكون الوصاية القديمة لم تساندها حضارة قائمة، بينما الوصاية الحديثة تفرضها حضارة غالبة، فضلا عن كون التجربة الأولى –كما ذكر- تتمتع بالمبادرة، في حين أن التجربة الثانية لا تتمتع بهذه المبادرة.[4]

---

[1] المرجع نفسه،ص 150

[2] المرجع ،الصفحة نفسها

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[4] المرجع نفسه،ص،ص150،151

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

رغم هذا التفاضل بين التجربتين، إلا أن كلاهما ساهما في تكريس ظاهرة التقليد،لأن ظاهرة الترجمة حالت دون الإبداع الفلسفي حسب طه عبد الرحمن، فيقول:"السبب الأول الذي أدى إلى أن تعوج الفلسفة وتموت بين أيدينا، ألا و هو الترجمة! فلم يقترن شيء في الفكر الإسلامي العربي بالترجمة اقتران الفلسفة بها، حتى لا فلسفة معترف بها بيننا بغير ترجمة."[1]

يتحكم في حركية الفكر العربي المعاصر عدة روافد يمكن حصرها في رافدين أساسيين أحدهما له علاقة بالموروث الثقافي والآخر له علاقة بالثقافة الغربية مجملا لاسيما المنتوج الفلسفي. فأصبح كل من الموروث الثقافي العربي والمنتوج الفلسفي الغربي المحددين الأساسين لبلورة رؤية حل لواقع الإنسان العربي المعاصر.

يتوقف على تحديد الموقف الفلسفي السليم من مسألة الموروث الثقافي للعرب والمسلمين من جهة ومن ثقافة الآخر من جهة أخرى مصير الإنسان المسلم المعاصر، وهذا لأن الهوية الفكرية هي المدخل الأساسي للتحقق بالاستقلالية التي تشكل الضمانة للنهوض بمشروع حضاري أنت صاحب المبادرة فيه. وحتى يملك المسلم اليوم زمام المبادرة عليه أن لا يتقوقع في ماضيه ويبقى يتشدق بموروثه الثقافي ويزهو بشعارات على أساس أنها الحل كرفع شعار الإسلام هو الحل دون أن يدرك أن الإسلام في حد ذاته يفرض على من يتبناه التحدي العلمي المعرفي الذي يستهدف الواقع بكل ضغوطاته وهذا يتنافى مع ترك الحاضر لأجل الماضي، كما يرفض رفضا قاطعا أن يستغل كشعار لأن من يفعل هذا يريد أن يحقق أهداف شخصية محدودة تضر الصالح العام. كما أن مجاراة مقتضيات الحاضر وتبني المشاريع الفلسفية الغربية لأنها مشاريع حداثية تواكب الأحداث المعاصرة.جعلت هؤلاء المنبهرين متغربين عن هوياتهم الحضارية. ولذلك فجل المشاريع الفكرية التي طرحت داخل فضاء الفكر العربي المعاصر سقطت في إشكالية وهمية خلقت صراعات استنزفت العقل العربي بين الانتصار للماضي والتقوقع فيه أو الانفتاح على الحاضر والتبعية للآخر، وحتى الذين حاولوا التوفيق بين الاتجاهين كرسوا نفس المشكل. في حين أن المطلوب هو أن يخوض العقل العربي تجربته الفلسفية. وذلك عندما يمارس التأمل والتفكر في قضايا الإنسان العربي المعاصر، ويواكب أزماته الراهنة. لاسيما في ظل التحولات السياسية والاجتماعية التي تعرفها المنطقة العربية، وهي لحظة تاريخية تطلب حلا فلسفيا يستغل فيه العقل العربي القطيعة في البنى الاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية، وفي إعادة تشكيل الوعي الجمعي للقيم والتمثلات للشعوب العربية.

يسقط طه عبد الرحمن قناع التجديد والإبداع على بعض المقلدة، ويصفهم على نوعان، فيقول:"ومع هذا، نجد زمرة من أهله تدعي أنها استطاعت أن تهتدي في هذا التيه المهلك؛ وما هذه الزمرة إلا المقلدين من أبنائه؛ وهؤلاء ليسوا على خلاف الاعتقاد السائد، نوعا واحدا، وإنما نوعين اثنين:

[1] عبد الرحمن طه،فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ص 19

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أحدهما يضم الذين يقلدون المتقدمين من المسلمين، ولنسمهم "مقلدة المتقدمين"؛ والنوع الآخر يضم الذين يقلدون المتأخرين من غير المسلمين؛ ولنسمهم "مقلدة المتأخرين"."[1]

يكشف طه عبد الرحمن عن التلاعب الخطير بالمفاهيم الذي يقوم به كلا الصنفين من المقلدة، فالمتقدم يلبس الجديد مما أبدعه الغرب من مفاهيم على مفاهيم تراثية، و العكس يقوم به المتأخر فيلبس القديم بما استجد من مصطلحات ومفاهيم، فيعيشون وهم التجديد وهم في قمة التقليد، لكن بأشكال مختلفة،"فأما مقلدة المتقدمين، فيتعاطون إسقاط المفاهيم الإسلامية التقليدية على المفاهيم الغربية الحديثة كأن يسطوا مفهوم الشورى على مفهوم الديمقراطية أو مفهوم الأمة على مفهوم الدولة، أو مفهوم الربا على مفهوم الفائدة؛ ويتوسلون في هذه الإسقاطات المختلفة بخطاب يريدون أن تكون له صبغة عملية توجيهية، لكنهم يقعون، من حيث لا يشعرون، في شرك الوعظ المباشر؛ وهكذا يصيرون، على التدريج، إلى رد المفاهيم المنقولة إلى المفاهيم المأصولة؛ فينتهون بمحو خصوصية المفاهيم المنقولة.وأما مقلدة المتأخرين، فيتعاطون إسقاط المفاهيم الغربية المنقولة على المفاهيم الإسلامية المأصولة كأن يسقطوا مفهوم العلمانية على مفهوم العلم بالدنيا، ومفهوم القطيعة على مفهوم الجب ، ومفهوم الحرب الدينية على مفهوم الفتح؛ ويتوسلون في هذه الإسقاطات المختلفة بخطاب يريدون أن تكون له صبغة عقلية استدلالية، لكنهم يتعثرون، على خلاف ما يظنون، في القيام بشروطها؛ وهكذا، يصيرون، على التدريج، إلى رد المفاهيم المأصولة إلى المفاهيم المنقولة؛ فينتهون بمحو خصوصية المفاهيم المأصولة."[2]

بعد هذا التدقيق الذي يقوم به طه عبد الرحمن باستخدامه للجهاز مفاهيمي الذي يعد من إبداعاته، كمصطلح المفاهيم المأصولة و المفاهيم المنقولة،يصل إلى نتيجة أن هؤلاء لم يعملوا على نحت مصطلحات جديدة ، بل لم يتجاوز عملهم حدود استبدال مصطلح مكان مصطلح آخر نحته غيرهم، إن كان قديما أو حديثا. لذلك يحسم طه عبد الرحمن أمره معهم فيصرح:"الظاهر أن كلا النوعين من المقلدة لا إبداع عنده، إذ مقلدة المتقدمين يتبعون ما أبدعه السلف من غير تحصيل الأسباب التي جعلتهم يبدعون ما أبدعوه؛ ومقلدة المتأخرين يتبعون ما أبدعه الغرب من غير تحصيل الأسباب التي جعلتهم يبدعون ما أبدعوه."[3]

يرفض طه عبد الرحمن التقليد لأنه يعكس كسل العقل وشلل الإرادة وهو مدعاة للذوبان في الآخر و الانبهار بما أنتجه من قول فلسفي وهو دليل على اندكاك الهوية الفكرية للمقلد التي تتمظهر في عدم القدرة على نحت المصطلح. من هذا المنطلق يحرص طه عبد الرحمن ويولي الأهمية الكبرى لاستثارة قضية تقليد المتصدين للفكر والفلسفة في الأمة العربية الإسلامية لما أنتجه الغرب من قول فلسفي و

[1] عبد الرحمن طه، روح الحداثة، ص 11

[2] المرجع نفسه، ص،ص 11،12

[3] المرجع نفسه، ص 12

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الأخطر من ذلك شغلهم الدائم على ترسيخ فكرة قدرتهم على الإبداع كأنه حكر عليهم، والعجز المطلق للعقل الإسلامي على الإبداع.

5.أسباب التقليد وآلية دفع شروره:

لا نجد طه عبد الرحمن يتحدث عن التقليد ويذم المقلدة داخل الفضاء العربي من منطلق العقدة. بل يحلل أسبابه بشكل علمي ويقدم البينة ، وهذا ما يجعله يستطيع أن يقدم حلا، لا يمكن لأحد أن يناقشه إلا إذا امتلك أدوات معرفية ومنهجية علمية تؤهله إلى أن يقرأ النص الطهاوي، وإلا سيقع في لبس كبير يؤدي به إلى مجافاة الحقيقة.

يعرض طه عبد الرحمن قضية التقليد على علم المنطق وعلم اللغة، فيصل إلى معرفة سبب وقوع المتصدين للفلسفة العربية،فانطلاقا من أن القول الفلسفي الواحد فيه من العبارة بقدر ما فيه من الإشارة و أن عبارته تتوسل بإشارته،فهو الذي أدى بطه عبد الرحمن إلى أن يفسر "أن السبب في التقليد الذي بالفلسفة العربية كلها هو اعتقاد أهلها أن القول الفلسفي المنقول إليهم إنما هو عبارة محضة، فلما طلبوها فيه، وقعوا في الأخذ بإشارته من حيث يظنون أنهم يأخذون بعبارته، فقطعت عنهم طريق الإبداع الفلسفي."[1]

إن هذا اللبس الذي وقع فيه المقلدة بين الإشارة والعبارة، الذي يجب رفعه "لأن الخروج من هذا التقليد لا يكون إلا بتعقب مظاهر الإشارة في القول الفلسفي المنقول والكشف عن آثارها في عباراته حتى إذا علم المتفلسف بهذه المظاهر والآثار، لزمه صرفها واستبدال ما يضاهيها عنده مكانها.[2]

تنبه المفكر المجدد طه عبد الرحمن إلى مسألة دقيقة تعد من مفاتيح النهوض الفكري للأمة الإسلامية على اعتبار أن كل أمة يميزها لسانها عن الأمم الأخرى ويحفظ كينونتها الفكرية، لذلك يعتبر نحت المصطلح قضية مفصلية في تفعيل العقل الإسلامي والعربي،لأن نحت المصطلح هو دليل على اشتغال النظر ، والنظر لا يشتغل مع انعدام الاهتمام بمختلف القضايا التي تحتاج إلى تأمل ونظر الذي ينتج فكر وفلسفة خاصة بذلك العقل الذي قدر قيمته من خلال الثقة في إمكاناته ، هذا التقدير الذاتي يؤدي إلى إفراز نظريات مصاغة في اصطلاحات جديدة جدتها نابعة من جدة التنظير أي الإبداع الفكري، وبهذا تمتلك الأمة نصها الخاص بها، أو ما يصطلح به عند طه عبد الرحمن القول الفلسفي، فيكون القول الفلسفي يعكس نهضة الأمة التي تأبى التقليد والبقاء عند حدود اجترار ألفاظ و عبرات الآخر وتؤكد على تحجر المصطلح عند حدود إبداعات الآخر.

يشير طه عبد الرحمن إلى وضع الأمة الذي لا يحسد عليه من حيث مختلف الإشكالات التي تتخبط فيها في مستويات متعددة، فإذا كانت على المستوى المادي بارزة بحكم شخوصها المادي، فإنه على مستوى المعنوي فهي جد معقدة خاصة فيما يخص الهوية الفكرية للأمة، طه عبد الرحمن يؤكد على

[1] عبد الرحمن طه،فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ص14

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وجود ما ينعته بفتنة مفهومية كبرى حين يقول:"من ذا الذي ينكر أن المجتمع المسلم يكابد من التحديات المعنوية مقدار ما يكابده من التحديات المادية؛ ويتصدر التحديات المعنوية ما يواجهه من تيه فكري متمثل في فتنة مفهومية كبرى لا يعرف كيف يخرج منها؛ إذ لا نفتأ نتوارد عليه كثرة متكاثرة من المفاهيم التي تضعها المجتمعات الأخرى، فيأخذ في التخبط في معاقدها ومغالقها، بل في متاهاتها وأحابيلها، لا قدرة له على استيعابها، ولا طاقة له على صرفها؛ والواقع أن المجتمع المسلم ما لم يهتد إلى إبداع مفاهيمه أو إعادة إبداع مفاهيم غيره،حتى كأنها من إبداعه ابتداء، فلا مطمع في أن يخرج من هذا التيه الفكري الذي أصاب العقول فيه.[1]

إن نقل مفاهيم معينة ذات دلالة محددة في إطار محدد، إلى واقع مختلق يخلق بلبلة منهجية لا يمكن أن تقود إلا إلى الكثير من الإبهام. كان سقراط دوما حين يختلف مع مناقشيه يبدأ أولا بتحديد المفاهيم، ذلك أن عدم مثل هذا التحديد يقود إلى الإبهام والتشويش.

يرى طه عبد الرحمن أن دفع شرور التقليد لا يتم "إلا مع الوقوف على أسرار القول الفلسفي عند أهله المجتهدين، إلى التقليد من حيث أردنا الخروج منه، وإنما بطلب طريق غير التفلسف، ولا عن طريق غيره إلا العلم،فيتعين علينا أن ننظر في الفلسفة كما ينظر العالم في الظاهرة، رصدا ووصفا وشرحا، أمر الفلسفة عندنا، على خلاف المشهور، ليس قولا فحسب، بل هو قول مزدوج بالفعل، وخطاب مزدوج بالسلوك، فنحتاج إلى النظر فيها على هذا المقتضى، ولم يسعنا إلا أن نسمي هذا الطريق "فقه الفلسفة"."[2]

يستفز طه عبد الرحمن العقل العربي بطروحاته المتعددة التي تعكس نباهة وهمة عالية لهذا المفكر المجدد ولعل من أهم الطروحات التي تتكفل بإيقاظ هذا العقل العربي وتوقيف المقلدة الذين ينزون ضمن فضاءه،الحل الذي جهد من أجله الدكتور طه عبد الرحمن ألا وهو ما يعرف ب " فقه الفلسفة". فهو يقول: "فإن فقه الفلسفة يدل المتفلسف على طريق الكشف عن الأسباب التي تثوي وراء التصورات والأحكام الفلسفية، حتى يتبين كيفيات تأثيرها في وضع هذه التصورات وبناء هذه الأحكام، فيقتدر على استثمار ما يقابلها من الأسباب في مجاله التداولي، منشئا بذلك تصورات وأحكام تنافس المنقول، استشكالا واستدلالا. وبهذا، ترجع منفعة فقه الفلسفة إلى إخراج المتفلسف عامة، و المتفلسف العربي خاصة، من الجمود على ظاهر المنقول الفلسفي إلى الاجتهاد في وضع ما يقابله، إن مثلا أو ضدا، فإن وافقت أسبابه أسباب المنقول، جاءت على شاكلته من غير احتذاء، وإن خالفت الأسباب الأسباب، جاءت على خلافه من غيره اختلال، فمتى علم المتفلسف العربي بهذه الأسباب، أصبح بمكنته التوسل بها في إبداع المعرفة الفلسفية والتجديد في أبوابها، فتحيا روح

[1] عبد الرحمن طه، روح الحداثة، ص 11

[2] عبد الرحمن طه،فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ص 13

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التفلسف الصحيح في مجاله التداولي بعد أن خمدت فيه قرونا أو قل، باختصار، إن فقه الفلسفة يفيد في العلم بالأسباب الموصلة إلى إنتاج الفلسفة."[1]

6.نظرية القول الفلسفي:

ارتأينا أن نسميها نظرية القول الفلسفي،لأن للرجل نظر في المسألة من عدة زوايا، سواء من حيث نحت المصطلح فلا نعرف أحد سبقه إلى ذلك،لا من حيث تركيب المصطلح من لفظين معروفين في حقل اللغة العربية سواء لفظ "القول" أو لفظ "فلسفة".أما من حيث المدلول فهو يتفرد بتقديم نظرية متكاملة يبدع فيها صاحبها انطلاقا من تفسير سبب التركيب الواقع في هذا المصطلح وصولا إلى أقصى نقطة تصلها هذه النظرية."فارتضينا أن نخرجه إلى القارئ باسم "القول الفلسفي" بسبب ما استجد من حاجتنا إلى استخدام لفظ "العبارة" في معنى أخص، و هو المقابلة بلفظ " الإشارة". وأيضا بسبب ما تمتع به لفظ " القول"، في الاصطلاح، من غلبة الدلالة على الجانب اللفظي من الكلام- على خلاف "العبارة" التي غالبا ما تدل على الجانب المضموني منه- فضلا عن أنه أطلق على جميع أقسام الكلام بلا استثناء: فالقول بغير تركيب قول، قول بتركيب بسيط قول، قول بتركيب التركيب قول ، علما بأن الأول هو اللفظ، و الثاني هو الجملة، والثالث هو ما فوق الجملة، وهو ما صار المعاصرون يسمونه " النص"."[2]

يواصل تحليله اللغوي والمنطقي للمصطلح، فبعدما وضح معاني لفظ القول،وقف على لفظ فلسفي، متوخيا في ذلك الدقة العلمية في بناءه الفلسفي لهذه النظرية."فليس كل لفظ لفظا فلسفيا، إنما اللفظ الفلسفي بحق هو المفهوم ولا لفظ سواه، ولا كل جملة جملة فلسفية، وإنما الجملة الفلسفية بحق هي التعريف ولا جملة غير، ولا كل نص نصا فلسفيا، وإنما الفلسفي بحق هو الدليل ولا نص عداه.[3]

ولما كان طه عبد الرحمن حدد سبب التقليد وكيفية الخروج منه انطلاقا من تعقب مظاهر الإشارة في القول الفلسفي.على أساس "أن القول الفلسفي الواحد فيه من العبارة بقدر ما فيه من الإشارة و أن عبارته تتوسل بإشارته."[4] يحمل نفسه تبيان ذلك كله، فيقول:"أخذنا على عهدتنا أن نهض بهذا الواجب، حتى نكون أهلا لهذا الفهم، فنتقصى ما أمكننا ذلك هذه المظاهر والآثار الإشارية في مراتب القول الفلسفي الثلاث: مفهوما وتعريفا وتدليلا، مستخرجين على قدر الطاقة صفاتها وكيفياتها وضوابطها التي تأتي من جهتها للمتفلسف العربي مساوئ التقليد.[5]

---

[1] عبد الرحمن طه، فقه الفلسفة: 1- الفلسفة والترجمة، ص24

[2] عبد الرحمن طه،فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ص13

[3] المرجع نفسه،ص،ص13،14

[4] المرجع نفسه،ص 14

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

1.6مراتب القول الفلسفي:

هناك ثلاثة مراتب للقول الفلسفي،بحيث تتعدد هذه المراتب على حسب تنوع الإشارة، و هي مسألة أبدع فيها طه عبد الرحمن وعنها يقول:"ولعلنا،في هذه الطور من تقصينا، بلغنا مرادنا في تحديد نوع الإشارة التي تختص بها كل رتبة من هذه الرتب، فإشارة المفهوم إضمار، وخصصنا الإشارة الإضمارية باسم "القوام التأثيلي" للمفهوم الفلسفي، أما إشارة التعريف، فهي اشتباه، وسمينا الإشارة الاشتباهية باسم"القوام التمثيلي" للتعريف الفلسفي، وأما إشارة الدليل، فهي مجاز، وأطلقنا على الإشارة المجازية اسم "القوام التخييلي" للدليل الفلسفي.[1]

يواصل طه عبد الرحمن توضيح نظرية القول الفلسفي بإبداع ملفت،فبالإضافة إلى تمايز القول الفلسفي من حيث مراتبه الإشارية، فإنه يطرح فهما خاصا لعلاقة القول الفلسفي بالزمان ويخالف في هذا ما هو مألوف ، لا من حيث اختصاص كل مرتبة إشارية بزمن معين ، وكذلك في خصوص العلاقة بين القول الفلسفي والزمان، والتي به سيساعد في حل إشكالية التقليد، وعن ذلك يقول:" بينما نحن نقلب نظرنا في إشارية القول الفلسفي ونتأمل فيما يجمع بين أنواعها أو يفرق بينما، تأكد لنا أن القول الفلسفي موصول بالزمان أيما وصل، لكن ليس يخترقه كما يخترق كل ما يمضي عليه، فيتقادم ويبلى ثم يفنى- فهذا الوصف لا يخص القول الفلسفي في شيء – وإنما يقيم فيه كما يقيم المعنى في اللفظ أو تجوزا كما يقيم المعنى المتحيز في حيزه، والزمان الذي يكون بهذا الوصف لا يأتي إلى القول الفلسفي إلا من الإشارية التي فيه، فكل نوع من أنواع الإشارة المذكورة يولج فيه لونا من ألوان الزمان المعلومة: فالإضمار المقارن للمفهوم يدخل فيه الزمان الماضي، إذ لا يضمر إلا ما مضى الإخبار به وسبق العلم به، فصار متعارفا مشتركا لا يحتاج فيه إلى تصريح، ولذلك سميناه تأثيلا؛ والاشتباه المقارن للتعريف يحمل إليه الزمان الحاضر، إذ التعويل في المثال المضروب على هذا التعريف ليس على ما مضى من وجوه التشابه فيه، وإنما وقت الاستعمال وأملاه مقتضى الحال، ولذلك سميناه تمثيلا، والمجاز المقارن للدليل ينقل ما حضر منها عليه الزمان المستقبل، إذ ينتهض العقل مترقيا عن وضعه الخالي لكي يسرح في آفاق الإمكان، قريبه وبعيده، ولذلك سميناه تخييلا.[2]

يرفع طه عبد الرحمن التقديس على المنتوج الفلسفي، من منطلق أنه يخترق الزمان ويحافظ على صلاحيته،وهذا الموقف الفكري الجريء يؤكد دعوته إلى رفض التقليد لأن لكل زمان قول فلسفي، وعلى هذا الأساس لكل أمة قولها الفلسفي، يقول:"ولا تعجب لرأينا هذا في زمان القول الفلسفي، وأعجب للرأي المشهور القائل بأن الفلسفة تخترق الزمان وأعجب لنظيره القائل بأن الفلسفة تخترق المكان كما لو كانت الفلسفة تنافس التنزيل من فوق السماوات في مخاطبة الأجيال من فوق الزمان ومخاطبة الأقوام من فوق المكان، كل ذلك لترسيخ الاعتقاد في العقول بأن معاني الفلسفة لا تبلى ولا

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2] المرجع نفسه، ص 15

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تفنى حتى قيل فيها، الفلسفة الخالدة وبأنها لا تحدها حدود ولا تلزمها قيود حتى قيل فيها الفلسفة الكونية."[1]

هذا ينطبق على كل أمة وليس في خصوص الأمة الإسلامية فقط، وهذا لأنه لا يمكن لأي مجتمع أن يتفرد بالفلسفة دون غيره ، لأنه ممتنع في حق الفلسفة أن تحصل على الكونية الخالصة، بسبب موانع علمية واقعية يقدمها طه عبد الرحمن، فيقول:" إن سعي الفلسفة إلى تجاوز حدود المأصول التداولي لا يمكن أن يصل إلى مبتغاه في تحصيل الكونية الخالصة أو قل "الكونية المجردة،"لأن هذه الكونية توجب وحدة النظر العقلي وخلوص القول الفلسفي وجمعية الحقيقة الوجودية، وحتى لو قدرنا أن الفيلسوف يحصل في ذهنه معاني كونية، فلا يمكن أن تكون كونيتها كونية مجردة، نظرا لأن استحضار هذه المعاني في ذهنه لا يتحقق إلا بواسطة اللسان الخاص الذي استبطن بنياته وقواعده، والراجح أن هذه البنيات والقواعد الخاصة المضمرة في نفسه تقف بينه وبين الكونية المجردة.[2]

يفصل مسألة أخرى لها علاقة بالقول الفلسفي،وهي مسألة تظهر شدة الوعي الذي يتمتع به طه عبد الرحمن وتؤكد على تحرره لأنه ينشد الحرية، ويدعو إلى تحرير القول الفلسفي، فيقول:" فحقيقة التحرير للقول الفلسفي هو أن تستبدل، مكان قيد هو عبارة عن تسجيل لمنقول فلسفي لا يورثك إلا التبعية لغيرك، قيدا هو عبارة عن تسجيل لمأصول فلسفي يورثك الاستقلال برأيك، أي أن تخرج من تقييد هو إتباع وتقليد على تقييد هو اجتهاد وتجديد، أو قل، على أبين وجه، هو أن تترك كتابة هي عين الرق إلى كتابة هي عين الحرية، فهل يخطر على البال أن لفظا عربيا، على بساطته وانتشاره، يحمل هذه الحقيقة الجليلة، وهي: أن الحرية كتابة والكتابة حرية! وهل اللفظ مستودع لما خبرته الأمة طويلا وتأملته بعيدا وحصلت فيه فهما خاصا، ثم دمغت به اللغة دمغا.[3]

لا يسع هذا المقال أن يفصل نظرية القول الفلسفي لمبدعها المفكر المجدد طه عبد الرحمن، ولذلك ندعو للاطلاع عليها من خلال كتبه لاسيما كتاب فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل.

7.طه عبد الرحمن بين الإبداع والتقليد:

يبدو أن طه عبد الرحمن حمل هم الأمة في انتكاستها الفكرية، إذ لا نجد كتاب من كتبه يخلو من الإفصاح عن هذا الهم الذي دفع به أن يتبنى مشروعا استنهاضي عنوانه العريض رفض التقليد والاستقلال بكينونة فكرية طابعها الإبداع. هذا التحرر الذي تميزت به الكتابة الطهاوية ستدفع بمناهضين للتحرر بانتقاده ونعته بالمقلد خاصة لأنه يتمسك بالتراث ، لذلك يقول:"ولما كنا قد خالفنا عادة التقليد السائدة، وأبدعنا مفاهيم إجرائية من داخل التراث إسلامي العربي، قاصدين استثمارها

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2] عبد الرحمن طه، سؤال العمل، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، سنة 2012، ط 1، ص 44

[3] عبد الرحمن طه،فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ص 17

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

في توصيف وتحليل الآليات المنطقية والأدوات المنهجية التي استعملها علماء ونظار المسلمين في إنشاء مضامين هذا التراث، أجاز بعض مقلدة المتأخرين لنفسه أن يحشرنا في فئة مقلدة المتقدمين الذي يمحون المنقول ولا يستثنون، وما ذلك إلا لأن دأب المقلد في الدفاع عن تقليده هو اتهام مخالفه بالتقليد الذي يضاده.[1]

لم نجد في يوم من أيام أن طه عبد الرحمن ينكر اهتمامه بالتراث، إذ يصرح:"لم يكن يخطر على قلبنا من ذي قبل أن نخوض بحر التراث، طلبا لإظهار ما عظم من مزاياه و لتمحيص ما شاع من الأقوال القادحة فيه، إيمانا منا بأن التراث كان ولم يزل روحا لا حياة لفكر دونها، إلا أن يلقي بنفسه في أحضان تراث غيره يستلبه استلابا.[2] وبهذا التصريح يكشف عن أهمية الاشتغال به، وهذا ليس مدعاة للتقليد، بل أعتبره واجبا عليه لما لحقه من تشويه."وقد أفنينا قسطا من عمرنا نتأمل هذا الانقلاب في القيم بين المشتغلين بتقويم التراث، فما كان يجب أن يعظم من معان متأصلة، ذهبوا إلى تحقيره من غير نحسر، وما كان يجوز تحقيره من وسائل مقتبسة،ذهبوا إلى تعظيمه من غير تقترن كأنما هم يتنافسون في تثبيط العزائم وتفريق الشمل عند مخاطبيهم، أولا يعملون أنهم لا يعظمون بالتنكير للتراث ولا يظهرون بالقدح في أهله؟...و لما شاهدنا ما شهدناه من التقلب في المقاصد والتشتت في المسالك لدى هؤلاء النقاد، وَقَرَ في صدرنا أن المسؤولية واقعة علينا في الكشف عن خفي الأوهام و عن دقيق التلبيسات التي انبنى عليها هذا المسار المعكوس في تقويم التراث كما تقع على من تيقن بوجود مضرة و أوتي من الوسائل ما يقدره على دفعها عن نفسه وعن غيره،وتحقق شعورنا بشغل ذمتنا بواجب التنبيه على ما ظهر في تقويم التراث من التمويه.[3]

وربما نعت كل مهتم بالتراث بالمقلد، يعد من باب إدخاله تحت العقدة وبالتالي وبحجة الابتعاد عن التقليد يعرض عن اهتمامه بالتراث، و لذلك نجد هناك من يدفع بقطع الصلة بالتراث الإسلامي العربي، وهؤلاء هم من تحدث عنهم طه عبد الرحمن."لقد كان ومازال بعض الباحثين في محيطنا الجامعي يدعو إما إلى قطع الصلة بالتراث الإسلامي العربي العربي- لاعتقاده أن هذا القطع هو وحده الذي يكفل للعرب الالتحاق بالحداثة- وإما إلى إبقاء الصلة بالقسم الفلسفي من هذا التراث- لاعتقاده أن هذا القسم هو وحده الذي يستوفي مقتضيات الوصل بالحداثة- وهذان الموقفان، وإن كانا في ظاهرهما متفاوتين، فإنهما على الحقيقة يفضيان إلى نتيجة واحدة، وهي: إخراج المتلقي العربي من التعلق بتراث من صنع أمة سواها.[4]

---

[1] عبد الرحمن طه، روح الحداثة، ص، ص،12،13

[2] عبد الرحمن طه،تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، دون سنة، ص 9

[3] المرجع نفسه، ص 11

[4] عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، سنة 2002، ص19

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يعود سبب إعراض طه عبد الرحمن على هؤلاء، بل سيعمل على دحض أقوالهم بإتباعه منهج جديد في التعاطي مع التراث لم يعهدوه. "في حين كنا ومازلنا من جانبنا ندعو، علة عكس هذين الموقفين الظاهر تفاوتهما، إلى التعامل مع التراث كحقيقة تاريخية لا يمكن الانفصال عنها ولا تقسيمها، فصرنا، بسبب ذلك، ننعت بالدعوة إلى القديم، بينما صار أصحاب هذين الموقفين ينعتون بالدعوة على الجديد، مع أننا كنا نتوسل في دعوتنا هذه بوسائل- مفاهيم وطرائق- تضاهي في قوتها المنهجية وسائل هؤلاء أن لم تتعدها جدة ودقة، لأن مستندنا فيها لم يكن قط مستنبطات النظر التقليدي العتيق، وإنما كان مستجدات البحث المنهجي الصريح.[1]

لم يكن اشتغاله بالتراث هو السبب الوحيد لنعته بالمقلد، بل حتى تفاعله مع الفلسفة الغربية ، فقد نقده البعض لترجمته التأصيلية ل " الكوجتيو"، فرد عليهم بطرقه العلمية المعهودة وفصل ذلك في كتابه" فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل.وبين مخالفتهم لعدة قواعد من مثل القاعدة النحوية، الخطابية، التناظرية، التداولية، الفلسفية.

انتفاضته على التقليد شملت كل ما لحقه التقليد دون استثناء، لاسيما الخروج عن ما ألفه المتصدين للفلسفة العربية الحديثة. وهذا ما يقر به هو نفسه:" كما سعينا إلى ابتداء طريق في الكتابة الفلسفية يخرج عن طريق الذي يتبعه فيها الكتاب العرب المعاصرين.....فمعلوم ان الكتابة الفلسفية العربية الحديثة طغى عليها الاهتمام بالوقائع التاريخية والأحداث السياسية والظواهر الاجتماعية، حتى كادت بعض إنتاجاتها لا تتميز في شيء عن نظائرها في الكتابة التاريخية العربية.....أما نحن، فلا نرتضي هذا الطريق في الكتابة الفلسفية ولا نجده إلا مقضيا إلى الإضرار بحقيقة التفلسف، ذلك أن الفلسفة والتاريخ، شئنا أو أبينا، شعبتان في المعرفة متعارضان....لذا، وجدنا أن المسؤولية منوطة بنا لأن نسهم في إخراج الكتابة الفلسفية العربية من هذا الطريق الذي يؤدي إلى محو روح التفلسف فيها، ولا نكون بذلك بدعا في هذا الأمر، وإنما نكون قد جددنا الصلة بالكتابة الفلسفية الأصلية التي أمَّها كبار مفكري الإسلام، ألا وهي الكتابة التي تزدوج فيها الفلسفة بالمنطق باعتبار المنهج الذي يوصلها إلى الحقائق التي تطلبها.[2]

هذه المزاوجة بين الفلسفة والمنطق، هي ضرورة معرفية، ويرد على من يرى أن هذه الفكرة لا تجديد فيها لأن هناك من سبقه إلى ذلك وهي الوضعية المنطقية، لكنه يوضح أن الأمر على خلاف ذلك تمام ، حين يقول:"وإذا قيل:"إن مبدأ ازدواج الفلسفة بالمنطق إنما هو عين المبدأ الذي تدعو إليه الوضعية المنطقية"، فإننا نقول: إن غرض هذه النزعة المعاصرة هو قطع دابر الفلسفة وإبدال المنطق مكانها، بينما مقصودنا، على العكس من ذلك، هو ترسيخ قدم التفلسف الصحيح بيننا بإحكام مسالكه،حتى لا نرسل الأحكام على عواهنها ولا نندفع في الكلام بغير حساب، وحتى لا يتطرق القلق إلى مفاهيمنا ولا

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2] عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة1998، ص17

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التداعي إلى بناءاتها ولا الفساد إلى استنتاجاتنا، كما رسخت قدمه عند المتقدمين من مفكري الإسلام بفضل تمسكهم بالآلة المنطقية، حتى إنه لا سبيل إلى فهم إنتاجهم الفلسفي من غير الإحاطة بآليات البناء المنطقي لهذا الإنتاج.[1]

يشيد طه عبد الرحمن باختياره لهذا النمط من الكتابة ، خاصة و أنه تمرس على تعاطي المنطق واللغة وتدريسهما كمتخصص مبدع في هذا المجال.و لأن كل منهما يعد معول أساسي من أجل التحقق بالإبداع لاسيما في التفلسف، فيستطيع بذلك أن يبدع قولا فلسفيا، وذلك عل المستوى النظري والعملي. وهذا ما تحقق بالفعل.فتركنا التأليف في هذا المضمار لغيرنا و آثرنا الكتابة المنطقية الاجتهادية أو قل إن شئت الإبداعية، ولما كان اختصاصنا الأخص هو:" العلاقات بين المنطقيات واللسانيات"، فقد اشتغلنا سنوات عدة بتجديد النظر في مسائل مخصوصة من هذا الباب، غير مكتفين بعرض ما تقرر من النظريات العلمية أو ما نشأ من آراء فلسفية.[2]

إذا كان إبداع طه عبد الرحمن من حيث اكتساب معاول معرفية ومنهجية متطورة، فإن انشغاله بمختلف القضايا، لاسيما تلك التي تحافظ على هوية الأمة العربية الإسلامية الفكرية والعقائدية، كان يقف على رأس همومه، ويرى نفسه مسئول على الإسهام في نهضة أمته إذ يصرح:" غرضنا في هذا الكتاب هو بذات أن نساهم في بيان الشروط التكاملية والتجديدية التي تجب في تيقظ هذه اليقظة الدينية، وتتولى هذه المساهمة النظر في صنفين اثنين أساسين من هذه الشروط، يدخل أحدهما تحت مسمى "التجربة" والآخر تحت مسمى "التعقل".[3]

ونفس المبدأ يتبناه مع جميع القضايا التي اهتم بها، وهو رفع اللبس الحاصل بسبب هؤلاء الذين تعاطوا معها بدون الالتزام بالشرائط العلمية والموضوعية. "ولا يقف إسهامنا عند حد التركيز على أهمية طرف التجربة وطرف التعقل في استيفاء شروط التيقظ ببيان كيف أن التجربة تمد " اليقظة الدينية" بأسباب التكامل التي تجمع بين اتجاهاتها وتؤلف بين عناصرها، وكيف أن التعقل المبني على التجربة الإيمانية يمدها بأسباب التجديد في الفكر توليدا وترتيبا.إذ لو كان الغرض الوقوف عند هذا الحد لما أقدمنا على إخراج هذا العمل، على ما قد يأتي به من الفوائد على مستوى التوعية النظرية بإشكال "اليقظة"، لأن الأقوال كثرت والادعاءات استفحلت مع اختلاط معايير التميز وضوابط الاختيار بينها، وآن الأوان لأن نحاسب المتكلم في شؤون العقيدة على مدى انطباق ما يقول على سلوكه ومدى استحقاقه أن يكون قدوة فيما يقول.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص18

[2] المرجع نفسه، ص،ص16، 17

[3] عبد الرحمن طه،العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، سنة1997، ص،ص9، 10

[4] المرجع نفسه، ص 10

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

هاهي قضية أخرى يتناولها طه عبد الرحمن بمنهجه تجديدي الخاص ، فالأخلاق من مجالات الدقيقة جدا على مستوى التنظير لأنها ستنزل في سلوك الإنسان ، وهي التي تواجهنا في كل مكان، لذلك فالاشتغال بها ليس بالأمر الهين ، وكالعادة يعمل طه عبد الرحمن على رفع اللبس وطرح البديل علميا، فيقول:" وقد التبس الأمر على دعاة العقلانية من المحدثين، فظنوا أن العقلانية واحدة، لا ثانية لها، وأن الإنسان يختص بها بوجه لا يشاركه فيه غيره، وليس الأمر كذلك، إذ العقلانية على قسمين كبيرين، فهناك العقلانية المجردة من "الأخلاقية"، وهذه يشترك فيها الإنسان مع البهيمة، وهناك العقلانية المسددة بالأخلاقية، وهي التي يختص بها من دون سواه.[1]

يفسر الخلط الذي وقع للمنشغلين بالأخلاق سببه يعود إلى فصلها عن الدين،"لذلك ترانا نأتي من جانبنا بجواب أخر على هذا السؤال الدقيق، فنقول بأن السبب في اضطراب المفاهيم الأخلاقية يرجع إلى كون الفلاسفة غلب عليهم الاشتغال بها من دون ردها إلى المجال الحقيقي الذي تنتسب إليه، بحيث بقيت، في تعاملهم معها، متزلزلة لا تثبت في معانيها ومتأرجحة لا يستقر بها قرار ومتذبذبة لا تقيم على حال، وليس هذا المجال المنسي الذي بدونه لا تسكن هذه المفاهيم ولا تثبت ولا تتمكن إلا مجال " الدينيات".[2]

8. خاتمة:

استطاع هذا الرجل أن يثابر ويجهد ويجتهد ليحقق الأنموذج الذي يحتذى به، فرفضه للتقليد لم يبقى عند حدود الذم وحسب،أي من باب التشنيع الغير مبرر، ولأنه رجل يحظي بروح المسؤولية، فقد أضنى عمره متصديا لهذه المسألة الخطيرة التي سرت في نفوس الكثيرين من الذين نصبوا أنفسهم كعلماء وفلاسفة هذه الأمة، فهو الذي دعا إلى رفع التقليد على كاهل هذه الأمة بل على كل إنسان في هذه المعمورة، واستخدم كل الوسائل لتحقق بذلك.فكان بالفعل المنظر للإبداع والمتحقق به، فهو المجتهد المجدد الذي خرق حجاب وقف الاجتهاد الذي حكم به على هذه الأمة ، ليس فقط في قضاياها الشرعية الفقهية فحسب، بل حتى في قضاياها الفكرية والفلسفية. وهو بهذا يعطي دفعا كبيرا لناشئة هذه الأمة على الانخراط في خط الاجتهاد من أجل ديمومة الإبداع.

9.قائمة المراجع:

1- الجابري محمد عابد، ابن رشد سيرة وفكر، مركز الدراسات العربية،بيروت، لبنان، ط 1، سنة1998

2- الجوهري محمد رونق عبد الكريم، الفكر الإسلامي والفلسفة الإسلامية، دار العلم، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 1968

[1] عبد الرحمن طه،سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة2000، ص 14

[2] المرجع نفسه، ص25

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

3- رينان أرنست، ابن رشد والرشدية ، تر: عادل زعيتر، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، دون ط، سنة 1957

4- زيناتي جورج، رجلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1993

5- عبد الرحمن طه ، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، سنة 2006

6- عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة1998

7- عبد الرحمن طه، سؤال العمل، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب،ط1، سنة 2012

8- عبد الرحمن طه، فقه الفلسفة: 1- الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 1995

9- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، سنة 2002

10- عبد الرحمن طه،العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، سنة1997

11- عبد الرحمن طه،تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، دون سنة

12- عبد الرحمن طه،سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة2000

13- عبد الرحمن طه،فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان،ط1، سنة 1999

14- منسية مقداد عرفة، ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب ج 2، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،ط1، سنة1999.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

قراءة في نظرية الهرمنيوطيقا عند هيدجر

أ . بومدين حورية ، أ .د محمد أسلوغة
جامعة باجي مختار- عنابة

تاريخ الإرسال: 20 / 02 / 2019	تاريخ القبول: 2019/07/31	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

تُعدُّ الهرمنيوطيقا إحدى أهم النظريات النقدية الغربية، التي فرضت آلياتها الإجرائية لفهم النّص، وذلك بفضل جهود روّاد المنهج الهرمنيوطيقي، الأمر الذي أتاح للهرمنيوطيقا الانتشار عبر مختلف العصور، فأصبح الطّرح الهرمنيوطيقي، بمثابة عملية تأويلية في فهم النّص بامتياز، وبذلك فإنّ هذا البحث يهدف إلى، الكشف عن إسهامات رائد من روّاد الهرمنيوطيقا، وهو الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر، الذي اختار لكلمة الدزاين اسم هرمنيوطيقا، للتعبير عن الوجود الإنساني، فكذلك الحال بالنسبة للنّص في مجال الأدب، فانبثقت عن فلسفته التأويلية، كينونة النّص ووجوده المستقل بذاته لتجعل منه موضوع تأويل دائم ومستمر.

الكلمات المفتاحية: الهرمنيوطيقا؛ فلسفة تأويلية؛ الوجود الإنساني؛ الفهم؛ النص.

Résumé :

Hermenyutiqa est l'une des plus importantes théories monétaires occidentales, qui a imposé ses mécanismes de compréhension procédurale du texte, grâce aux pionniers des efforts de Hermenyutiqi des programmes, ce qui a permis la diffusion Hermnaoutiqa à travers les âges différents, est devenu la soustraction Hermenyutiqi, comme un processus d'interprétation dans la compréhension du texte par excellence. Ainsi, cette recherche a pour but de révéler les contributions de pionnier Hermenyutiqa, un Allemand Martin Heidegger, qui a choisi de frapper le nom Aldsaan Hermnaoutiqa du philosophe, d'exprimer l'existence humaine, tel est le cas du texte dans le domaine de la littérature, Vanbthagt sur sa philosophie exégétique, étant le texte et de l'existence indépendante Afin d'en faire un sujet d'interprétation constante et continue

Mots-clés: Herméneutique, Philosophie d'interprétation, Présence humaine, Compréhension, Texte.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المنهج الهرمنيوطيقي، هو أحد التيارات النقدية الغربية، والذي يهتم بفهم وتأويل النّصوص، للكشف عن المعنى المضمر، وتُصنف الهرمنيوطيقا إلى مستويين هما المستوى الديني، والمستوى الفلسفي، وما يهمنا في هذا البحث هو الهرمنيوطيقا الفلسفية، وقد شهدت الهرمنيوطيقا تحولات عدّة، على يد أعلامها، فتعدّدت النظريات وتداخلت، وأثرت في بعضها البعض.

ويعكس هذا البحث الإسهام الثوري لهيدجر في مجال الهرمنيوطيقا، حيث قدّم نقدا للهرمنيوطيقا في أسلوبها القديم، وأفاد من أفكار أستاذه إدموند هسرل في الفينومينولوجيا في بناء مشروعه الهرمنيوطيقي، فتقدّم هيدجر بالهرمنيوطيقا خطوة كبرى إلى الأمام، بجعل الهرمنيوطيقا موصولة بالوجود والزمان والفهم، وباعتبار أنّ الفهم مسألة إبستيمولوجية وأنطولوجية، والهرمنيوطيقا بوصفها نسقا للتأويل، فقد استفاد الأدب من آلياتها في تفسير وتأويل النّصوص، فالهرمنيوطيقا هي كذلك عملية فكّ الرموز التي يتضمنها المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي، فبالقراءة المعمقة للنّص ينكشف المعنى الحقيقي الكامن تحت المحتوى الظاهر.

ويرتكز هذا البحث على رصد مفهوم الهرمنيوطيقا، والأبعاد التي تأسست عليها نظرية الهرمنيوطيقا عند هيدجر. وكذا اهتمام المقاربة الهرمنيوطيقية بالنّص الأدبي.

- تعريف الهرمنيوطيقا:

لغة:

إنّ مصطلح هرمنيوطيقا، لا يمكن أن يتم دراسته في الموروث الغربي من دون الالتفات إلى أصله الإغريقي،

حيث تنحدر كلمة هرمنيوطيقا «من الفعل اليوناني Hermeneuein ويعني "يفسر"، والاسم Hermeneia ويعني "تفسير"» [1]، ويعود أصل كلمة هرمنيوطيقا إلى الأساطير الإغريقية، حيث ترتبط «لغويا بالإله "هرمس" Hermes رسول آلهة الألمب، الذي كان يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة، ثم يترجم مقاصدهم وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر، وكان عليه أن يفعل ذلك ليعبر البون الفاصل بين تفكير الآلهة والبشر» [2]، وقد جاء ذكر ذلك في كل من الإليادة والأوديسا، وبما أنّ وظيفة هرمس هي ترجمة مقاصد الآلهة ونقلها إلى البشر، فإنّ الكلمة الأقرب إلى الهرمنيوطيقا في هذه الحالة هي الترجمة، وهي واحدة من أسس نظرية هيدجر في التأويل.

---

[1]– عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م، ص27.

[2]- المرجع نفسه، ص28.

[3]- المرجع نفسه، ص 32.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

اصطلاحا:

كما جاء في التعريف اللغوي أنّ أصل كلمة الهرمنيوطيقا مرتبط بالإله هرمس، وانطلاقا من وظيفة هرمس، « المراسل فيما بين الآلهة والبشر، وأنّ الأصل اليوناني للفظة هرمنيوطيقا يوحي بعملية الإفهام، وبخاصة حين تشتمل هذه العملية على اللغة، فاللغة هي الوسيط الأساسي في هذه العملية بلا ريب»[3]، فإنّ معنى الهرمنيوطيقا اصطلاحا حسب بول ريكور هو« تأمل حول عمليات الفهم الممارسة في تأويل النّصوص»[4].

وبذلك تُعتبر الهرمنيوطيقا نظرية التأويل «هي المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم، وبخاصة فيما يتعلق بتأويل النّصوص»[1]، فالمعنى الإصطلاحي المتفق عليه عالميا تقريبا للهرمنيوطيقا هو نظرية تفسير وتأويل النص. وبما أنّ الجذور لكلمة هرمنيوطيقا يعود إلى الأصل اليوناني، فإنّ « السياق الذي ظهرت فيه الهرمنيوطيقا اليونانية، كان الحاجة الثقافية لتحديد معنى ودور وظيفة النّصوص الأدبية في المجتمع الإغريقي القديم، وخاصة ملاحم هومر »[2]، فالنقد المتصل بهومر هو مهد النظرية الأدبية الهرمنيوطيقية، « وظهر النقد المتصل بهومر استجابة للحاجة إلى تفسير أعماله في مجتمع اتفق على اعتبار الإليادة والأوديسة نصوصا أساسية في تثقيف الشبان وإرشاد الناضجين، وكذلك لدورها التعليمي في الحياة العامة والخاصة في الثقافة الإغريقية الكلاسيكية، فإنّ تفسيرها كان موضع اهتمام لدى العامة »[3]، وبما أنّنا نتحدث عن الهرمنيوطيقا بكونها فلسفية، فإنّها ارتبطت بعد تفسير النّصوص الإغريقية القديمة، فإنّها ارتبطت في بدايتها « بتفسير وتأويل النّصوص الدينية الإنجيل، فالهرمنيوطيقا هي نظرية عمليات الفهم في تأويل وتفسير النّصوص»[4]، وعليه فالهرمنيوطيقا هي فن للتأويل والفهم.

- مراحل الهرمنيوطيقا الغربية:

لقد مرّت الهرمنيوطيقا الغربية بثلاث مراحل كبرى في تطويرها:

1- " تأثير الفلسفة الكلاسيكية الإغريقية والنظرية الأدبية الإغريقية.

2- انبعاث النظريات المسيحية واليهودية في تفسير الكتاب المقدس.

---

[4]- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص19.

[1]- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص12.

[2] - ويرنرج جينروند: تطور الهرمنيوطيقا اللاهوتية، من البدايات إلى عصر التنوير، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد: 59- 60، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 1435 هـ/ 2014 م، ص66.

[3] - المرجع نفسه، ص66.

[4] - عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص19.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

3- تأثير عصر التنوير الذي أدى إلى توسيع دائرة التفكير الهرمنيوطيقية إلى أبعد من السياقات الدينية الرئيسية التي حتى الآن كانت موضوعها الأساسي "[1].

- الهرمنيوطيقا الفلسفية عند هيدجر:

لقد انصبّ اهتمام الهرمنيوطيقا الفلسفية عند هيدجر، بفلسفة الوجود الإنساني في العالم، ثم تحويل آليات المنهج الهرمنيوطيقي لهيدجر إلى تأويل النص الأدبي وفهمه، « ولكي يفهم Understand المرء ينبغي أن يفهم سلفا Fore- Understand، أن يكون لديه مواقف استباق سياقية، هذا ما يُعرف ب " دائرة الهرمنيوطيقا "، وبحسب النظرية التأويلية الفينومينولوجية، فإنّ دائرة الهرمنيوطيقا ليست مغلقة بل مفتوحة، وذلك بفضل الطبيعة الرمزية والتأملية الذاتية لوجودنا »[2]، ويفسر جادامير منهج أستاذه هيدجر ومسألة المعرفة المسبقة في مواجهتنا مع النّصوص، فيقول: « بأنّنا لا يمكن أن نقرأ النص إلاّ بتوقعات معينة، أي بإسقاط مسبق، غير أنّ علينا أن نراجع اسقاطاتنا المسبقة بإستمرار في ضوء ما يمثل هناك أمامنا، وبإمكان كل مراجعة لإسقاط مسبق أن تصنع أمامنا اسقاطا جديدا من المعنى، ومن الممكن أن تبزغ الإسقاطات المتنافسة جنبا إلى جنب إلى أن تغدو وحدة المعنى أكثر وضوحا...وهذه العملية الدائمة المستمرة من الألفاظ الجديدة هي حركة الفهم والتأويل»[3]، ويدعو هيدجر إلى ضرورة إقامة حوار بين القارىء والنص من خلال عملية الإسقاط هذه، « وعلى المؤول لكي يبلغ أقصى فهم ممكن ألاّ ينخرط فحسب في الحوار مع النص، بل أن يفحص على نحو صريح منشأ المعنى المسبق الذي بداخله ومدى صحة هذا المعنى »[4].

وعليه فإنّ المؤول عندما يقرأ النص، فإنّه يراجع مرارا وتكرارا فهمه المسبق وحسه بموقفه الخاص قبالة النص باعتبار أنّ النص، « بنية رمزية قصدية، أفقه خاص، أي نطاق المعارف عن العالم التي كُتب النّص في ظلها، هذا الاختلاف في الآفاق سيكون محط اهتمام النظرية التأويلية الثقافية والتاريخية »[1].

ففي الهرمنيوطيقا يلتقي أفق القارئ بأفق النص، « القارىء يقرأ بفهمه وبأطره المرجعية؛ ولكن ما يقرأه هو بناء له عناصره ودقائقه وعلاقاته التي تحكمها آفاق الزمن الذي كتب فيه، القراءة إذن موثوقة بالنص وتاريخيته؛ كل قراءة محض تأويل... دخول تاريخية القارىء في تاريخية النص، ليس هناك قراءة

[1] - ويرنجر جينروند: تطور الهرمنيوطيقا اللاهوتية، من البدايات إلى عصر التنوير، ص65.
[2] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص17.
[3] - المرجع نفسه، ص17.
[4] - المرجع نفسه، ص18.
[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص19.
[2] - المرجع نفسه، ص19.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

دائمة؛ هناك فقط قراءة تاريخية، ليس هناك معنى دائم أو مثالي؛ هناك فقط معنى وجودي، أي المعنى يبزغ خلال فهم القارىء التاريخي للنص التاريخي »[2].

وانطلاقا من كون العالم بطبيعته متغير، وأنّ النص يجسد أسلوب المؤلف في الكتابة عبر الزمن، ويُعدُّ « بصمته الشخصية، وختمه الفردي، فهمه الشعوري واللاّشعوري للعالم وتوجهه فيه، حيث يقول " فالديس valdis " في الهرمنيوطيقا الفينومينولوجية ودراسة الأدب؛ فإنّ النص يتكون من: الشكل والتاريخ وخبرة القراءة، والتأويل الذاتي للمؤول »[3]، ويحذر هيدجر من عواقب ونتائج الفهم المسبق للنص لدى بعض القراء، فيعبر عن ذلك بقوله: « رغم أنّ فهمنا المسبق، هو أداتنا وعدتنا للفهم، فنحن نصادر به ولا نريد أن نصهر أفقنا بأفق النص، ولا نريد أن ندخل في حوار صادق مع النص، لا نريد أن نصغي إلى صوت الآخر، لا نريد أن نراجع اسقاطاتنا المسبقة في ضوء ما يبزغ أمامنا في عملية القراءة، وبذلك نتصلب عند فهمنا المسبق، ولا نقرأ النص قراءة حقيقية، بل نخرس النص ونفرض عليه ما ليس فيه »[4]، وهكذا يفوتنا المغزى الحقيقي للنص، ورسالته وبلاغته، ويصرف النص وجهه الحقيقي عنا، ويكون القارئ بفهمه المسبق للنص غير جدير بأفق النص، ومعناه الأصلي ومقاصده، فهو قارئ يتصف بالتّعصب في الحكم على النص، قبل أن يعقد حوارا جادا وصادقا مع النص، لأنّ المعنى الأصلي للنص خفي عن فكر القارئ قبل قراءته الحقيقية، وخفيه على وعي المفسر.

فالنص كيان مُعتم ويقوم بين « دنياوين ويقف جسرا بين عالمين، عالم غامض مستغلق معتم هو عالم النص، وعالم واضح المعالم محدد القسمات كثيف الإضاءة مبذول المعنى هو عالمنا القائم الذي نعيش فيه ونألف ملامحه ونجول في كنفه »[1].

والشيء المثير في وصف هيدجر للتأويل يتمثل في "فهم معنى الوجود "، حيث يدخل التأويل « في حوار ودي وأساسي مع الجهود الكبرى السابقة لفهم معنى الوجود،...إنّه إصغاء إلى النصوص، فالرسالة التي يتعين على المرء أن يؤولها هي في حقيقة الأمر مذاهب أسلافه وتفكيرهم، كما هو متجسد في النّصوص الكبرى، " أن توجد " من الوجهة التأويلية ككائن إنساني هو أن توجد بين النّصوص، أن تساهم في سلسلة التأويل »[2]، حيث يريد هيدجر من خلال كلامه هذا أن يفرض المفسر وجوده وتظهر شخصيته أثناء عملية التأويل، وأكثر من ذلك وأن يتأمل النّصوص بحب فقيه اللغة للألفاظ، وأن يعطي كل لفظة في كل موضع وزنها الكامل، هذا الوزن الذي يكون في الأغلب الأعم خفيا مستورا، « فإذا تعين على المرء أن

---

[3] - المرجع نفسه، ص20.

[4] - المرجع نفسه، ص22.

[4] - المرجع نفسه، ص22.

[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص28 .

[2] - المرجع نفسه، ص29.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يبحث عن الثقل الخفي للألفاظ القديمة، فلكي يمضي فيما وراء الوضوح الذاتي في التفكير الحديث، هذا الإصغاء الخاص والشديد الذي يدعو إليه هيدجر هو أمر ضروري من أجل الانفلات من حدود النظرة الحديثة للعالم، فالهرمنيوطيقا هي ذلك المجال المعني بفك رموز الأقوال التي تنتمي إلى أزمنة وأمكنة ولغات أخرى، دون أن يفرض عليها المرء مقولاته هو أو تصنيفه وتفكيره المسبق المتعصب »[1] على الناقد أن لا يتسلط على النص، بل يستسلم في قراءة أكثر عمقا وتأويلا.

وبذلك فإنّ هيدجر يريد للهرمنيوطيقا، « أن تكون رسالة جليلة تزعزع أسس الفكر، لا يريد غير تأويل يتخطى التصورات السائدة، تأويل يقوم ب " تحويل الفكر "، فالهرمنيوطيقا، أو منهج التأويل قد صُمّم خصيصا لكي يمكّن النص من أن يُؤتى كنزه »[2]، وعلى القارئ أن يوظف مكتسباته للبحث عن هذا الكنز.

وتقوم الهرمنيوطيقا عند هيدجر على الاتجاهات الثلاثة للفعل يؤول في اليونانية وهي:

1- يعبر بصوت عال في كلمات أي؛ " يقول " أو " يتلو ".

2- يشرح؛ كما في حالة شرح موقف من المواقف.

3- يترجم؛ كما في حالة ترجمة لغة أجنبية.

ولا بد أن تحضر هذه الحالات الثلاث جميعا في العملية الهرمنيوطيقية أي؛ أثناء فهم النص، لأنّه « ثمة شيء بحاجة إلى العرض أو الشرح أو الترجمة يصبح، بطريقة ما معقولا ومستوعبا، ثمة شيء ما قد تم تأويله »[3]، فحين نقوم بتطبيق الاتجاه الأول من الاتجاهات الثلاث التي تقوم عليها هرمنيوطيقا هيدجر، وهو القول بصوت عال، فمثلا حين يلتفت المفسر في الأدب « إلى القصيدة ولسان حاله يقول: « هذه قصيدة، ولسوف أفهمها بأن أفعل كذا وكذا، يكون في حقيقية الأمر، قد أتم مهمته، وبالتالي يكون قد شكل معنى الموضوع...فالتفسير ينبغي أن ننظر إليه داخل سياق تأويل أكثر بداءة »[4]، ومنه فالتفسير الذي قام به المفسر في الأدب من خلال هذا المثال، أقل وضوحا وأقل واقعية، وعلى الرغم من ذلك فإنّ التأويل الشفهي هو الشيء الذي نفعله جميعا عندما نقرأ نصا ونبحث عن خفايا معانيه.

- الهرمنيوطيقا بوصفها الدزاين والفهم الوجودي عند هيدجر:

في تناوله لمشكلة الأنطولوجية (طبيعة الوجود في العالم)، « التفت مارتن هيدجر (1976م- 1889م) heidegger Martin، إلى المنهج الفينومينولوجي لأستاذه إدموند هسرل E.Husserl، وقدّم دراسة

[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص31.
[2] - المرجع نفسه، ص30.
[3] - المرجع نفسه، ص35.
[4] - المرجع نفسه، ص48.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

فينومينولوجية للوجود اليومي للإنسان في العالم، ضمنها كتابه " الوجود والزمان "(1927م) Being and time، الذي يُعدُّ اليوم تحفته الكبرى والمفتاح الحقيقي لفهم فكره الفلسفي، وقد أطلق هيدجر على التحليل الذي قدمه في الوجود والزمان اسم هرمنيوطيقا الدزاين »[1]، وهذه الهرمنيوطيقا لا تُعنى بتأويل النّصوص، وإنمّا تُعنى بتبيان فينومينولوجي للوجود الانساني ذاته، حيث يشير هيدجر في هذا السياق إلى أنّ « الفهم والتأويل هما طريقان أو أسلوبان لوجود الإنسان، ليس الفهم شيئا يفعله الإنسان بل هو شيء يكونه »[2] ، وبذلك يعمّق هيدجر مفهوم الهرمنيوطيقا في الوجود والزمان، ثم جاء تلميذ هانز جيورج جادامير (Hans Georg Gadamer)، وقام بتطوير مضمون الهرمنيوطيقا الهيدجرية، فربطها بعلم الجمال وبفلسفة الفهم والتاريخ.

- أوجه الاختلاف بين فلسفة هسرل وهيدجر:

1- يكمن الإختلاف بينهما، في كون هسرل ردّ كلّ الظواهر إلى الوعي الإنساني أي؛ إلى الذات المتعالية (الترانسندنتالية)، أما هيدجر، فقد آمن بأنّ حقيقة الوجود سابقة على الوعي والمعرفة الإنسانية.

2- ويظهر الفرق بينهما أكثر وضوحا في كلمة هرمنيوطيقا نفسها، حيث لم يسبق لهسرل أن استخدم هذه اللفظة في بحثه.

بينما صّرح هيدجر في كتابه الوجود والزمان « بأنّ الأبعاد الأصلية لأي منهج فينومينولوجي تجعله هرمنيوطيقيا بالضرورة، ولقد كان مشروعه في الوجود والزمان هو تأويل للدزاين الآنية Hermeneutic of dasein »[1]، والدزاين Dasein تعبير ألماني يعني "الوجود هنا" ، وقد استخدمه هيدجر للتعبير عن الوجود الإنساني، إنّ اختيار هيدجر لكلمة هرمنيوطيقا ليتميز عن فينومينولوجيا هسرل.

3- ومن الفروق أيضا بين فلسفة هسرل وهيدجر، نجد أنّ هسرل انطلق في عمله الفلسفي من تنشئته العلمية الرياضية، أمّا هيدجر فقد انطلق عن التنشئة اللاّهوتية.

- أسس فلسفة هيدجر في الهرمنيوطيقا:

1- لقد كان هيدجر يستخدم لفظة هرمنيوطيقا في إطار بحثه عن أنطولوجيا العمل (طبيعة الوجود الانساني في العالم).

2- شرع هيدجر في البحث عن منهج هرمنيوطيقي يتجاوز التصورات الغربية القديمة عن الوجود.

---

[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص75.

[2] - المرجع نفسه، ص75.

[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص215، 216.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

3- ووجد في فينومينولوجيا أستاذه إدموند هسرل، أدوات تصورية لم تكن متاحة لدى سابقيه، ومنهجا يكمن في إلقاء الضوء على كينونة الوجود الإنساني.

4- الفهم عند هيدجر هو شكل من أشكال الوجود في العالم، وهو الأساس لكل تفسير، وقائم في كل فعل من أفعال التأويل.

5- ويضرب هيدجر مثالا عن الدزاين الآنية، من خلال تحليل علامات المرور أو لافتات الطّرق.

فهذه العلامات توضح « النسق الكلي للأداة توضيحا تاما، فعلامة المرور مثلا توضح النسق الكلي الذي يربط سلوك المارة وراكبي السيارات وعساكر المرور...، فإذا كانت الأداة العادية (كالقلم مثلا) غير لافتة للأنظار نتيجة انصراف الكاتب مثلا إلى الغرض الذي يستخدم القلم من أجله لا إلى طبيعة هذا القلم كأداة، فإنّ أداة العلامة على العكس من ذلك تشدّ الانتباه، إلى طابع الإحالة الذي توضحه أشدّ التوضيح »[1] فالعلامة المحددة تحيل إلى المحيط الذي تنتمي إليه، وتُيسر الانفتاح عليه، خاصة إذا كانت صالحة وقابلة للاستخدام، لأنّ العلامة تجسد هذا الاستخدام وتوضح السياق الكلي الذي توجد فيه العلامة، « وهذا بدوره يحيلنا إلى الآنية، لأنّ حال الأداة، يُعبر عمّا تريده لها الآنية أو تريد بها أي؛ أنّ الغرض الذي جُعلت له الأداة أصلا هو إرادة آنية بها »[2].

- تمظر الهرمنيوطيقا في تأويل النص الأدبي:

لقد انصبّ اهتمام هيدجر في الهرمنيوطيقا حول تأويل الوجود الإنساني، ثم صار التأويل بمعنى الاهتمام بتأويل النّصوص وبخاصة النّصوص القديمة كالشعر مثلا، وتُعدُّ بذلك الهرمنيوطيقا أكثر فاعلية في التأويل الأدبي أو النصي، «وتكون أكثر قبولا في تأويل القصائد»[3] ، فلقد كان هيدجر مُولعا بكتابة الشعر، «فشعره رعوي، شعر منبعث من عالم مرتبط بالطبيعة»[4] وهذه بعض المقاطع من شعر هيدجر حيث يصف عالم الفلاحة:

" خلل صدغ في سماء ملبدة بغيوم ممطرة

فجأة تنساب أشعة الشمس

لتحتضن المروج المعتمة

ومرة أخرى

[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص229.

[2] - المرجع نفسه، ص230.

[3] - عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص 33.

[4] - المرجع نفسه، ص34.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أو حين يعلن الغدير الجبلي

في سكون اللّيل عن هديره

مندفعا فوق الصخور

أو حين تتأرجح أجراس البقر

منحدرة نحو الوادي

حيث تتهادى القطعان"[1]

كما قام هيدجر بتأويل لوحة الرسام الهولندي فان كوخ التي تحمل صورة " زوج من أحذية القرويين"، بواسطة آلية التّصاحب والملاءمة حيث ربط منفعة الأحذية بمصاحبة الذات لها لتؤدي منفعة في العمل الفلاحي، هكذا كانت قراءة هيدجر للوحة الفنان فان كوخ.

وقد حظي النص الأدبي باهتمام المقاربة الهرمنيوطيقية لفهمه وتأويله، وكان لهيدجر نظرة خاصة في فهم النص وتأويله، فالتفكير الهرمنيوطيقي الحق في تعريف هيدجر، ليس تناولا ولا تلاعبا بما تم انكشافه، بل كشفا لما خفي واحتجب، وعند إسقاط ذلك على الأدب، نجد أنّ النص الذي يقوله شاعر ينضوي دائما على الكثير من الأشياء التي تظل محتجبة غير مقولة، «ومن ثم فإنّ الحوار الفكري مع النص من شأنه أن يثمر مزيدا من الكشف ويؤدي إلى مزيد من الإفضاء، فيسمى هذا عملا تأويليا، لإزالة الحدود بين المحتجب والمنكشف»[1]، وقد عرّف الهرمنيوطيقا على أنها التعامل مع اللحظة التي ينبلج فيها المعنى، ومن أمثلة ذلك «يقوم هيدجر بشرح "أنشودة في الإنسان" من مسرحية "أنتيجونا" لسوفوكليس، في محاولة منه للتعرف على التصور الإغريقي الأول عن الإنسان، كما تعبر عنه القصيدة»[2]، ويقع تأويل هيدجر في ثلاث مراحل، في كل مرحلة ينظر إلى القصيدة كلها من زاوية مختلفة، حيث يقول هيدجر «في المرحلة الأولى نقدّم المعنى الباطن للقصيدة، ذلك المعنى الذي يمسك صرح الألفاظ ويحفظه ويعلو فوقه، وفي المرحلة الثانية سوف نتفقد التتابع الكامل للفقرات الشعرية وورودها، ونحدد المنطقة التي تكشفها القصيدة وتضيئها، وفي المرحلة الثالثة نحاول أن نتخذ موقفنا في مركز القصيدة، لهذا الخطاب الشعري»[3]، أي: ننظر بتمعن ونتخطى القصيدة إلى ما لم تقله القصيدة، وبذلك فإنّ تأويل هيدجر للنص الشعري انطلاقا من هذه المراحل الثلاث، لا يبتغي منهجا شكليا، لأنّ الشكلية لا تتوافق مع

[1] - عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص 213-214.

[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 251.

[2] - المرجع نفسه، ص 262.

[3] - المرجع نفسه، ص 262.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقاصده، ولا مع السؤال الذي يطرحه، «وغاية الشرح عنده هو تحديد الموضع الذي تتحدث عنه القصيدة، موضع تلك المساحة من الوجود التي تضيئها الفقرة الشعرية»[4].

فالعمل التأويلي لا يقف عند قناعة القارئ بما تقوله القصيدة بصورة مباشرة، ولو حصل ذلك، ليبلغ التفسير أو التأويل نهايته، وتوقف عند المرحلة الثانية من المراحل التي أشار إليها هيدجر، فالتأويل الحق في هرمنيوطيقا هيدجر، «يجب أن يكشف ما لا يمثل في الألفاظ، ولكنّه يُشار إليه رغم ذلك، (ما يُقال دون أن يُلفظ)»[1]، وعلى المؤول أن يحقق ذلك بالقراءة المعمقة، ليكشف عن المعنى غير المصرح به في النص، فالعملية التأويلية في جوهرها تتمثل في تسليط الضوء على المعنى المضمر لا الصريح، الباطن لا الظاهر في النّصوص الأدبية.

- الخاتمة:

لقد كان إسهام نظرية التأويل عند هيدجر متعدد الجوانب، في الوجود والزمان والمكان، ومهّد الطريق لكل عملية تأويلية جاءت من بعده، لا سيما تلميذه جادامير، كما استفادت بعض العلوم من استعمال الهرمنيوطيقا في تأويل النّصوص الأدبية، وعلى رأسها الفيلولوجيا(علم فقه اللغة)، كما أنّ الهرمنيوطيقا (التأويلية) عند هيدجر لا تتنافى ولا تتعارض مع النقد الجديد، حيث تصبو الهرمنيوطيقا إلى العناية بالوجود الخاص للنص نفسه، وحمايته من عبث القارئ، أو تسلط الناقد، أو التّقول عليه (السفسطة والهرطقة)، بل تهدف إلى قراءة أكثر كفاءة للنص لاستجلاء كنزه، قراءة معمّقة للنص تسمح بأن يوجد مرة ثانية، فيتألق المعنى الحقيقي ويضيء من خلال التفاعل المتبادل بين القارئ والنص.

[4] - المرجع نفسه، ص 263.

[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 264.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- هوامش البحث:

[1]– عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م، ص27.

[2]- المرجع نفسه، ص28.

[3]- المرجع نفسه، ص 32.

[4]- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص19.

[5]- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص12.

[6]- ويرنرج جينروند: تطور الهرمنيوطيقا اللاهوتية، من البدايات إلى عصر التنوير، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد: 59- 60، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 1435 هـ/ 2014 م، ص66.

[7]- المرجع نفسه، ص66.

[8]- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص19.

[9]- ويرنجر جينروند: تطور الهرمنيوطيقا اللاهوتية، من البدايات إلى عصر التنوير، ص65.

[10]- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص17.

[11]- المرجع نفسه، ص17.

[12]- المرجع نفسه، ص18.

[13]- المرجع نفسه، ص19.

[14]- المرجع نفسه، ص19.

[15]- المرجع نفسه، ص20.

[16]- المرجع نفسه، ص22.

[17]- المرجع نفسه، ص28.

[18]- المرجع نفسه، ص29.

[19]- المرجع نفسه، ص30.

[20]- المرجع نفسه، ص31.

[21]- المرجع نفسه، ص35.

[22]- المرجع نفسه، ص48.

[23]- المرجع نفسه، ص75.

[24]- المرجع نفسه، ص75.

[25]- المرجع نفسه، ، ص215، ص216.

[26]- المرجع نفسه، ص229.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

[27]- المرجع نفسه، ص230.

[28]- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص 33.

[29]- المرجع نفسه، ص34.

[30]- المرجع نفسه، ص 213-214.

[31]- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 251.

[32]- المرجع نفسه، ص 262.

[33]- المرجع نفسه، ص 262.

[34]- المرجع نفسه، ص 263.

[35]- المرجع نفسه، ص 264.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الثقافة وانعكاساتها الصحية في أوغندا: دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الطبية

Culture and its Health Reflections in Uganda: A Field Study in Medical Anthropology

د. محمد جلال حسين

تاريخ الإرسال: 2019/02/25	تاريخ القبول: 2019/05/17	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

تمثل الهدف من هذه الدراسة في التعرف على أهم المعتقدات الثقافية السائدة في المجتمع ومدى تأثيرها على الحالة الصحية, ورصد أهم الممارسات الثقافية المنتشرة في المجتمع وأسباب القيام بها والتأثير الصحي المترتب عليها. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي والمنهج البيو ثقافي. وأجريت الدراسة الميدانية على فئات مختلفة من سكان كامبالا عاصمة أوغندا بلغ قوامها 95 مفردة (75 نموذج استبيان- 20 مقابلة) ممن يتراوح أعمارهم ما بين 15: 45 عام. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج؛ تركت المعتقدات السائدة في أوغندا أثرًا واضحًا على الحالة الصحية وخاصة بالنسبة للمرأة, فقد باتت المرأة الأكثر تعرضًا للآثار الناجمة عن تلك المعتقدات السائدة, وخاصة تلك المعتقدات المتعلقة بحدوث العقم نتيجة السحر والعين الشريرة وعدم دفن المشيمة بعد الولادة, والتي دفعت الكثير من النساء إلى اللجوء إلى العرافين والسحرة.

الكلمات المفتاحية: (المعتقدات؛ الممارسات الثقافية؛ أوغندا؛ الصحة؛ المرض).

Summary :

This study aims to identify the most important cultural beliefs in society and its impact on health status, and Monitoring the most important cultural practices prevalent in the society and the reasons for their performance and the health impact. This study adopted both anthropological and bio- cultural approaches and utilizing both questionnaire and interview for data collection from the study sample. Results revealed that; Ugandan beliefs influenced women health, especially beliefs related to infertility due to witchcraft and evil eye and not to bury the placenta after birth. These beliefs led many women to witchcraft and sorcerers.

Keywords : (Beliefs; Culture practice; Uganda; Health; Disease)

- محمد جلال حسين، مدرس الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة، كلية الدراسات الإفريقية العليا، الأنثروبولوجيا، Mohamed.galal@cu.edu.eg .

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة

في الآونة الأخيرة لم تعد دراسة الأمراض والقضايا المتعلقة بالصحة قضايا طبية فحسب, بل اقتحمت الدراسات الأنثروبولوجية وخاصة الأنثروبولوجيا الطبية مجال معالجة هذه القضايا, وخاصة بعدما أدرك الأطباء أن المرض لا يعزو فقط لتأثير العوامل البيولوجية, بل تلعب العوامل الثقافية والاجتماعية دورها الفعال في تحديد الحالة الصحية والمرضية للأفراد, وهذا ما جعلهم ينظرون للمرض من منطلق ثقافي واجتماعي مثلما ينظرون إليه من منطلق بيولوجي. لذلك اصبح فهم السياق السوسيوثقافي للصحة والمرض أمرًا معترف بأهميته الحيوية في السنوات الأخيرة في كافة الدراسات المتعلقة بالصحة والمرض, فالثقافة تلعب دورًا لا يمكن إغفاله في تحديد الحالة الصحية والمرضية, فهي المسئولة في المقام الأول عن تشكيل تصورات الأفراد عما يمكن اعتباره مرضًا وما لا يمكن اعتباره كذلك, كما أنها هي التي تحدد تفسير الأفراد لمسببات المرض والطرق التي يلتمسونها لعلاج أعراض مرضهم في ضوء تصورهم لمسبباته.

فالحالة الصحية والمرضية لأي مجتمع إنساني – من حيث طبيعة المرض وكثافته وقوة الكائنات المسببة له ونمط توزيعه السكاني- ليست مسألة وليدة الصدفة, ولكنها نتاج طبيعي للتفاعل الديناميكي المستمر بين عناصر البيئة الطبيعية والبيولوجية والثقافية والاجتماعية[1].

لم يقتصر دور الثقافة على تشكيل تصورات أفرادها وتحديد الطرق المفضلة للعلاج, بل قد تتضمن هذه الثقافة بعض الممارسات المعترف بها والمقبولة من قبل أفرادها والتي بدورها تترك الأثر السلبي على حالتهم الصحية, مثل زواج الأقارب, شعائر التكريس, الزواج المبكر, ختان الإناث, تناول الكحوليات, وغيرها من الممارسات, كما أن الثقافة قد تكون أحد العوائق التي تحول دون النهوض بالحالة الصحية والعمل على تحسينها, وذلك في حال ما تتعارض البرامج والمشروعات الصحية المقدمة مع عادات وتقاليد ومعتقدات المجتمع المراد النهوض بالوضع الصحي به, وهذا ما جعل القائمين على تقديم البرامج والمشروعات الصحية يراعون في المقام الأول السياق الثقافي والاجتماعي للمجتمع قبل تنفيذ هذه البرامج.

وتعد الأنثروبولوجيا الطبية أهم فروع الأنثروبولوجيا التي تهتم بدراسة القضايا المتعلقة بالصحة والمرض, ولكن لم تظهر الأنثروبولوجيا الطبية كفرع متميز من فروع إلا في الخمسينيات من القرن الماضي, حيث شهدت تطورًا ملحوظًا بعد الحرب العالمية الثانية متمثلاً في تحويل عدد متزايد من علماء الأنثروبولوجيا انتباههم إلى تلك القضايا المتعلقة بالصحة والمرض وعلاقتها بالنماذج الثقافية والأنماط

1) محب محمد شعبان، دراسة الأمراض المعدية: الاتجاهات المنهجية في أبحاث الأنثروبولوجيا الطبية, في: بحوث المؤتمر الدولي الثالث لكلية العلوم الإنسانية, العلوم الاجتماعية والدراسات البينية من منظور تكاملي, ج1, (تحرير: محمد الخزامي عزيز), كلية العلوم الاجتماعية, جامعة الكويت, 2007,ص5.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الاجتماعية السائدة في المجتمع, وخاصة بعد أن أدركوا أن الحالة الصحية أو المرضية التي يعيشها الفرد في إطار الحياة الاجتماعية لا تمثل ظاهرة منعزلة؛ بل هي انعكاسًا للظروف الاجتماعية, السياسية, الاقتصادية, والثقافية التي يعيشها الإنسان[2]. وتهتم الأنثروبولوجيا الطبية بدراسة الارتباط القائم بين المعتقدات والممارسات الخاصة بأفراد ثقافة ما وبين التغيرات البيولوجية والفسيولوجية التي تحدث في جسد أفرادها سواء في حالة الصحة أو المرض[3].

تعد أوغندا أحد الدول الإفريقية التي يتضح بها تأثير العوامل الثقافية على الحالة الصحية لسكانها, فهي تزخر بالعديد من الممارسات الثقافية والمعتقدات التي تنعكس آثارها على الحالة الصحية, كالزواج المبكر, ختان الإناث, تعاطي الكحوليات, ممارسة الجنس قبل الزواج وغيرها من الممارسات. ولذلك وقع الاختيار على هذه الدولة لتكون مجتمعًا لدراسة تأثير المعتقدات والممارسات الثقافية وتأثيرها على الحالة الصحية.

- الهدف من الدراسة

تمثلت الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة في:

1- التعرف على أهم المعتقدات الثقافية السائدة في المجتمع والتعرف على مدى تأثيرها على الحالة الصحية.

2- رصد أهم الممارسات الثقافية المنتشرة في المجتمع والتعرف على التأثير الصحي المنعكس على القائمين بها.

3- التعرف على أهم الأسباب الدافعة لتناول الكحوليات, والتعرف على أكثر الفئات تناولاً لها.

4- التعرف على أهم الأسباب الكامنة خلف اتجاه الكثير من الفتيات والفتية لممارسة الجنس قبل الزواج, مع الإشارة إلى الآثار المترتبة على ذلك.

2) مختار رحاب، الصحة والمرض بين التصور التقليدي وممارسات الطب الحديث, في: الدكتورة حكمت أبوزيد من القرية إلى الوزارة: دراسات في علم الاجتماع عن العالم العربي, (تحرير: علي المكاوي), مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية- كلية الآداب- جامعة القاهرة, 2008, ص 429.

3) مصطفى عوض، الأنثروبولوجيا الطبية, في الأنثروبولوجيا في المجالات النظرية والتطبيقية. (تحرير: محمد عباس إبراهيم), دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, ص 258.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- مفاهيم الدراسة

(1) مفهوم الصحة

يقصد بالصحة "حالة من غياب المرض الظاهر, وخلو الإنسان من العجز والعلل", وبالتالي فمن الممكن النظر إلى الأشخاص الذين لم يشعروا بالمرض والذين لم تبد عليهم علامات الاعتلال والمرض عند الفحص على أنهم أصحاء, ولكن هذا المفهوم ضيق وخاصة إذا ما قورن بتعريف منظمة الصحة العالمية "الصحة هي حالة التحسن الجسمي والعقلي والاجتماعي الكامل[4].

(2) مفهوم المرض

عرف المرض على أنه حالة الانحراف عن الحالة الطبيعية للفرد جسمياً أو عقلياً أو اجتماعياً أو نفسياً, وقد يكون هذا الانحراف في أكثر من جانب من الجوانب المحددة للشخصية الإنسانية, وهذا الانحراف أيضاً نسبي وليس انحرافًا مطلقًا ولذلك فإن مفهوم المرض أيضاً مفهوم نسبي يختلف من شخص لآخر ومن موقف لأخر[5].

(3) مفهوم المعتقدات

يقصد بالمعتقدات مجموعة من الموروثات المتعلقة بالعالم الخارجي وفوق الطبيعي, والتي احتلت عقول الناس وشغلت حياتهم وملكت قلوبهم, وأصبحت مُسلم بها لديهم, وغالبًا ما تحاط هذه المعتقدات بقدر من السرية وتظل خبيئة في صدور أفرادها, وبالتالي لا مجال للمناقشة أو المحاكمة العقلية بها[6].

- منهجية الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي الذي لا غنى عنه في الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية, كما اعتمدت أيضًا على المنهج البيوثقافي, الذي يعد أحد المداخل المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية المعنية بدراسة الصحة والمرض, حيث يقوم هذا المدخل على تفسير تلك التغيرات البيولوجية التي يمر بها الفرد أو الجماعة والتي تنعكس على الحالة الصحية سواء بالإيجاب أو بالسلب,

4) سهير الدمنهوري، المشكلات الاجتماعية والبيئية في إفريقيا وأثرها على صحة الطفل: دراسة لمنطقة حلوان, أعمال مؤتمر الصحة والمرض في إفريقيا في إطار الاحتفالية المئوية بجامعة القاهرة وتكريم أ.د سعاد (تحرير: سلوى درويش), معهد البحوث والدراسات الإفريقية, جامعة القاهرة, 2007, ص117.

5) سلوى عثمان الصديقي، مدخل في الصحة العامة والرعاية الصحية, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, 2005, ص143 .

6) نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي: ثقافة الصحة والمرض, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, 2006, ص199.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ولكن هذا التفسير يعتمد على ربط هذه التغيرات البيولوجية بالحياة الثقافية لتلك الجماعة وما يتعلق بها من عادات وممارسات. فالحالة الصحية والمرضية التي يوجد عليها الفرد ماهي إلا مرآة تعكس طبيعة البيئة التي يعيش فيها سواء كانت بيئة ثقافية, اجتماعية, إيكولوجية أو طبيعية.

- مجالات الدراسة

(1) المجال المكاني

أجريت الدراسة في مدينة كامبالا عاصمة جمهورية أوغندا التي تقع في شرق إفريقيا في قلب هضبة البحيرات ويحدها شمالاً دولة جنوب السودان, وجنوبًا تنزانيا ورواندا, وشرقًا كينيا, وغربًا الكنغو الديمقراطية.

(2) المجال البشري

أجريت الدراسة الميدانية على فئات مختلفة من سكان كامبالا عاصمة أوغندا, وقد بلغ قوام العينة 95 مفردة (75 نموذج استبيان- 20 مقابلة) ممن يتراوح أعمارهم ما بين 15: 45 عام, وقد كانت الخصائص الديموجرافية لهذه العينة متمثلة في الآتي (جدول رقم 1, 2):

الخصائص الديموجرافية لعينة الاستبيان						
	النوع		الديانة			
	ذكر	أنثى	مسلم	مسيحي	Born Again	
النسبة المئوية	٦٠	٤٠	٤٦,٧	٤٨	٥,٣	
	السن			الحالة الاجتماعية		
	١٤: ٢٥	٢٦:٤٠	٤١: ما فوق	أعزب	متزوج	مطلق	أرمل
النسبة المئوية	٣٨,٧	٤٠	٢١,٣	٤٥	٥٤	١	–
	المستوى التعليمي						
	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	دبلوم	جامعي		ماجستير
النسبة المئوية	–	٩,٣	٢١,٣	٩,٣	٦٠		–
	متوسط الدخل						
	منخفض	متوسط		عالي		لا يعمل	
النسبة المئوية	٣٤,٧	٤٩,٣		٥,٣		١٠,٧	
	الانتماء القبلي						
	Baganda	Alur	Muganda	Munyankoli		Tooro	
النسبة المئوية	٣٢	٢,٧	٤٢,٧	٨		١,٣	
	Musoga	Murundi					
	٥,٣	٨					

جدول رقم (1) الخصائص الديموجرافية لعينة الاستبيان

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بينما تمثلت الخصائص الديموجرافية لعينة المقابلة فهي:

الخصائص الديموجرافية لعينة المقابلة							
	النوع		الديانة				
	ذكر	أنثى	مسلم	مسيحي	Born Again		
النسبة المئوية	٧٠	٣٠	٤٥	٤٠	١٥		
	السن			الحالة الاجتماعية			
	١٤: ٢٥	٢٦:٤٠	٤١: ما فوق	أعزب	متزوج	مطلق	أرمل
النسبة المئوية	٢٠	٦٠	٢٠	٣٠	٧٠	–	–
	المستوى التعليمي						
	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	دبلوم	جامعي		ماجستير
النسبة المئوية	١٠	٥	١٥	٣٥	٣٠		٥
	متوسط الدخل						
	منخفض	متوسط	عالي	لا يعمل			
النسبة المئوية	٣٥	٤٠	١٥	١٠			
	الانتماء القبلي						
	Baganda	Ankoli	Lugbara	Acholi	Tooro		
النسبة المئوية	٥٥	١٠	٥	٢٠	١٠		

جدول رقم (2) الخصائص الديموجرافية لعينة المقابلة

أولاً- المعتقدات الثقافية

تعد المعتقدات بمثابة السلطة الآمرة قوية التأثير في حياة الأفراد في شتى جوانب الحياة وخاصة فيما يتعلق بالصحة والمرض, فالمعتقدات تؤثر بوضوح في تمثلات الأفراد للصحة والمرض كما تؤثر في تشخيصهم للمرض وتفسيرهم لأسبابه وفي اختيار طرق العلاج المناسبة, فهناك بعض المعتقدات تعزو حدوث المرض للعين الشريرة, وأخرى تعزوه إلى تأثير الجن, وغيرها إلى السحر.[7]

ومازالت هناك الكثير من المجتمعات البسيطة في إفريقيا تسودها كثير من المعتقدات التقليدية التي ترتبط بالدين والسحر, وما ينتج عن ذلك من أنماط سلوكية تظهر في شكل طقوس وعادات وذلك للسيطرة على الظواهر الكونية والأحداث, وللسيطرة أيضًا على المرض, لدرجة أن هذه الطقوس والممارسات أصبحت تمثل جزءًا من النظم الثقافية الخاصة بهذه المجتمعات وأصبحت تمثل جزءًا هامًا من الطريقة التي يتبعها المجتمع في التعامل مع الأخطار والأمراض التي تواجهها[8]

7) مختار رحاب، مرجع سابق, ص 441.

8) نجلاء عاطف خليل، مرجع سابق, ص 202.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لذلك يتضح لنا أن مفهوم المرض وتصوره يختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى نتيجة خضوعه لمجموعة من الاعتبارات منها المعتقدات الشعبية, المخلوقات المختلفة وعلاقتها بالكون وبني البشر, القوى الطبيعية وفوق الطبيعية كالجن والرياح , ورؤية الإنسان للحياة والموت والصحة والمرض, فالمعتقدات السائدة في الوسط الاجتماعي الذي يعيش به الإنسان تؤثر تأثيرًا واضحًا على تقييم الناس لأعراض المرض وتفسير أسبابه وتحديد الجهات التي يتم اللجوء إليها طلبًا للعلاج[9].

ولكل مجتمع من المجتمعات مجموعة من المعتقدات المتعلقة بالرعاية الصحية البعض منها له تأثير إيجابي والبعض الأخر سلبي, وغالبًا ما ترتبط هذه المعتقدات بالثقافة السائدة في المجتمع, وبالبيئة وبمستوى التعليم, وهذا يدل على أن المعتقدات الخاصة ببعض الأفراد والجماعات تلعب دورًا هامًا في الصحة والمرض فهي قد تعمل هذه المعتقدات على الوقاية من بعض الأمراض والتمتع بالصحة الجيدة من ناحية, بينما البعض الآخر قد يسبب الإصابة ببعض الأمراض وارتفاع معدلها[10].علاوة على ذلك قد تساهم هذه المعتقدات في التقليل من شأن المرض والتهاون بأعراضه مما يؤدي إلى تأخر اكتشاف ذلك المرض وبالتالي صعوبة علاجه, كما قد تعمل تلك المعتقدات الخاصة بأفراد ثقافة ما على عدم استفادتهم من خدمات الرعاية الصحية الرسمية المتوفرة في المجتمع[11] نتيجة لعدم اقتناعهم بجدوى وفاعلية هذه الوسائل أو لأسباب أخرى, وخير مثال على ذلك انتشار مرض البلهارسيا في ولاية إنوجو بنيجيريا, حيث تعتقد المرأة في هذه الولاية أن البلهارسيا البولية تنتقل من خلال الممارسة الجنسية لذلك تخشى المرأة أن يعلم زوجها بإصابتها بالبلهارسيا فيقوم بطردها من المنزل ولذلك نجدها لا تسعى للحصول على الرعاية الصحية لتماثل الشفاء حتى لا ينكشف أمرها[12]. وهناك بعض المعتقدات التي تحول دون استفادة الأفراد من خدمات الرعاية الصحية مثل الاعتقاد القائم على فكرة حرمة الجسد والذي بمقتضاه لا يسمح لأى شخص الاطلاع على جسد الأخر لكون ذلك من المحرمات[13], وهذا الاعتقاد يجعلهم لا يقبلون على تلقي خدمات الرعاية الصحية في حالة المرض حتى لا يطلع على جسدهم أحد من الأطباء أو الطبيبات وذلك قد

9) على محمد مكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية: دراسات نظرية وبحوث ميدانية, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية,1994, ص 46.

10) أمال حلمي سليمان، جغرافية الأمراض والرعاية الصحية في إفريقيا, ط1, معهد البحوث والدراسات الإفريقية, القاهرة, 2013, ص45.

11) إبراهيم عبد الهادي محمد المليجي، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية, المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية, 2012, ص 20.

12) أمال حلمي سليمان، مرجع سابق, ص53.

13) على محمد مكاوي، مرجع سابق, ص 34.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يساعد بدوره على تفاقم المرض وارتفاع نسبة المرضى. لذلك ينبغي على العاملين في مجال الرعاية الصحية مراعاة تلك المعتقدات حتى يتمكنوا من الاستفادة من النافع منها ودحر الضار بقدر الإمكان[14].

ومن المعتقدات الأخرى التي تترك أثارًا صحية سلبية على الحالة الصحية لمعتنقيها الاعتقاد بأن العين الشريرة تصيب كل ما هو جميل وجذاب وهو ما يدفع هؤلاء الأفراد إلى القيام بتعليق أشياء منفرة ومقززة على ملابس الأطفال تجنبًا لإصابتهم بتلك العين الشريرة[15], كما يقوم البعض الأخر بتلطيخ ملابس الأطفال بالطين والقاذورات لحجب العين الشريرة عنه. وبالتالي فإن ارتداء الطفل لهذه الملابس القذرة تجعله عرضه للإصابة بالأمراض[16].

ومن ناحية أخرى قد تترك المعتقدات الخاصة بشعب ما أو ثقافة ما أثرًا إيجابيًا على أفراد تلك الثقافة فشعب الأنانج Anang في شرق نيجيريا كان يفتقر للخدمات الصحية الرسمية وعندما توفرت تلك الخدمات زاد الإقبال عليها وأنعكس ذلك على صحتهم والسبب الكامن وراء ذلك الإقبال الشديد على تلك الخدمات هو اعتقادهم بأن الأطباء والعاملين في المستشفى لديهم قوة سحرية مستمدة من قوة الله وأن أدويتهم ومهاراتهم منحها الله لهم[17].

وفيما يتعلق بأوغندا, فهناك بعض المعتقدات السائدة ذات الصلة الوثيقة بالحالة الصحية والمرضية, ومن هذه المعتقدات الاعتقاد بأن حالات العقم وعدم القدرة على الإنجاب ناتجة عن سحر أصاب الإنسان أو لعنة من الأجداد حلت بهم, ولذلك يلجؤون إلى العرافين والمعالجين الشعبيين, بينما هناك من يلجأ إلى الوسائل الطبية الحديثة ولكن في حالة فشل هذه الوسائل في إيجاد علاج فعال لحالتهم يلجؤون في نهاية المطاف إلى العرافين والمعالجين الشعبيين[18]. ونتيجة لإيمان الكثير من النساء بقدرة المعالجين الشعبيين على شفاء بعض الأمراض تلجأ النساء العاقرات في منطقة واكيسو Wakiso بأوغندا إليهم ليصفون لهن نوعية من الأعشاب تمكنهم من الحمل, في حين يتجه البعض الأخر منهن إلى الأضرحة لالتماس وطلب الحمل[19].

14) Malathi, G., Sharada, & Geroge, A., Socio- Cultural Perspectives on Health and Illness, Journal of Health Science, Nitte University, 2(3): 61: 67, 2012, P 61 .

15) على محمد مكاوي، مرجع سابق, ص 23.

16) سلوى عثمان الصديقي، مرجع سابق, ص 148.

17) على محمد مكاوي، مرجع سابق, ص 49.

18) Otiso, K., Culture and Customs of Uganda, Greenwood Press,USA, 2006, P83.

19) Adong, H., Knowledge, Perceptions and Practices in Pregnancy and Childbirth in Uganda: An Exploratory Study of Nangabo Sub-County, Wakiso District, Uganda, (Doctoral dissertation), Makerere University, Kampala, 2011, P 36.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وقد تبين لنا من واقع الدراسة الميدانية أن الاعتقاد بأن العقم يحدث بفعل الحسد والعين الشريرة قد ساهم في تدهور الحالة الصحية للمرأة وجعلها عرضة للإصابة بالعديد من الأمراض الجنسية, فهناك علاقة وطيدة بين الوضع الاجتماعي للمرأة العاقر في المجتمع الأوغندي وبين حالتها الصحية, حيث أن المرأة العاقر في ذلك المجتمع لا تحظى بنفس المكانة الاجتماعية التي تحظى بها المرأة القادرة على الإنجاب, وبالتالي نجدها تحتل مكانة أقل شأنًا من تلك التي تحتلها المرأة القادرة على الإنجاب, ففي حالة ما يتبين للرجل عدم مقدرة زوجته على الإنجاب يتجه مباشرة إلى الزواج بأخرى مع الاحتفاظ بتلك الزوجة التي لا تنجب في غالبية الأحيان ونادرًا ما يقوم بتطليقها وذلك لرغبته في الإنجاب أو يتجه لممارسة الجنس مع نساء أخريات لتنجب له الأبناء, وفي بعض الحالات تقوم المرأة العاقر بتزويج زوجها من أبنة أخيها لتنجب له الأبناء من ناحية ولتكون لها الصلاحية في السيطرة عليها ولتضمن ولائها لها من ناحية أخرى. على أية حال فإن توجه الزوج لأي خيار من تلك الخيارات المتاحة يترك أثاره السلبية على الحالة النفسية للمرأة, ومما يزيد من صعوبة الأمر الاعتقاد السائد لدى بعض القبائل مثل الباجندا بأن وقوع نظر المرأة العاقر على مولود جديد لامرأة ما أو حملها له بين يديها سيترتب عليه وفاة المولود وإصابة الأم بالعقم ولذلك تتجنب الكثير من النساء التي أنجبت مؤخرًا التعامل المباشر مع النساء العاقرات وحجب مولودهن عنهن خشية حدوث ذلك, إضافة إلى أنه لا يسمح للمرأة العاقر المشاركة في المناسبات الاجتماعية وبالتالي تصبح المرأة العاقر شبه منعزلة جزئيًا عن المجتمع.

ولقد ترتب على انخفاض مكانة المرأة العاقر في المجتمع ورغبتها المُلحة في الإنجاب إلى اتجاه البعض منهن إلى السحرة والدجالين لالتماس الحلول التي تمكنهم من الإنجاب وغالبًا ما يحاول البعض من هؤلاء الدجالين والسحرة إقناع المرأة بأنها لم تصبح قادرة على الإنجاب إلا بعد أن يمارس الجنس معها, وفي هذه الحالة تضطر المرأة للقيام بذلك حتى تحقق رغبتها في الإنجاب, وبالتالي تصبح المرأة في هذه الحالة عرضه للإصابة بالعديد من الأمراض المنقولة جنسيًا وعلى رأسهما الإيدز وذلك لسببين الأول أن معظم الدجالين والسحرة الذين ترددت عليهم المرأة قد يكونوا نجحوا بالفعل في إقناع الكثير من النساء اللاتي سبقوا تلك المرأة لالتماس مساعدته ومارسوا الجنس معهن, وبالتالي فإن هناك احتمالية كبيرة لأن يكون هؤلاء السحرة والدجالين حاملين للمرض نتيجة تعدد علاقاتهم الجنسية مع العديد من النساء, والسبب الأخر هو أنه من المتوقع أن هذه الطرق التي يتبعونها غير مجدية ولكن المرأة تعيش على أمل الإنجاب وعندما يتبين لها عدم صدق هذا الدجال من المحتمل أن تتجه لأخر وتضطر لممارسة الجنس معه هو الأخر, وبالتالي فهي الأخرى تدخل في العديد من العلاقات الجنسية بدافع رغبتها في إيجاد الحل المناسب حتى تتمكن من الحمل والإنجاب وهذا ما يزيد فرصة انتقال المرض إليها.

وبتأمل مكانة المرأة في المجتمع الأوغندي نجد أن أهم محدداتها هو قدرتها على الإنجاب في المقام الأول وإنجاب الذكور بصفة خاصة في المقام الثاني, وذلك نابعًا من تفضيل المجتمع الأوغندي لكثرة

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الإنجاب الذي بدوره يكون مدفوعًا بعدة عوامل منها عوامل اجتماعية وسياسية, فالعوامل الاجتماعية تتمثل في الرغبة في تكوين العزوة وامتداد العائلة واستمرار بقاء أسمها في الوجود, وقد أتضح لنا ذلك من واقع الدراسة الميدانية حيث تبين لنا أن غالبية أفراد العينة لديهم ما لا يقل عن 7 أبناء, وفي ضوء ما أدلى بعض أفراد عينة الدراسة تبين لنا أن غالبية النساء تظل تحمل وتلد حتى تنجب الذكور على الرغم من أن الكثير من أفراد عينة الدراسة (76%) على دراية ووعي بأن كثرة الإنجاب تؤثر على الحالة الصحية للمرأة, وقد كان من ضمن أفراد عينة الدراسة رجلاً لديه ثمان إناث وذكر واحد وكان الأخير أصغرهم, وبالتالي فإن المرأة الأوغندية تستهلك جزءًا لا يستهان به من صحتها في عمليات الحمل والولادة وينعكس ذلك على حالتها الصحية بالسلب. أما فيما يتعلق بالعوامل السياسية الكامنة وراء تفضيل المجتمع الأوغندي لكثرة الإنجاب فهي تتمثل في رغبة كلاً من المسلمين والمسيحيين في زيادة عددهم في المجتمع حتى يفوق الآخر حتى يتمكنوا من الانفراد بالسلطة والحكم, بمعنى أدق أنه كلما زاد عدد المسلمين مقابل عدد المسيحيين كلما زادت نسب التصويت في الانتخابات وما يترتب على ذلك من الفوز بحكم البلاد والعكس صحيح, وهذا الدافع السياسي يعد من أحد العوامل المسئولة عن زيادة عدد السكان والنمو السكاني الذي شهدته أوغندا في الآونة الأخيرة, إضافة إلى تأثيره السلبي على حالة المرأة التي تعد الضحية الأولى والخاسر الأكبر لتحقيق ذلك المطلب.

ومن ناحية أخرى, يسود اعتقاد بين الكثير من الأوغنديين بأن قيام الرجل باستخدام الواقي الذكري أثناء ممارسة العلاقة الجنسية يؤكد إصابته بمرض الإيدز, وكذلك الحال بالنسبة للمرأة التي تطلب من الرجل استخدامه حيث يترتب على طلبها هذا إثارة الشكوك بداخله حول إصابتها بالمرض وما يترتب على ذلك من النفور منها وتجنب الاتصال الجنسي بها, لذلك لا يفضل الكثير من الأوغنديين استخدامه أو الشروع في طلب استخدامه تلافيًا للشكوك التي ستثار حولهم بشأن طلبهم هذا, وتلافيًا لحالة الاستنفار والنبذ من جهة الآخرين, وهذا المعتقد ترتب عليه ارتفاع معدلات الإصابة بالإيدز والعديد من الأمراض الجنسية, وخاصة بين أوساط المراهقين الذين ينغمسون في الممارسات الجنسية قبل الزواج.

ومن المعتقدات السائدة أيضًا في بعض أجزاء أوغندا أن تعامل أفراد المجتمع مع المرأة المصابة بالإيدز - والتي غالبًا ما ينظرون إليها على أنها زانية – سوف يترتب عليه قتل أبنائهم وبناتهم لذلك يتجنبون التعامل مع المصابات بالإيدز خشية حدوث ذلك, ومن الجانب الأخر نجد أن المصابات بالإيدز لا يقبلن على الإفصاح بأمر إصابتهن بالمرض ويملن إلى إبقاء ذلك سرًا خوفًا من وصمة العار والعنف الموجه لهن من قبل أفراد المجتمع والأسرة ولذلك لا يقبلن على طلب الرعاية الصحية من المرافق الرسمية في الدولة مما ينعكس بالسلب على حالتهن الصحية.

وفيما يتعلق بالمعتقدات الغذائية نلاحظ أن خلال فترة الحمل تتجنب النساء الأوغنديات تناول البيض اعتقادًا منهن بأن تناوله يجعل الطفل مفتقدًا للشعر عند ولادته مما يسبب لها حرج بين أسرتها,

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

كما تتجنب النساء تناول الأسماك خلال فترة الحمل حتى لا يولد الطفل مشوهًا كأن يولد برأس كبير الحجم.

كما يعتقد الكثير من الأوغنديين بأن عدم دفن المشيمة بعد الولادة يسبب العقم لدى المرأة ويؤثر على خصوبتها, لذلك تحرص الكثير من النساء الأوغنديات على إتمام عملية الولادة على أيدي القابلات التقليديات اللاتي يكن على دراية جيدة بمعتقداتهم الثقافية ويقمن بدفن المشيمة بمجرد الولادة توخيًا وتجنبًا لتأثيرها الضار من وجهة نظرهم[20]. وهذا الاعتقاد يجعل حياة المرأة محفوفة بالمخاطر فهو يدفعها للعزوف عن التماس الرعاية الصحية من المرافق الصحية الرسمية في الدولة وتفضيل الولادة المنزلية بمساعدة القابلات التقليديات والتي غالبًا ما تتم في ظروف غير صحية إضافة إلى افتقار غالبية القابلات للتقنيات الحديثة المتبعة لحل مشكلة تعسر الولادة والتي تتمثل في العمليات القيصرية.

ثانيًا- الممارسات الثقافية التقليدية

هناك بعض الممارسات الثقافية التي تتبعها بعض القبائل والمجتمعات الإفريقية تساهم بدورها في انتقال وانتشار بعض الأمراض, ومن هذه الممارسات الثقافية عادة ختان الإناث أو ما يعرف بالختان الفرعوني التي تمارسها العديد من المجتمعات والتي تتم بشكل جماعي, وعادة التشليخ واختلاط الدماء عن طريق إحداث جرح في الأيدي لخلق نوع من الأخوة بين أفراد الجماعة "أخوة الدم", فمعظم هذه الممارسات الثقافية غالبًا ما تتم باستخدام أداة حادة معينة مع جميع الأفراد في نفس الوقت وهذا ما يساعد على نقل الكثير من الأمراض مثل مرض الإيدز[21]. وهناك شكل أخر من أشكال طقوس الأخوة منتشر في الكثير من جهات القارة الإفريقية وخاصة في الجهة الشرقية عند الباجندا في أوغندا, ويتمثل هذا الشكل من الممارسات الثقافية في عمل قطوع صغيرة في جسم الشابين المراد إقامة علاقة الأخوة فيما بينهم حتى يسيل الدم, ويتم إعطاء كل منهما دم الآخر ليشربه, ويعلن كل منهما الوعد بالوفاء لأخيه ويتعهد كل منهما بتقديم المساعدة للآخر بكل الوسائل الممكنة وأن يرعى كل منهما أطفال الآخر, وبالتالي فإن هذا

20) Nudelman, A., Gender-Related Barriers to Services for Preventing New HIV Infections among Children and Keeping Their Mothers Alive and Healthy in High Burden Countries: Results from a Qualitative Rapid Assessment in the Democratic Republic of Congo, Ethiopia, India, Nigeria and Uganda, UNAIDS, Geneva, 2013, P15.

21) Hrdy, D. BCultural Practices Contributing to the Transmission of Human Immunodeficiency Virus in Africa. Review of Infectious Diseases, 9(6), 1109-1119, 1987, P114.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الطقس يكون الغرض منه خلق علاقة حميمة دون النظر إلى الأمراض التي يمكن أن تنتقل من خلال ذلك الفعل[22].

إضافة إلى ما سبق هناك ممارسة ثقافية أخرى تساهم بدورها في نقل الكثير من الأمراض وهي عملية ختان الذكور التي يتم إجرائها في كثير من المجتمعات الإفريقية لأسباب ثقافية, حيث تعتبر هذه العملية من شعائر التكريس وأحد طقوس الانتقال إلى مرحلة الرجولة, ويقوم بإنجاز هذه العملية أحد الأفراد غير المدربين طبيًا ويستخدم أداة حادة واحدة مع جميع الأفراد الذين يخضعون لشعائر التكريس, وهذا قد يساعد بدوره على انتقال المرض من أحداهما للآخرين[23].

على الرغم من ذلك أشارت بعض الدراسات إلى أن عملية ختان الذكور لها تأثير واق من انتقال فيروس الإيدز بالنسبة للأفراد الذين خضعوا لإجرائها, حيث يعمل الختان على وقايتهم من انتقال الفيروس من الإناث إليهم أثناء عملية الاتصال الجنسي[24], كما أشار جراهام Graham أن سرطان عنق الرحم يقل انتشاره بين نساء المسلمين والعرب الذين يعتادون القيام بعملية ختان الذكور, بينما ترتفع الإصابة به لدى المجتمعات ذات المستوى الاجتماعي والصحي المتدني والتي لا تقوم بعادة ختان الذكور, وأشار موضحًا إلى أن السبب الكامن وراء الإصابة بسرطان عنق الرحم هو أن الذكور غير المختونين يتركون مادة في عنق الرحم تسمى سميجما Smegma وهذه المادة تعد من المولدات السرطانية المسببة للمرض[25].

أما فيما يتعلق بالممارسات الثقافية السائدة في أوغندا, رصدت الدراسة بعض هذه الممارسات التي تركت العديد من الآثار الصحية والنفسية والاجتماعية على القائمين بها والخاضعين لها, وقد سعت الدراسة في هذا الصدد إلى التعرف على العوامل المسئولة عن انتشارها والآثار المترتبة عليها, ومدى وعي وإدراك أفراد المجتمع لهذه الآثار والمخاطر المترتبة عليها, ومن هذه الممارسات:

22) محمد عبد الغني سعودي، التنمية والثقافة في إفريقيا, ندوة قضايا التنمية والبيئة في إفريقيا, معهد البحوث والدراسات الإفريقية, جامعة القاهرة, 2000, ص 11، 12.

23) Wilcken, A., Keil, T., & Dick, B., Traditional male circumcision in eastern and southern Africa: a systematic review of prevalence and complications. Bulletin of the World Health Organization, 88(12), 2012, P 912.

24) ipid, p 907.

25) على محمد مكاوي، مرجع سابق, ص20.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

(1) تعاطي الكحوليات

يعد تعاطي الكحوليات من الممارسات المتأصلة والمتجذرة في الثقافة الأوغندية, فهو عنصر أساسي في المناسبات والاحتفالات العامة كطقوس العبور, احتفالات الزواج, الولادة, وطقوس ختان الذكور وغيرها من المناسبات, وقد صنفت منظمة الصحة العالمية أوغندا بكونها المستهلك الرئيسي للكحول على مستوى العالم, حيث بلغ متوسط استهلاك الفرد من الكحول حوالي 19,5 لتر سنويًا[26], فهي تحتل المركز الأول على مستوى العالم في استهلاك الكحول من أصل 185 دولة[27].

وقد أشارت الكثير من الدراسات التي أجريت في هذا الشأن بأن الذكور من الأوغنديين يستهلكون كميات كبيرة من الكحول مقارنة بالإناث, ولكن مع تقدم العمر يقل استهلاك الكحول بين الذكور ويزداد استهلاكه بين الإناث, إضافة إلى أن استهلاك الكحوليات يزداد بين الأشخاص الذين يدينون بالمسيحية ويقل بين المسلمين[28]. كما أكدت دراسة Kafuko (2008) على أن عادات الشرب تختلف باختلاف الجنسين فالرجال تستهلك المشروبات الكحولية بكميات كبيرة ويسمح لهم بالشرب في أي مكان مع جماعة الأقران ولكن لا يسمح لهم بتناولها مع كبار السن، في حين لا يمكن للمرأة أن تتناول المشروبات الكحولية خارج المنزل، أو قبل الانتهاء من عملها. كما ينظر للأطفال والشباب الذين يتناولون الكحول على أنهم وصلوا بالفعل إلى مرحلة الرجولة، بينما أرتبط تناول المشروبات الكحولية بين الفتيات بعدم الاحترام وعدم صلاحيتها للزواج.

وقد أتضح لنا ذلك أيضًا خلال الدراسة الميدانية حيث أكدت الغالبية العظمى من عينة الدراسة (98,7%) على انتشار تناول الكحوليات بين أوساط الرجال والنساء كما برز لنا أيضًا أن تناول الكحوليات لم يعد قاصرًا على المسيحيين فحسب, بل يتناوله أيضًا المسلمين من أفراد المجتمع وخاصة فئة الشباب, بل أصبح الأطفال أيضًا في الفترة الراهنة يتناولون الكحوليات, ولكن الاختلاف بين الرجال والنساء يكمن في المناطق التي يسمح لكل منهما بالشرب فيها, فالرجال يسمح لهم بتناول الكحوليات في المنزل, الشوارع, الحانات, الجامعات, بينما النساء يقتصر تناولهن للكحوليات على المنزل وقلما تناولنه في الشوارع والجامعات, وإن كان ينتشر تناوله في الحانات بين العاملات في مجال الجنس, ولربما يعزو عدم تناول النساء للكحوليات في الشوارع والأماكن الأخرى بخلاف المنزل إلى نظرة أفراد المجتمع للمرأة أو الفتاة التي تتناول الكحوليات على أنها غير محترمة ولا تصلح للزواج وبالتالي فإن عدم إقبالهن على تناوله في تلك المناطق يعد بمثابة تفاديهن لرد فعل المجتمع تجاههن.

26) Schaffer, J., Alcohol use and abuse of youths in Kampala (Doctoral dissertation, uniwien),2012, p1.

27) Ntale, C., Drinking into Deeper Poverty: The New Frontier for Chronic Poverty in Uganda, chronic poverty research center, Policy Brief No.1, 2007, P1.

28) Schaffer, Op cit, pp45:46.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وفيما يتعلق بالعمر الذي يبدأ فيه كل من الشباب والفتيات بتناول الكحوليات تبين لنا أن غالبية الشباب يتناولون الكحوليات بعد اجتيازهم سن العاشرة من العمر, ولكن الفتيات يتناولن الكحوليات بعد اجتيازهم سن الخامسة عشر من العمر, في حين أشار البعض من أفراد العينة بأن هناك اتجاه بين أوساط الأطفال ممن هم أقل من عشر سنوات في الأوقات الحالية لتناول الكحوليات وأن ذلك نابعًا من تأثير جماعة الأقران.

(أ) أسباب تعاطي الكحوليات

وبالنظر للأسباب التي جعلت تناول الكحول أمرًا مقبولاً من الناحية الثقافية في المجتمع نجدها متعددة ومتنوعة, فالكثير من القبائل والجماعات الأوغندية لديها ثقافة تخمير الكحول التقليدي في المنازل كمصدر للدخل, حيث ارتبطت صناعة الكحول في أوغندا بالثراء, إضافة إلى ذلك هناك العديد من القبائل التي يمثل تناول الكحول بالنسبة لها جزء لا يتجزأ من مراسم الاحتفالات, فعند الباجندا لا يسمح للشاب المتقدم للزواج أن يصطحب الفتاة التي يرغب في الزواج منها من منزل والدها إلا بعد أن يقدم لأسرتها قدر من الخمور التي تم تخميرها في المنزل[29]. كما أن الكثير من الأوغنديات وخاصة في شمال أوغندا يقمن بإمداد الأطفال بالمشروبات الكحولية اعتقادًا منهن بقدرتها على الشفاء من بعض الأمراض كالسعال, نزلات البرد, وديدان البطن[30].

كما يلعب الفقر دوره في زيادة معدلات استهلاك الكحول في المجتمع, فالكثير من الأطفال تتجه للعمل في مجال بيع الكحوليات وهذا ما دفع بالكثير منهم إلى تناول المشروبات الكحولية في سن مبكر, كما أن جماعة الأقران هي الأخرى لعبت دورها الفعال في ارتفاع معدات الاستهلاك, حيث أن بعض الجماعات لا تسمح للعضو الجديد الانضمام إليها إلا بعد أن يقوم بتناول كميات كبيرة من المشروبات الكحولية كوسيلة لإثبات قوته وبعدها يحصل على عضوية الجماعة[31].

وقد أكدت دراسة نامارا Naamara (2014) أن هناك بعض الأسباب التي دفعت بالكثير من الشباب لتناول الخمور منها فقدان أحد الوالدين في سن مبكر وما ترتب عليه من غياب الرقابة الأسرية, تخمير الأسرة للكحول في المنزل, وتناول الوالدين للكحول. كما أشارت دراسة UYDEL (2008) التي أجريت على عينة من شباب المناطق العشوائية في كامبالا إلى أن الكثير من الشباب يقبل على تناول الكحول نتيجة تدهور أحوال المعيشة وعدم توافر الدخل, تدعيم الشعور بالشجاعة والثقة بالنفس والقدرة على

29) Naamara, W., & Muhwezi, W. W., Factors associated with alcohol dependence among adult male clients in Butabika Hospital, Uganda. Journal of social work practice in the addictions, 14(3), 2014, p324.

30) UYDEL, State of Alcohol Abuse in Uganda: Young people drinking deeper into poverty, Kampala: Uganda Youth Development Link, 2008, p3 .

31) Schaffer, Op cit, pp 60.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

السيطرة للقيام بأفعال معينة مثل الدخول في علاقة جنسية مع أحدى الفتيات, الرغبة في الحد من التوتر والاكتئاب والشعور بالملل.

ومن العوامل الأخرى التي دعمت انتشار تناول المشروبات الكحولية في أوغندا وارتفاع معدلات استهلاكها؛ الافتقار لوجود سياسة وطنية واضحة تجاه تناول المشروبات الكحولية وضعف القوانين وعدم تنفيذها, إضافة إلى عدم فرض الدولة الضرائب على صناعة الكحوليات, وهذا وفر أرضًا خصبة لانتشار الكحوليات وجعل أمر الوصول إليها سهل المنال ومكن الكثير من الشباب من تناولها في أي مكان[32]. فقد أكدت دراسة سشافير Schaffer (2012) على أن تناول المشروبات الكحولية منتشر بشكل واضح في شوارع كامبالا ومدارسها وجامعاتها وخاصة في المناطق العشوائية الفقيرة الموجودة على أطرافها, كما أكدت على أن الكثير من الأطفال وصلوا لمرحلة إدمان الكحوليات وخاصة الأيتام وأطفال الشوارع, وأن ذلك الانتشار الواسع للمشروبات الكحولية يعزو إلى انخفاض أسعارها وسهولة الحصول عليها وإمكانية تناولها في أي مكان لعدم وجود رقابة على تناولها . كما أكدت دراسة UYDEL (2008) على أن تعاطي الخمور ينتشر بوضوح بين طلاب جامعة كامبالا وبين المحاضرين بتلك الجامعة, فالمشروبات الكحولية يتم بيعها داخل الجامعات في أكياس معبأة, كما تنتشر أيضًا بين طلاب المدارس الابتدائية والثانوية حيث يتم تسريب المشروبات الكحولية وبيعها خلسة داخل المدارس.

وباستطلاع أراء عينة الدراسة بشأن تناولهم للكحوليات من عدمه وطبيعة الأسباب التي دفعتهم لتناول الكحوليات أتضح لنا أن (38,7%) يتناولن الكحوليات بصفة مستمرة وكانت هذه النسبة لعينة من المسلمين والمسيحيين معًا, ويظهر (جدول رقم 3) المبررات والدوافع التي ذكرها أفراد عينة البحث والتي تتسبب في الاتجاه نحو تناول الكحوليات:

أسباب تناول الكحوليات	النسبة المئوية
ضغط الأقران	%٤٢,٧
الهروب من مشكلات وضغوط الحياة	%٣٤,٧
الرغبة في الحد من التوتر والاكتئاب	%٣٤,٧
تناول الوالدين للكحول	%٢١,٣
الرغبة في تعزيز الثقة بالنفس	%٢١,٣
البطالة	%٢٠
تصنيع الأسرة للكحول بالمنزل والقيام ببيعه	%١٨,٧
العمل في مجال بيع أو صناعة الكحوليات	%١٦
كونها ممارسة ثقافية يقوم بها غالبية أفراد المجتمع	%١٤,٧
تأكيد الوصول لمرحلة النضج والتحرر	%١٠,٧
الرغبة في زيادة الطاقة الجنسية	%٩,٣
علاج بعض الأمراض كالسعال ونزلات البرد، وديدان البطن	%٤

جدول رقم (3) أسباب تناول الكحوليات

32) Naamara, Op cit, p325.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تظهر النتائج أن أهم الدوافع الكامنة وراء تناول الكثير من أفراد العينة للكحوليات تتمثل في ضغط الأقران والرغبة في التخلص من مشكلات وضغوط الحياة اليومية والحد من التوتر والاكتئاب, وكانت غالبية استجابات فئة الشباب بشأن أسباب تناولهم للكحوليات تنحصر بين رغبتهم في تعزيز الثقة بالنفس وزيادة القدرة الجنسية عند الدخول في علاقة جنسية مع فتاة والبعض منهم تناوله نتيجة اعتقاده بأن تناول الكحوليات يعد بمثابة الوصول لمرحلة الرجولة والنضج, في حين كان تصنيع الأسرة للكحوليات والقيام ببيعها من العوامل التي دفعت بالبعض منهم لتناول الكحوليات وخاصة أنهم نشأوا ووجدوا والديهم يتناولونه وبالتالي أصبح أمر تناول الكحوليات بالنسبة لهم أمرًا عاديًا ومقبولاً ما دام الوالدين يتناولونه. وقد أكد البعض أن من أهم أسباب انتشار تناول الكحوليات بكثرة في المجتمع هو البطالة وتوافر وقت الفراغ لدى العديد من الشباب إلى جانب أن هذه المنتجات الكحولية رخيصة الثمن ويسهل الحصول عليها ولا يعاقب عليها القانون ما دام يتم تناولها في المنازل وليس في الأماكن العامة فلا توجد قوانين مفعلة بشأن تناول الكحوليات في المجتمع, هذا إلى جانب أن غالبية أفراد المجتمع من المسيحيين والكحوليات بالنسبة لهم غير محرمة وتعد بمثابة شعيرة دينية مباحة بالنسبة لهم وهذا بدوره ساعد على الانتشار الواسع لتناول الكحوليات.

(ب) الآثار الناجمة عن تعاطي الكحوليات

وفيما يتعلق بالعواقب المترتبة على إساءة استخدام المشروبات الكحولية فقد أشارت دراسة Kafuko (2008) التي أجريت على عينة من الشباب والفتيات الأوغنديات إلى أن هناك العديد من العواقب سواء الصحية أو الاجتماعية المترتبة على استخدام المشروبات الكحولية, فالعواقب الاجتماعية تتمثل في العنف الأسري, توتر العلاقات الأسرية, الانفصال والطلاق, الضغوط المالية, انتقال عادة تناول المشروبات الكحولية للأطفال كمحاكاة للوالدين أو إحداهم, أما العواقب والمشكلات الصحية فهي تتمثل في فقدان الذاكرة, تليف الكبد, السرطان, فقدان الوزن, الأمراض العقلية, الانغماس في السلوكيات الجنسية المحفوفة بالمخاطر كممارسة الجنس دون وقاية وما يترتب عليه من الإصابة بالأمراض المنقولة جنسيًا. كما أشارت الدراسة إلى أن الإفراط في تناول الكحوليات يترتب عليه الإصابة بأمراض الكلى والقلب والكبد, قرحة المعدة, فقدان القدرة الجنسية, وتغير لون البشرة, وتساقط الشعر[33].كما أكدت وزارة الصحة في أوغندا على أن تناول الكحوليات يعد من الأسباب الرئيسية للإصابة بالأمراض العقلية[34].

33) Kafuko, A., & Bukuluki, P., Qualitative research in Uganda on Knowledge, attitudes and practices concerning alcohol. Health Communication Partnership (HCP), Afford Project, Young Empowered and Healthy (YEAH), 2008, pp 14:19.

34) Naamara, Op cit, p323.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وباستطلاع آراء عينة الدراسة لمعرفة مدى وعيهم بالآثار المترتبة على تناول الكحوليات اتضح لنا أن غالبيتهم (92%) يدركون جيدًا مدى الآثار السلبية الناجمة عن الإفراط في تناول الكحوليات ومدى ارتباط ذلك بالإصابة ببعض الأمراض مثل أمراض الكبد, والسرطان, الأمراض المنقولة جنسيًا وعلى رأسها الإيدز مبررين الإصابة بتلك الأمراض المنقولة جنسيًا على أنها نتاج لانغماس الفرد في الممارسات الجنسية المحفوفة بالمخاطر بعد تناوله الكحوليات دون اتخاذ تدابير الوقاية وذلك لأنه في هذه الحالة يكون غير مدركًا للموقف وغير قادر على التفكير وتصرفاته تتسم باللاعقلانية, إضافة إلى ذلك أشارت عينة الدراسة إلى أن الإفراط في تناول الكحوليات يترتب عليه الإصابة بالأمراض العقلية والنفسية, وبالتالي يتضح لنا أن الكثير منهم على دراية جيدة بكافة الآثار المترتبة على تناول الكحوليات ولكن على الرغم من ذلك مازال الكثير منهم مستمرًا في تناوله للكحوليات ولم يتوقف عن تناولها وبسؤالهم عن السبب في الاستمرار في تناولها اتضح لنا وفق ما أدلوا به أن السبب الكامن وراء استمرارهم في ذلك هو ضغط الأقران وتوافر وقت الفراغ الناجم عن البطالة في ظل الرغبة في الخروج من حالة التوتر والاكتئاب التي يمر بها البعض منهم, كما أن الغالبية العظمى أكدت على أن تناول الكحوليات يؤثر على المرأة الحامل كما يؤثر على الجنين ويعمل على إضعافه ويمكن أن يحدث بعض التشوهات في تكوينه لذلك يحذرون على المرأة الحامل تناوله أثناء فترة الحمل.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الآثار الاجتماعية الأخرى المترتبة على تناول الكحوليات والتي جاءت في مقدمتها توتر العلاقات الأسرية والانغماس في العلاقات الجنسية المحفوفة بالمخاطر كممارسة الجنس دون اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة, هذا بالإضافة إلى بعض الآثار الأخرى الموضحة بالجدول (4) كما يلي:

الآثار المترتبة على تناول الكحوليات	النسبة المئوية
انتشار العنف المنزلي	%٦٢,٧
توتر العلاقات الأسرية	%٤٢,٧
الانغماس في العلاقات الجنسية المحفوفة بالمخاطر	%٤٢,٧
فقدان الأصدقاء	%٣٣,٣
عدم الانتظام في العمل	%٣٠,٧
التعرض للوصم والنبذ من الأسرة والمجتمع	%٢٦,٧
الاكتئاب والاتجاه للعزلة عن أفراد الأسرة والمجتمع	%١٧,٣

جدول رقم (4) الآثار المترتبة على تناول الكحوليات

كما أشار البعض بأن الإسراف في تناول الكحوليات يترتب عليه الفقر نتيجة لاستهلاك جزء لا يستهان به من الدخل في شراء تلك المنتجات إضافة إلى أن متناولي الكحوليات غالبًا لا ينتظمون في عملهم

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ويعانون من عدم القدرة على التركيز وهذا يسبب لهم الكثير من المشكلات في مجال العمل وربما يصل الأمر في نهاية المطاف إلى تخلي جهة العمل عنهم, كما أشار البعض الأخر إلى أن تناول الكحوليات يترتب عليه فقدان احترام المجتمع لهم وفقدان الأخرين للثقة بهم إلى جانب التعرض للكثير من الحوادث أثناء القيادة.

خاتمة

لقد تبين لنا في ضوء العرض السابق كيف أثرت المعتقدات السائدة في أوغندا على الحالة الصحية وخاصة بالنسبة للمرأة, فقد باتت المرأة الأكثر تعرضًا للآثار الناجمة عن تلك المعتقدات السائدة, وخاصة تلك المعتقدات المتعلقة بحدوث العقم نتيجة السحر والعين الشريرة وعدم دفن المشيمة بعد الولادة, والتي دفعت الكثير من النساء إلى اللجوء إلى العرافين والسحرة وتفضيلها للولادة المنزلية المحفوفة بالمخاطر بمساعدة القابلات التقليديات غير المدربات جيدًا لضمان إتمام عملية دفن المشيمة حتى لا تصاب بالعقم وتتمكن من الأنجاب مجددًا. وكذلك المعتقد المتعلق بتعامل الأفراد مع المرأة المصابة بالإيدز وما يترتب عليه من وفاة أبناء هؤلاء الأفراد, فقد ترتب عليه تجنب العديد من النساء بالإفصاح عن إصابتهن بالإيدز وعد سعيهن لطلب خدمات الرعاية الصحية, وما ترتب على ذلك من تدهور حالتهن الصحية في نهاية المطاف.

أما فيما يتعلق بالممارسات الثقافية, فقد تبين لنا أن تعاطي الكحوليات يعد عنصرًا أساسيًا في المناسبات والاحتفالات ولا يمكن الاستغناء عنه, كما أن تناوله لا يقتصر على الذكور فحسب, كما لا يقتصر تناوله على المسيحيين دون المسلمين, فتناول الكحوليات يعد بمثابة ثقافة متوارثة انتقلت عبر الأجيال حتى أصبح الأطفال أنفسهم يتناولونه في الآونة الأخيرة إما كنتيجة لتناول الوالدين له أو كنتيجة لعملهم في مجال بيع الخمور الذي يدر عليهم الربح.

ومن ناحية أخرى, تبين لنا مدى تأثير تعاطي الكحوليات على الجوانب الاجتماعية والنفسية والتي تمثلت في انتشار العنف المنزلي (62,7%) وتوتر العلاقات الأسرية (42,7%) وغيرها من الآثار. وعلى الرغم من إدراك الكثير من أفراد المجتمع للآثار السلبية الناجمة عن تناول الكحوليات, إلا أن الكثير منهم يستمرون في تناوله كوسيلة للهروب من المشكلات والحد من التوتر والاكتئاب (34,7%), أو كنتيجة لضغط الأقران (42,7%) كما أتضح لنا سابقًا. في حين ربط البعض الآخر بين تناول الكحوليات والوصول لمرحلة الرجولة والنضج, واعتبروا تناوله علامة مميزة للتأكيد على الوصول لتلك المرحلة.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

قائمة المراجع

أولاً: الكتب والمراجع العربية

- إبراهيم عبد الهادي محمد المليجي، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية, المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية, 2012.
- أمال حلمي سليمان، جغرافية الأمراض والرعاية الصحية في إفريقيا, ط1, معهد البحوث والدراسات الإفريقية, القاهرة, 2013.
- سلوى عثمان الصديقي، مدخل في الصحة العامة والرعاية الصحية, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, 2005.
- سهير الدمنهوري، المشكلات الاجتماعية والبيئية في إفريقيا وأثرها على صحة الطفل: دراسة لمنطقة حلوان, أعمال مؤتمر الصحة والمرض في إفريقيا في إطار الاحتفالية المئوية بجامعة القاهرة وتكريم أ.د سعاد (تحرير: سلوى درويش), معهد البحوث والدراسات الإفريقية, جامعة القاهرة, 2007.
- على محمد مكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية: دراسات نظرية وبحوث ميدانية, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية,1994.
- محب محمد شعبان، دراسة الأمراض المعدية: الاتجاهات المنهجية في أبحاث الأنثروبولوجيا الطبية, في: بحوث المؤتمر الدولي الثالث لكلية العلوم الإنسانية, العلوم الاجتماعية والدراسات البينية من منظور تكاملي, ج1, (تحرير: محمد الخزامي عزيز), كلية العلوم الاجتماعية, جامعة الكويت, 2007.
- محمد عبد الغني سعودي، التنمية والثقافة في إفريقيا, ندوة قضايا التنمية والبيئة في إفريقيا, معهد البحوث والدراسات الإفريقية, جامعة القاهرة, 2000.
- مختار رحاب، الصحة والمرض بين التصور التقليدي وممارسات الطب الحديث, في: الدكتورة حكمت أبوزيد من القرية إلى الوزارة: دراسات في علم الاجتماع عن العالم العربي, (تحرير: علي المكاوي), مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية- كلية الآداب- جامعة القاهرة, 2008.
- مصطفى عوض، الأنثروبولوجيا الطبية, في الأنثروبولوجيا في المجالات النظرية والتطبيقية. (تحرير: محمد عباس إبراهيم), دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية.
- نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي: ثقافة الصحة والمرض, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, 2006.

ثانيًا: الكتب والمراجع الاجنبية

- Malathi, G., Sharada, & Geroge, A., Socio- Cultural Perspectives on Health and Illness, Journal of Health Science, Nitte University, 2(3): 61: 67, 2012.
- Otiso, K., Culture and Customs of Uganda, Greenwood Press,USA, 2006.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- Adong, H., Knowledge, Perceptions and Practices in Pregnancy and Childbirth in Uganda: An Exploratory Study of Nangabo Sub-County, Wakiso District, Uganda, (Doctoral dissertation), Makerere University, Kampala, 2011.
- Nudelman, A., Gender-Related Barriers to Services for Preventing New HIV Infections among Children and Keeping Their Mothers Alive and Healthy in High Burden Countries: Results from a Qualitative Rapid Assessment in the Democratic Republic of Congo, Ethiopia, India, Nigeria and Uganda, UNAIDS, Geneva, 2013.
- Hrdy, D. BCultural Practices Contributing to the Transmission of Human Immunodeficiency Virus in Africa. Review of Infectious Diseases, 9(6), 1109-1119, 1987.
- Wilcken, A., Keil, T., & Dick, B., Traditional male circumcision in eastern and southern Africa: a systematic review of prevalence and complications. Bulletin of the World Health Organization, 88(12), 2012.
- Schaffer, J., Alcohol use and abuse of youths in Kampala (Doctoral dissertation, uniwien),2012.
- Ntale, C., Drinking into Deeper Poverty: The New Frontier for Chronic Poverty in Uganda, chronic poverty research center, Policy Brief No.1, 2007.
- Naamara, W., & Muhwezi, W. W., Factors associated with alcohol dependence among adult male clients in Butabika Hospital, Uganda. Journal of social work practice in the addictions, 14(3), 2014.
- UYDEL, State of Alcohol Abuse in Uganda: Young people drinking deeper into poverty, Kampala: Uganda Youth Development Link, 2008.
- Kafuko, A., & Bukuluki, P., Qualitative research in Uganda on Knowledge, attitudes and practices concerning alcohol. Health Communication Partnership (HCP), Afford Project, Young Empowered and Healthy (YEAH), 2008, pp 14:19.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

زراعة الأرز في موريتانيا: المعوقات والحلول

عبد الله سيدي محمد أبنو
أستاذ الجغرافيا البشرية، المملكة العربية السعودية

تاريخ الإرسال: 2019/03/26	تاريخ القبول: 2019/05/15	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

شهد قطاع الزراعة في موريتانيا اهتماما متزايدا من طرف الدولة إيمانا منها بأنه السبيل الأمثل لتحقيق تنمية شاملة ومستدامة، و ذلك نظرا لما تزخر به من موارد متنوعة تعتبر نقط قوة إذا ما استغلت بطريقة عقلانية، لكننا نجد أن هناك جملة من العراقيل والمعوقات التي تقف حجرة عثرة أمام تحقيق الهدف المنشود .

ويكتسي موضوع النشاط الزراعي ودوره في التنمية المحلية المستدامة مكانة بالغة الأهمية على مستوى الخطاب السياسي لدى الفاعلين المحليين وكذا على المستوى الأكاديمي لدى الباحثين والدارسين.

وتعاني الزراعة في موريتانيا بصفة عامة وزراعة الأرز بصفة خاصة جملة من المشاكل منها ما هو طبيعي "كالجفاف وآثاره السلبية على القطاع الفلاحي" ومنها ما هو غير طبيعي كالتمويل والمشاكل الاجتماعية، التي كانت لها انعكاسات مختلفة على المنطقة كالهجرة وارتفاع البطالة وتدني الدخل وضعف المردودية.... وتأتي المشاكل الطبيعية في مقدمة معوقات زراعة الأرز بالإضافة إلى مشاكل النزاعات العقارية المرتبط بعقلية المجتمع، وقد حالت هذه المشاكل دون تطوير القطاع الزراعي ورفع إنتاجيته.

وانطلاقا من ذلك جاءت مشكلة البحث التي تَعْتبر موريتانيا مجالا ترابيا شديد الخصوصية، تعاني فيه الزراعة بشطريها التقليدي والحديث جملة من المعوقات الاقتصادية والاجتماعية ، كما يشكل أرضا خصبة لتحقيق تنمية محلية مستدامة، نظرا لما يزخر به من موارد اقتصادية واجتماعية ومؤهلات طبيعية تحتاج إلى تدبير وإعادة هيكلة وحكامة جيدة .

وتنطلق الدراسة من فرضية عامة مفادها أن تحقيق تنمية محلية مستدامة رهين بحل المشاكل التي يعاني منها القطاع الزراعي بصفة عامة وزراعة الأرز بصفة خاصة وتدبير جيد لكل الموارد الاقتصادية.
ويهدف البحث إلى إبراز خصائص القطاع الزراعي الحديث في موريتانيا (الأرز) ودوره في التنمية المستدامة في موريتانيا، من خلال رصد أهم المؤهلات والمعيقات و طرح بعض الاقتراحات والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الزراعة– زراعة الأرز – التنمية المحلية– التنمية المستدامة

Abstract:

The Mauritanian agriculture sector has witnessed increasing interest from the State in the belief that it is the best way to achieve comprehensive and sustainable development. This is because of its abundant resources, which are considered to be strengths if exercised rationally. However, there are a number of obstacles and obstacles that stand in the way To achieve the desired goal.

The theme of agricultural activity and its role in sustainable local development is of great importance at the level of political discourse among local actors as well as at the academic level

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019

among researchers and scholars.

Agriculture in Mauritania in general and rice cultivation in particular suffer from a number of problems, including natural ones, such as drought and its negative effects on the agricultural sector, including what is not natural, such as funding and social problems. These have had different repercussions on the region such as migration, high unemployment and low income. .. The natural problems are at the forefront of the obstacles to rice cultivation in addition to the problems of real estate disputes associated with the mentality of the community, and these problems prevented the development of the agricultural sector and raise productivity.

The problem of research is that Mauritania is a very private land area in which agriculture suffers from a number of economic and social obstacles. It is fertile ground for sustainable local development because of the abundant economic and social resources and natural resources that need to be managed and restructured. And good governance.

The study is based on the general assumption that achieving sustainable local development depends on solving the problems of the agricultural sector in general, rice cultivation in particular and good management of all economic resources.

The research aims at highlighting the characteristics of the modern agricultural sector in Mauritania and its role in sustainable development in Mauritania by monitoring the most important qualifications and obstacles and making some suggestions and recommandations.

Keywords: Agriculture - Rice Farming - Local Développent - Sustainable Development

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة

شهد قطاع الزراعة في موريتانيا اهتماما متزايدا من طرف الدولة إيمانا منها بأنه السبيل الأمثل لتحقيق تنمية شاملة ومستدامة، و ذلك نظرا لما تزخر به من موارد متنوعة تعتبر نقط قوة إذا ما استغلت بطريقة عقلانية، لكننا نجد أن هناك جملة من العراقيل والمعوقات التي تقف حجرة عثرة أمام تحقيق الهدف المنشود .

وتعاني الزراعة في موريتانيا بصفة عامة وزراعة الأرز بصفة خاصة جملة من المشاكل منها ما هو طبيعي كالجفاف وآثاره السلبية على القطاع الفلاحي؛ ومنها ما هو غير طبيعي كالتمويل والمشاكل الاجتماعية، التي كانت لها انعكاسات مختلفة على المنطقة كالهجرة وارتفاع البطالة وتدني الدخل وضعف المردودية.... وتأتي المشاكل الطبيعية في مقدمة معوقات زراعة الأرز بالإضافة إلى مشاكل النزاعات العقارية المرتبط بعقلية المجتمع، وقد حالت هذه المشاكل دون تطوير القطاع الزراعي ورفع إنتاجيته.

وانطلاقا من ذلك جاءت مشكلة البحث التي تعتبر موريتانيا مجالا ترابيا شديد الخصوصية، تعاني فيه الزراعة بشطريها التقليدي والحديث جملة من المعوقات الاقتصادية والاجتماعية ، كما يشكل أرضا خصبة لتحقيق تنمية محلية مستدامة، نظرا لما يزخر به من موارد اقتصادية واجتماعية ومؤهلات طبيعية تحتاج إلى تدبير وإعادة هيكلة وحكامة جيدة .

وتنطلق الدراسة من فرضية عامة مفادها أن تحقيق تنمية محلية مستدامة رهين بحل المشاكل التي يعاني منها القطاع الزراعي بصفة عامة وزراعة الأرز بصفة خاصة وتدبير جيد لكل الموارد الاقتصادية.

ويهدف البحث إلى إبراز خصائص القطاع الزراعي الحديث في موريتانيا (الأرز) ودوره في التنمية المستدامة في موريتانيا، من خلال رصد أهم المؤهلات والمعيقات و طرح بعض الاقتراحات والتوصيات.

وسنتعرض أولا: لأهم المشاكل التي تعاني منها زراعة الأرز محاولين بذلك تشخيصها، كما سنتعرض ثانيا: للحلول المقترحة من طرف الفلاحين لها من أجل التوصل إلى آفاق التنمية المستديمة.

أولا- مشاكل زراعة الأرز في موريتانيا:

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أ-المشاكل الطبيعية: تنحصر المشاكل الطبيعية التي تعاني منها زراعة الأرز في تغيرات المناخ، وما ينجم عنها من تعاقب موجات الجفاف وانخفاض نسبة الأمطار وتذبذبها، وزحف الرمال على المساحات الزراعية الشيء الذي يؤدي إلى تقلص الأراضي الزراعية، وانخفاض مستوى منسوب النهر، مما أدى إلى تسرب المياه المالحة من المحيط نحو الأراضي الزراعية،([1]) ومن أهم هذه المشاكل :

1- تعاقب موجات الجفاف :

إن موجة الجفاف التي بدأت بوادرها منذ سنة 1969 أثرت بشكل فعلي على الأراضي الزراعية في منطقة النهر السنغالي[2] حيث أدت إلى اختفاء أكثر من 80 % من الغابات الموجودة على النهر، وشهدت الأراضي الزراعية تدهورا نتيجة لتعرية التربة بفعل انتشار التصحر والعواصف الرملية التي جعلت الرمال تتحرك بمعدل 6 كلم/ سنويا، وقضى على 55% من الأراضي الصالحة للزراعة في منطقة النهر من أصل 80% على المستوى الوطني،[3] كما أثر الجفاف على انخفاض مستوى المياه خاصة بنهر السنغال والمجاري المائية القريبة منه[4] الشيء الذي أثر بشكل فعلي على زراعة الأرز نظرا لما تحتاجه من كمية مياه دائمة طوال فترة نموها[5]، مما أدى إلى انخفاض الإنتاج الزراعي لجميع المحاصيل الزراعية خاصة زراعة الأرز[6]؛ وهكذا نتج عن الجفاف في المنطقة:

- تراجع منطقة الفيضانات لصالح المنطقة التي لا تصلها الفيضانات، حيث يلاحظ محليا تحول مناطق كانت في السابق ذات مظهر فيضي إلى مناطق رملية غير صالحة للزراعة.[7]
- تراجع المساحة التي تشغلها مياه الفيضانات نتيجة ارتفاع مستوى الأراضي الرملية الذي يرجع إلى توغل التربة الصحراوية.
- تقدم الكثبان والتلال الرملية إلى المناطق الزراعية.

ويمكن إرجاع هذا الوضع للمنطقة إلى عوامل طبيعية (الجفاف) وبشرية تمثلت أساسا في قطع العديد من الأشجار في المنطقة للحصول على الطاقة المنزلية (الفحم الخشبي) بالإضافة إلى استخدام مواد الغابات في البناء المنزلي.

---

1 - MDRE, Problématique Rizicole en Mauritanie, Avril 1993, P : 18.

2 -l'étude de la faisabilité du projet de développement du système d'irrigation agricole dans le haut fleuve Sénégal (rapport interimoire) Tome2, Décembre 96. (JICA) agence japonaise de coopération internationale (Annexe B : Agriculture); p: 41

- وزارة التنمية الريفية والبيئة: إدارة الإحصاء الزراعي، تقرير عن آثار الجفاف في موريتانيا، نواكشوط 1984 ص: 19 - 321

4 - Ministère du Développement Rural Et D'environnement (MDRE) Direction génie rural, fiche général d'archivage de barrage en RIM 1989.

5 Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme) :_"Fascicule1 " quelques principes d'aménagement des rizières Direction de la Recherche Formation Vulgarisation Juin 2001, p :9

6- RIM .Lettre politique de développement de l'agriculture irrigue horizon 2010.Mai 1999.

7 - MDRE, Rapport de service statistique Agricole1990, P : 37-40.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

2- مشكلة الرياح:

تعاني منطقة زراعة الأرز في ولاية اترارزه عموما من تأثير الرياح الشمالية الشرقية التي تؤدي نتيجة سخونتها إلى إجهاض وإتلاف بعض النباتات وعدم اكتمال نموها[1]، خاصة زراعة الأرز نتيجة عدم وجود كاسرات (مصدات) للرياح تحمي المزارع من تأثيرها.

وإلى جانب الرياح الشمالية الشرقية تهب على المنطقة الرياح الغربية الباردة القادمة من المحيط الأطلسي في فصل الشتاء "الفصل البارد"، حيث تعيق زراعة الأرز في الدورة الثانية "الشتوية"، وتعمل على تعريض التربة لعمليات التعرية بمختلف أنواعها وتحريك وزحف الرمال إلى الأراضي الزراعية.

وقد بدأ بعض الفلاحين وعيا منهم بخطورة هذه الرياح بإنشاء كاسرات حول المزارع كما هو الحال في مزارع مدينة روصو.

3- ملوحة التربة:

تعاني التربة في منطقة النهر السنغالي بولاية الترارزة من الملوحة، خاصة في أجزائها الغربية المتمثلة في ترسبات آفطوط الساحلي الذي يمثل 57% من تربة الدلتا[2]، يضاف إلى ذلك دور الرياح الغربية التي تحمل بخار المياه المالحة من المحيط على شكل ندى إلى تربة المنطقة مما يزيد من ملوحتها، وكذلك تقدم مياه المحيط الأطلسي في اتجاه مياه الخزانات[3].

كل هذه العوامل جعلت تربة المنطقة غير صالحة للزراعة في معظم أجزائها، وخاصة بعض المحاصيل كالدخن والذرة، إلا أن زراعة الأرز والخضروات تقام بعد القيام بعملية غسل التربة ذات التكاليف الباهظة، وإلى جانب الملوحة هناك مشكل إجهاض التربة، فبالرغم من أنها تربة بكر حديثة الاستغلال، إلا أنها أصبحت تعاني . في بعض مناطقها . من نقص المكونات العضوية والمعدنية نظرا للاستغلال المجحف لها[4]، ويزيد من هذه المسألة قلة استعمال المزارعين للمواد الكيمياوية المخصبة لها.

4- مشكلة المياه:

1 - club du sahel, Problématique des politiques rizicoles en pays sahéliens V4, la Mauritanie, Avril 1990, p : 55
2 - Ministère du Développement Rural Et D'environnement, Problématique rizicole en Mauritanie Avril 1993, p : 61
3 Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme)" Fascicule 9" le contrôle de la salinité dans les rizières Juin 2001 ; p : 21
4 - l'étude de la faisabilité du projet de développement du système d'irrigation agricole dans le haut fleuve Sénégal (rapport interimoire) Tome2, Décembre 96. (JICA) agence japonaise de coopération internationale, Annexe D : Environnement, p : 33

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

منذ بداية جفاف السبعينيات وبلدان الساحل الإفريقي وموريتانيا بصفة خاصة تتناقص بها كميات الأمطار بشكل كبير[1]، وتعاني منطقة الدلتا بولاية اترارزه من هذه المشكلة، رغم أنها تقع على الضفة اليمنى لنهر السنغال فإن مشكلة المياه ما زالت عائقا أمام الإنتاج الفلاحي في المنطقة، ونظرا لأن زراعة الأرز لا تستطيع الاستغناء عن الري فقد تركزت على المناطق القريبة من ضفة النهر خصوصا في المنطقة الفيضية (شمامة) وقرب المجاري الفرعية للنهر.

و من الملاحظ أن عدم انتظام الفيضان وانخفاض منسوب المياه الذي يبلغ أدنى حد له في فصل الجفاف يعيق وجود دورتين زراعيتين وأحيانا بالنسبة لدورة واحدة.

5- الآفات الزراعية:

تعاني زراعة الأرز عبر مختلف مراحل نموها من الآفات المختلفة التي في مقدمتها الأمراض العضوية كالحشائش الضارة والطيور والجراد والفئران بالإضافة إلى الخسائر الفادحة التي تحدثها الحيوانات المحلية:

5-1- الأشجار، والحشائش والأمراض:

تنافس الأشجار والحشائش الضارة المزارع من استعمال الماء والمواد العضوية وبالتالي تقلل من الإنتاج الزراعي وجودته وتعيق جريان الماء في مجاريه.

ومن أخطر الحشائش وأشدها انتشارا بشكل كبير نبتة تيفا (TYPHA) المعروفة محليا ب "يورو" والتي تنتشر على طول المجاري المائية بالمنطقة بمحاذاة النهر وفروعه ومع قنوات الري، ومن المرجح أنها من مخلفات السدود[2]، حيث أنها لم تظهر في المنطقة إلا بعد 1989، أي بعد الانتهاء من تشييد سدي مناتالي وجاما ، وتتمثل خطورتها في أنها:[3]

. تنتشر بالقرب من المساحات الزراعية بشكل كثيف وفي كل المناطق حتى في الترب المالحة وخاصة على المجاري المائية، ويشكل نزعها مشكلة ذلك أنها ترسل جذورها بشكل عرضي في التربة على مسافات طويلة.

[1] - club du sahel, Problématique des politiques rizicoles en pays sahéliens V4, la Mauritanie, Avril 1990, p : 19-20

[2] - مقابلة مع المهندس سيد محمد ولد سيدات، رئيس قسم الإرشاد الفلاحي، الشركة الوطنية للتنمية الريفية(صونادير) سابقاً بروصو، 2018

[3] - Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme) :"Fascicule 7" Le désherbage des rizières Juin 2001, p : 3

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

. تقوم بإعاقة نمو أي نبات بجوارها وذلك بتنافسها في عضوية التربة و الماء والهواء وترسل مواد سامة عليه تعمل على موته.

- تقوم بسد قنوات الري للمزارع، وذلك أنها تنبت عليها على شكل صفوف متشابكة فتمنع مرور المياه إلى بقية المزرعة، وتسعى لجعل التربة غير صالحة للزراعة، بامتصاص مكوناتها المعدنية.

أما الأمراض فتختلف باختلاف المحاصيل الزراعية، وذلك بحسب الأجزاء المصابة وهي كما يلي :[1]

. أمراض التضخم الجذعي: تصل الجذع وبالتالي فكل ما هو مسبب لدى العروق يؤثر على الأوراق وعند الإصابة يجب على المزارع أن يجري التدقيق في الجذع والجذور هل يوجد بها تعفن أم لا.

- **أمراض** SISTEMIQUE: هي أمراض تؤديها فيروسات وبكتيريا تنتقل من طرف النباتات إلى الطرف الآخر وفي عروقه ومن أعراضها الاصفرار في الأوراق وتقلص تكونها.

- أمراض تضخم الأوراق: تشيع هذه الأمراض في الكثير من النباتات وأعراضها ظهور بقع مستديرة الشكل على الأوراق.

2-5- الديدان والفئران والسناجب والحشرات والطيور والجراد:

تلحق هذه الحيوانات أضرارا كبيرة بالنباتات، وتختلف من حيث ضررها وفترة تأثيرها وكذلك مناطق تأثيرها:[2]

الديدان: تؤثر الديدان على الأرز بعد عملية الإنبات وحين تشكل الأوراق وتأثيرها على المزرعة في منطقة اديبري والوالو على حد السواء، حيث تقوم الدودة بخلق ثقوب في وسط الورقة أو في الساق وتقوم بمضغها مما يؤدي إلى ضعف النباتات، ولم يكن للمزارع في القضاء على الديدان إلا نزعها باليد نظرا لمحدودية التقنية والآلات لمكافحتها والتي غالبا ما تتولاه الشركة الوطنية للتنمية الريفية.

الفئران والسناجب: تكثر الفئران في منطقة الوالو مع وجود أنواع منها في اديبري وهي من بين أخطر الحيوانات المؤثرة على النباتات إذ كثيرا ما يكون عملها بالليل، وهي تؤثر على الحقل قبل الإنبات وبعده.

[1] - مقابلة مع المهندس سي بوكار، مهندس زراعي في المندوبية الجهوية للتنمية الريفية بروصو، 2018

[2] - Ministère du développement rural Et D'environnement, Problématique rizicole en Mauritanie Avril 1993, p ; 69

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- الحشرات والطيور: تعاني الزراعة في منطقة النهر من تأثير الحشرات والطيور الذي يخلق خسارة كبيرة في الإنتاج بالمنطقة تتراوح ما بين 15إلى 25 % من الإنتاج السنوي للحبوب[1].

ومن أهم الحشرات:

أ- **الجراد** الذي يصادف فترة نضج المزارع في شهر أكتوبر بالذات، وتتركز طبيعة الضرر الذي يلحقه الجراد بالنبات في الآتي.[2]

* التدمير الكامل للنبات في مراحله الأولى.

* تكسير السيقان وأجزاء النباتات المختلفة ميكانيكيا بسبب تجمع الجراد في مجموعات فوق النبات للراحة.

* إتلاف أجزاء النبات بالفم القارض عند التغذية وسقوط الأوراق وأجزاء النبات الأخرى نتيجة لذلك.

* إتلاف الحبوب وتوسيخها (تلويثها بالمخلفات مما يقلل القيمة الاقتصادية لها)

وهناك نوعين من الجراد : الجراد الزاحف. الطائر.

ب- **الطيور**: التي تعتبر من أكبر أعداء المزارعين في المنطقة خاصة منها آكلة الحبوب Le Mange – Mil التي توجد في المنطقة بأعداد كبيرة و يأتي دورها بعد الإثمار، فتلحق بالمزارع خسارة كبيرة نظرا لاستهلاكها يوميا 4 غ وتخرب في الوقت نفسه 7 غ[3]، ذلك أنها تهاجم المزرعة بالليل وبأسراب أو مجموعات كبيرة، لا يجد المزارع في كفاحها سوى بعض الوسائل التقليدية.

ب- المشاكل غير الطبيعية:

إن المشاكل التي تواجه القطاع الزراعي وزراعة الأرز بصفة خاصة كثيرة ومتداخلة، فبالإضافة إلى المعوقات الطبيعية هناك جملة من المعوقات التي تعيق تقدم وتطور هذا القطاع تتمثل في: معوقات تمويلية، اقتصادية، واجتماعية، وتسويقية.

1- Ministère du développement rural Et D'environnement, 6éme Atelier de formation, Vulgarisation Relève des conclusions et recommandations du 23 juin 1994.ROSSO, Trarza.

2 - مقابلة مع المهندس سي بوكار، مهندس زراعي في المندوبية الجهوية للتنمية الريفية بروصو، 2018

3 - مقابلة مع المهندس سي بوكار، مهندس زراعي في المندوبية الجهوية للتنمية الريفية بروصو، 2018

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أولا : التمويلية:

تعد مشكلة التمويل مشكلة أساسية في مجال زراعة الأرز، تلك الزراعة التي تتطلب مبالغ مالية كبيرة، انطلاقا من تهيئة الأرض وانتهاء بعمليات الحصاد.

وهذا ما يجعل مسؤولية تمويل القطاع الزراعي على عاتق الدولة وقطاعها العام، لكننا نجد أن الدولة الموريتانية أهملت هذ القطاع سواء في نسبة الاستثمارات المخصصة له ضمن استثمارات المخططات التنموية التي تبنتها أومن خلال ضآلة المؤسسات التمويلية التي أنشأتها، مع عدم وجود بنوك متخصصة لإقراض المزارعين، رغم المحاولات المتكررة التي قامت بها الدولة الموريتانية منذ الاستقلال 1960 وذلك بإنشاء البنك الوطني للتنمية والتجارة لتمويل المشاريع الاقتصادية، لكن نصيب القطاع الزراعي من هذا التمويل يكاد يكون معدوما؛ ثم الشركة الوطنية للتنمية الريفية (sonader) سنة 1975 التي تولت تقديم بعض القروض للمزارعين الذين يخضعون لتأطيرها فقط خاصة القروض العينية (لوازم ومعدات العملية الزراعية) لتمويل الحملات الزراعية على الرغم من أن دورها تأطيري تكويني فقط، ونتيجة لهذا النقص في التمويل، حاولت الدولة الحد منه عن طريق إنشاء الصندوق الوطني للقرض الزراعي سنة 1985[1] لتمويل المشروعات المتعلقة بالزراعة، لكن الصندوق لم يستطع القيام بدوره في إقراض التعاونيات نظرا لمجموعة من المشاكل أهمها:

-عدم وجود ضمانات للقرض خاصة في حالة الكوارث والطوارئ[2].

ثانيا : المعوقات الاقتصادية والتنظيمية

لا زالت زراعة الأرز بصفة خاصة والقطاع الزراعي بصفة عامة في موريتانيا تعاني من عدة معوقات يرجع معظمها إلى بعض الإجراءات في السياسة الاقتصادية التي اتبعتها الدولة في القطاع الفلاحي وبعضها يرجع إلى النقص الشديد في التنظيم.

فبالنسبة للإجراءات المتعلقة بالسياسة الاقتصادية فتشمل تلك الإجراءات المتعلقة بتسعير المنتجات الزراعية والضرائب والرسوم الجمركية المفروضة على المدخلات الزراعية[3]، وفيما يتعلق

1 - المنظمة العربية للتنمية الزراعية: مشروع إنتاج الألبان بروصو (اترارزة)، في الجمهورية الإسلامية الموريتانية، الخرطوم 1985 ص:57

2 - commissariat aux droits de l'homme à la lutte contre la pauvreté et à l'insertion (CDHLCPI) rapport 2004 au wilaya de Trarza

3 - د / سيدى محمود ولد سيدي محمد : المشاكل الهيكلية في موريتانيا، دمشق، 1992, ص: 69

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بالسياسة السعرية انتهجت موريتانيا سياسة سعرية وضعت أساسا لصالح سكان الحضر فوفرت لهم أغذية رخيصة ومواد أولية منخفضة الأسعار[1].

ولذلك لم يحصل الفلاحون على أسعار مجزية، فأثر ذلك في دخولهم وفي حوافز الإنتاج لديهم وفي استخدامهم التقنية الحديثة في العملية الإنتاجية، وقد ترتبت عن اتباع تلك السياسة أن انخفضت عوائد الاستثمار في القطاع الزراعي بصفة عامة وقطاع الحبوب بصفة خاصة، وأصبحت الزراعة قطاعا طاردا للاستثمار والقوة العاملة، وتوقف الفلاحون عن التوسع في الإنتاج وفتح الباب أمام رجال الأعمال (التجار) إلى التركيز على استيراد الأرز الأجنبي لتعويض النقص الناتج عن تلك السياسة، كما أن السياسة الضريبية هي الأخرى لم تكن موجهة لتشجيع الاستثمار الزراعي، حيث قامت الدولة بوضع ضرائب مرتفعة على القطاع الزراعي كفرض الرسوم الجمركية على بعض المواد الزراعية كالبذور والأسمدة والمبيدات الحشرية (باستثناء التعاونيات الفلاحية) والأعلاف الحيوانية المستوردة، مع العلم أنه لا توجد في موريتانيا مصانع لهذه المواد.

وفيما يتعلق بالمشاكل التنظيمية فإنها تتمثل في النقص الشديد في التنظيم؛ فبالرغم من محاولة الدولة الموريتانية الرفع من مشاركة القطاع الفلاحي وزراعة الأرز خصوصا في النشاط الاقتصادي عن طريق جملة من الإجراءات التنظيمية كان أهمها:

إنشاء التعاونيات الزراعية (تعاونيات الأرز) والرعوية، إلا أن غياب التنسيق فيما بين الجهات المسؤولة عن هذه التعاونيات قد حال دون فعاليتها وظهور نتائج إيجابية.

كما أن هناك نوعا آخر من عدم التنظيم بين القطاع الزراعي والحيواني في المنطقة الناتج عن عدم وجود قانون ينظم العلاقة بينهما، حيث أن هناك بعض من المنمين يقومون برعي حيواناتهم في مناطق مخصصة أصلا للزراعة، والعكس، مما يتسبب في خلق مشاكل بين الطرفين.

ومن المشاكل التنظيمية أيضا عدم وجود إجراءات واضحة لتحديد المشاريع الزراعية وتقييمها بسبب افتقار الإدارة المكلفة بالمتابعة والتقييم إلى الوسائل الضرورية لتأمين متابعة كم هائل من المشاريع الزراعية، حيث أنه في بعض الأحيان يتم تضييع الأموال في استصلاح أراضي فقيرة بالرغم من وجود أراضي خصبة.

[1] - وزارة التنمية الريفية والبيئة ، تقرير الوفد الموريتاني في ندوة الاكتفاء الذاتي لدول المغرب العربي ، نواكشوط 1995 ص: 45

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ثالثا: عدم تهيئة الوسط الاجتماعي:

يعد عدم تهيئة الوسط الاجتماعي في منطقة النهر إحدى المشاكل البارزة التي تعاني منها زراعة الأرز، فأغلبية المزارعين مارسوا هذا النشاط الزراعي دون أن تكون لديهم مسبقا معرفة أو خبرة بهذا النشاط، مما انعكس سلبا على الإنتاج الزراعي، ورغم البرامج التكوينية والإرشاد الزراعي المنتهج من بعض مؤسسات التكوين والإرشاد الزراعي (صونادير) لإعداد وتكوين وتنظيم المزارعين، فإن تأثيرها ما زال محدودا[1]، وما زالت البرامج التكوينية والإرشادية تحتاج إلى الكثير من الوقت لإعداد وتأهيل المزارعين وتوعيتهم على ضرورة الحفاظ على المكتسبات الزراعية.

رابعا: المعوقات التسويقية:

تواجه زراعة الأرز على ضفة نهر السنغال بموريتانيا جملة من المشاكل والصعوبات المتعلقة بالتسويق يمكن حصرها في:

* رداءة الطرق المعبدة وانعزال المناطق الزراعية ووعورة المسالك الأخرى، خصوصا في فترة الأمطار مما يتسبب في تأخر الدورة الزراعية (البذر) نتيجة صعوبة وصول الجرارات وآلات تهيئة الأرض، وكذلك الحاصدات، هذا بالإضافة إلى ارتفاع تكلفة النقل الشيء الذي يرفع من أسعار هذه المنتوجات الزراعية ويضعف بذلك قدرتها التنافسية.

* الاضطراب المستمر الذي تعاني منه الأسواق الموريتانية في ارتفاع أسعار مستلزمات الإنتاج المستورد مما ينعكس سلبا على أسعار المنتجات الزراعية المحلية.

* منافسة الأرز الأجنبي.

* عزوف المستهلكين عن شراء واستهلاك الأرز الموريتاني نتيجة لخصائص تتعلق بالجودة والأسعار.

* انعدام المبادرات التشجيعية في هذا المجال . مما تسبب في غياب تجمعات المنتجين بسبب قلة مداخلهم المتوقعة وحد من إمكانيات الإنتاج المحلي الذي لا يحظى بحماية كافية . باستثناء مبادرة قامت بها مفوضية الأمن الغذائي ما بين 1986 . 1989 التي التزمت بموجبها شراء الإنتاج الوطني من الأرز إضافة الى بعض المحاصيل الأخرى، غير أن مفوضية الأمن الغذائي سرعان ما تخلت عن هذا الالتزام في بداية

[1] - وزارة التنمية الريفية والبيئة، تقرير الوفد الموريتاني في ندوة الاكتفاء الذاتي لدول المغرب العربي، نواكشوط، 1995، ص: 8-9

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التسعينيات باستثناء شراء إنتاج المزارع الصغيرة الخاضعة لإشراف الحكومة في إطار ما يعرف بليبرالية التسويق، فاتحة بذلك المجال أمام القطاع الخاص للمشاركة في عمليات التسويق[1]، وقد ترتب عن تلك الخطوة تراجع الإنتاج وتقلص المساحات المزروعة من طرف القطاع الخاص.

خامسا : المعوقات العقارية:

رغم تدخل الدولة وإعطائها رخص استغلال بعض الأراضي غير المستغلة أصلا، لا يزال نظام حيازة الأرض في موريتانيا يشكل عائقا أمام الزراعة المروية (زراعة الأرز)، خصوصا المشاكل العقارية المرتبطة بتوزيع الأراضي التي لم يسر عليها قانون الإصلاح العقاري سنة 1983 على المزارعين الجدد ورجال الأعمال.

فملكية الأراضي الزراعية في منطقة النهر السنغالي تسيطر عليها بعض القبائل، ولا يمكن لأي شخص خارج القبيلة أن يستفيد من هذه الأراضي إلا بتفويض من رئيس القبيلة وغالبا ما تكون الاستفادة بشروط محددة، والأخطر من ذلك أنه في أماكن من المنطقة تحولت ملكية أراضي القبيلة بشكل تدريجي إلى ملكية إقطاعية لزعيم القبيلة وأعوانه، وفي نفس الوقت لا يستغلون هذه الأراضي نتيجة العقلية المتخلفة لديهم في العمل الزراعي، زيادة إلى صغر حجم الحيازات الفلاحية وتبعثرها مما أدى إلى سيادة الزراعة المعاشية في المنطقة التي تستهدف إشباع الاستهلاك العائلي أكثر مما تستهدف الإنتاج التسويقي لتحقيق أقصى ربح، وأثر هذا التوزيع على إمكانية إدخال الوسائل التكنولوجية الحديثة لتطوير الزراعة المروية وخاصة استعمال الجرارات.

سادسا: معوقات أخرى

بالإضافة إلى المعوقات السابقة الذكر التي يعاني منها القطاع الزراعي بصفة عامة وزراعة الأرز بصفة خاصة، هناك مجموعة من المعوقات الفنية والعلمية المتمثلة في النقص الشديد في الآلات الزراعية وقدمها وقطع غيارها (الجرارات، الحاصدات، ماكينات الري)، ونقص المبيدات الحشرية والأسمدة بنوعيها العضوي والكيماوي، وكذلك محدودية البحث العلمي والتكنولوجي المتمثل في نقص الأنواع المحسنة من البذور.

أ . البحث العلمي والتقني:

[1] - تقرير الوفد الموريتاني في ندوة الاكتفاء الذاتي لدول المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص : 47 - 48

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تعتبر طاقة البحث العلمي والتكنولوجي في موريتانيا متواضعة جدا في مجال تحسين البذور واكتشاف الطرق الواقية من الأمراض ونقل التكنولوجيا المناسبة للانتفاع بالسلالات العالمية الجيدة والبذور المحسنة المرتفعة الإنتاجية، كما أن شبكة توزيع البذور المحسنة مع قلة ما يجهز منها، يعتريها القصور إذ كثيرا ما تصل إلى المزارعين في مواعد غير مناسبة وبتكلفة مرتفعة وبدون إرشاد على كيفية استخدامها[1].

وبالإضافة إلى النقص في البحوث العلمية والتكنولوجية هناك نقص كبير في الفنيين والورشات الخاصة بإصلاح المعدات الزراعية، فهذه الورشات معدومة في مناطق الإنتاج الزراعي على طول امتداد نهر السنغال، حيث توجد الزراعة المروية مما يجعل إمكانية إصلاح المعدات المتعطلة غير ممكن دون البحث عن متخصص في مجال إصلاح تلك المعدات التي قد تستدعي من المزارع حمل الآلة ونقلها إلى ورشات خاصة لإصلاحها والتي غالبا ما تكون بعيدة عن مناطق الإنتاج (روصو. نواكشوط) وما يترتب على ذلك من نتائج لا تحتمل، خاصة إذا كانت الآلة المتعطلة إحدى المضخات التي تزود الحيازة الفلاحية بالمياه، مما ينجم عنه خسارة في مجال الإنتاج[2].

كما تعاني الزراعة المروية (زراعة الأرز) من نقص كبير في التسميد ، فالأرز يوصف بأنه محصول مجهد للتربة شيئا ما[3] يتطلب كمية من السماد تتراوح بين 200 إلى 300 كلغ/هـ، هذا بالإضافة إلى أن عمليات التسميد في زراعة الأرز تتم عبر ثلاثة مراحل:[4]

الأولى تكون قبل البذر، والثانية بعد 15 يوما من عملية البذر الأولى، أما الثالثة فتبدأ بعد ثلاثة أسابيع من العملية الثانية.

ب. تدني الإرشاد الزراعي:

يعتبر الإرشاد الزراعي عاملا فعالا في تنمية القطاع الزراعي، فبواسطته يمكن نقل المعارف والخبرات ونتائج الأبحاث العلمية إلى المزارعين لكي يتمكنوا من تحسين طرقهم الإنتاجية والرفع من خبرتهم المهنية، فالإرشاد الزراعي إذن عملية تعليمية بدون مدرسة، تعمل على نقل التجارب والعلوم الزراعية إلى المزارع

1 - Hamada ould didi : la libéralisation de la filière riz en Mauritanie, NCKTT, Mai 1990, p : 66
- وزارة التنمية الريفية والبيئة، تقرير الوفد الموريتاني في ندوة الاكتفاء الذاتي لدول المغرب العربي، نواكشوط 95، ص: 46 - 247
3- Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme) : Fascicule2" Le Plant de riz donné morphologique et cycle de la plante Juin 2001, p : 19
4 - Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme) Fascicule 4" la mise en place des cultures, variétés, dates de semis, mode de semis (semis direct et pépinière -repiquage) Juin 2001, p : 3

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بصفة تتناسب ومستواه الثقافي والاجتماعي مما يعود عليه بالنفع، حيث يعمل الإرشاد على تغيير سلوك الفلاحين نحو الأفضل ليساعدهم على العمل المثمر والإنتاج الأوفر، ومع ذلك فإن الإرشاد الفلاحي بالمنطقة يعاني من نقص الإمكانات المادية والبشرية المخصصة للإرشاد الفلاحي ومحدوديتها، حيث يعاني المرشدون الزراعيون في المنطقة من قلة وسائل النقل (جلهم يستخدم الدراجات بالرغم من طول المسافة التي تفصل بين سكن المرشد والمزارع المؤطرة)، وعدد المرشدين وصعوبة تعاملهم مع الفلاحين نظرا لفوارق اللغة (أغلب القرى في منطقة النهر هي قرى زنجية تتكلم بلهجاتها المحلية -بالوولفية أو السوننكية أو البولارية-)، إضافة إلى غياب الدورات التكوينية والمعاهد والمدارس المتخصصة في التكوين والإرشاد في موريتانيا عموما(باستثناء مدرسة كيهيدي للزراعة – تكوين متوسط-).

وبناء على ما سبق تعتبر هذه المشاكل من أهم المشاكل التي تعاني منها زراعة الأرز موريتانيا وتحول دون نمو ومضاعفة إنتاجها بالشكل المطلوب، حتى يصل إلى الأهداف المرسومة له من طرف المزارعين، لكن ما هي أهم الحلول المقترحة لمواجهة هذه المشاكل؟

الحلول المقترحة لمواجهة المشاكل التي تعاني منها زراعة الأرز في موريتانيا وآفاق التنمية المستدامة:

يواجه قطاع الزراعة المروية "الأرز" في موريتانيا عموما جملة من المشاكل، حاولت السياسة الزراعية المطبقة في موريتانيا إيجاد الحلول المناسبة لها بغية تطوير الزراعة المروية والرفع من مساهمتها في الاقتصاد الوطني، وذلك من خلال الإجراءات والسياسات التي تدخلت بها الدولة في هذا القطاع.

وعلى الرغم من النتائج النسبية المحققة في السياسات المروية إلا أنها لم تستطع القضاء بشكل كلي على هذه المشاكل التي تعاني منها، ولا شك أن آفاق التنمية المستدامة في المنطقة مرتبط إلى حد بعيد بمحاولة إيجاد حلول لمواجهة مختلف هذه المشاكل (الطبيعية، المالية، التسويقية...)

1 - الحلول المقترحة لمواجهة المعوقات الطبيعية :

إن الطبيعة الصحراوية للأراضي الموريتانية المتسمة بتعاقب موجات الجفاف وعدم انتظام الأمطار وندرتها في المنطقة يفرض ضرورة المحافظة على ما هو متاح من الأراضي الزراعية والمراعي الطبيعية، والمياه السطحية من ناحية أولى، واستغلالها استغلالا عقلانيا من ناحية ثانية، كما أنه على الرغم من

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

صعوبة التحكم في الظواهر الطبيعية وآثارها إلا أنه يمكن الحد من هذه الآثار السلبية على مستوى الأراضي الزراعية المروية من خلال:

* إدخال البعد البيئي في كل السياسات الزراعية في المنطقة والمحافظة على خصائص التربة.

* تطوير أساليب الري ورفع كفاءته وترشيد استخدامات الموارد المائية.

* التقيد بالدورات الزراعية ونظام تعاقب المحاصيل حفاظا على خصوبة التربة.

* إصدار بعض القوانين والتشريعات التي تحد من الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية، خاصة القريبة والمحاذية للنهر للمحافظة عليها.

* إيجاد حلول مناسبة للحد من الحرائق، و ذلك بإنشاء الخطوط الواقية من الحرائق و إصدار قوانين في هذا الشأن.

* من أجل المحافظة على المتبقي من الأراضي الزراعية والمراعي الطبيعية إثر الجفاف- الذي قضى على 80% من الغابات الموجودة على حوض نهر السنغال- يجب توقيف الكثبان الرملية المتحركة، حتى لا تغطي الأراضي الزراعية والرعوية، وذلك بواسطة تشجير المناطق الجافة وزراعة بعض الحشائش الرعوية الملائمة للطبيعة الصحراوية بغرض إحياء الغابات من جديد.

* دراسة إمكانية تطبيق نظام الدورات الزراعية ، وبالشكل الذى يتناسب مع الظروف السائدة وإدخال نظام المحميات الرعوية التعاونية.

* منع قطع وإزالة الأشجار ومحاولة إيجاد مصدر للطاقة بديلا عن الفحم الخشبي كتشجيع استعمال الغاز الطبيعي في الأرياف.

* تطبيق قوانين حماية البيئة بكل صرامة، ومتابعة نشاط أصحاب حماية الطبيعة من أجل المحافظة على الأشجار التي تعتمد عليها الحيوانات أو التي تمنع زحف الرمال على الأراضي الزراعية.

* توعية وتشجيع المزارع والمنمي للمساهمة في الحفاظ على المراعي الطبيعية والبيئة بصفة عامة عن طريق الحد من الرعي المكثف وتحميل المراعي ما هو فوق طاقتها.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

* حفر آبار إرتوازية في المناطق الرعوية النائية، ليتمكن المربين الاستفادة من أكبر مساحة ممكنة للتخفيف على المراعي القريبة من مناطق الزراعة المروية.

إن نجاح كل هذه الإجراءات التي من شأنها أن تحافظ على الأراضي الزراعية والبيئية بصفة عامة في منطقة النهر مرهون بمحو الأمية عن الفلاحين وتوعيتهم بمدى خطورة ما يقومون به من أعمال مضرة بالوسط الطبيعي الذي يعتمدون عليه في حياتهم حتى يتسنى لهم معرفة مدى أهمية المحافظة على الوسط الذي يعيشون فيه.

2. الحلول المقترحة لمعالجة نقص البحث العلمي:

من خلال ما سبق يتبين أن إنتاج زراعة الأرز مازالت تمارس حالا في موريتانيا بأسلوب إنتاج تقليدي سواء من ناحية ارتباطه بالظروف الطبيعية (الاعتماد على الفيضانات ونظام النهر)، أومن ناحية الاستخدام المحدود للبذور المحسنة والمكننة الزراعية (بدائية وسائل الإنتاج)، مما يعني انخفاض وتدني الإنتاجية ويرجع الجزء الأكبر من هذا التخلف في الإنتاجية إلى ضآلة النسبة المخصصة للبحث العلمي في المجال الزراعي من جملة الاستثمارات المخصصة للقطاع الزراعي من طرف الدولة (أقل من 5% من مجمل الاستثمارات)، وكذلك ضعف الإمكانات المادية والبشرية للفلاحين وعدم تشجيع المستثمرين في هذا القطاع.

ومن أجل الرفع من ضعف المردودية الفلاحية لهذا القطاع بصفة عامة وزراعة الأرز بصفة خاصة يجب:

التركيز على تطوير هيئات ومراكز البحث العلمي الزراعي من أجل استخدام التقنيات الحديثة في مجال البذور المحسنة والمخصبات وتطوير أسلوب الري، كما أنه لزيادة إنتاجية الأراضي الزراعية ينبغي التحسين من نوعية التربة وإمداد هذه المراكز العلمية بالإمكانات المادية والبشرية اللازمة والكافية.

3- الحلول المقترحة لمواجهة النقص في الاستثمار:

إن الاستثمارات التي خصصتها الدولة للزراعة المروية غير كافية لوحدها لتطويرها والرفع من مساهمتها في الاقتصاد الوطني، بل لا بد من العمل على:

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

* جذب الاستثمار الخاص والأجنبي من أجل الحد من النقص الذي يعاني منه هذا القطاع خاصة أنه توجد فرص متعددة للاستثمار في الزراعة المروية في ضفة النهر لتوافر مقومات نجاح زراعة مختلفة المحاصيل والفترات، ولتشجيع القطاع الخاص لهذه العملية لا بد من بعض التشريعات التي تمنح كافة التسهيلات والمساعدات للمستثمرين في زراعة الأر.

* اتباع سياسة نقدية للإقراض تعطي الأولوية للمستثمر في هذا القطاع.

* اتباع سياسة تسعيرية ومالية لتشجيعه عن طريق حماية المنتجات المحلية من مزاحمة المنتجات المماثلة (الأرز الأجنبي) المستوردة على الأقل في المراحل الأولى من إنتاجها.

* إقامة بنية تحتية في المناطق الزراعية لتشجيع إمكانية دخول وسائل الإنتاج إليها.

4-الحلول المقترحة لمواجهة نقص القروض الزراعية:

إن جميع المؤسسات المالية الموريتانية التي تولت منح القروض الزراعية، لم تقدم حتى الآن الدعم الكافي الذي أنشئت من أجله، وهو توفير التمويل اللازم للقطاع الزراعي بصفة عامة والزراعة المروية بصفة خاصة والنهوض بها، ويرجع ذلك بالأساس إلى ضآلة القروض التي تمنحها من جهة ونسبة ارتفاع الفائدة عليها، خاصة بعد تصفية اتحاد بنوك التنمية سنة 1992 وتوقفه الذي فقد معه القطاع الزراعي مصدرا مهما للتمويل خاصة فيما يتعلق بالقروض طويلة الأجل، وبالتالي فإن آفاق نجاح العملية الزراعية، مرتبط بتحسين أداء المؤسسات التمويلية للقطاع الزراعي.

5- الحلول المقترحة لمواجهة المعوقات التسويقية:

من أجل الوصول إلى حلول المشاكل التي تواجه زراعة الأرز بصفة خاصة في مجال تسويق المنتجات الزراعية ونظرا إلى أن العملية التسويقية في موريتانيا بصفة عامة ما زالت تتم بواسطة وسائل تقليدية نتيجة ضعف الشبكة الطرقية.أو انعدامها تماما.وضيق المسالك، لهذا فإنه من أجل الرفع من عمليات تسويق الإنتاج في المنطقة يجب:

.إقامة بنية تحتية طرقية لكي يتمكن المزارعون من نقل منتجاتهم من مواقع الإنتاج إلى الأسواق.

- ✓ فك العزلة عن المناطق التي تتعرض لها في الفترات المطرة.
- ✓ توفير مراكز لتخزين المنتوجات الزراعية.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- ✓ الحد من منافسة المنتجات الأجنبية (الأرز الأجنبي) للأسواق المحلية، الذي أدى إلى عزوف المنتجين عن تسويق إنتاجهم نتيجة لمعايير النوعية والجودة.
- ✓ وضع تسعيرة موحدة لأسعار الأرز، مما يشجع الفلاحين على تسويق إنتاجهم إلى الأسواق الجهوية التي أدت ليبرالية السوق والأسعار إلى تحكم رجال الأعمال والتجار في أثمان المنتجات الزراعية بدون مراعاة تكاليف الإنتاج والنقل والتسويق.

6. الحلول المقترحة لمواجهة معوقات أخرى:

بالإضافة إلى المقترحات السابقة الذكر، هناك مجموعة من المعوقات التي تعيق تقدم زراعة الأرز في موريتانيا على منطقة نهر السنغال، يجب وضع حلول لها:

أ. مشكلة المياه:

ترتبط عملية تطوير الزراعة المروية بالمحافظة واستثمار جميع أنواع المياه سواء السطحية منها أو الجوفية، وهذا ما يحتم على الدولة والجماعات المحلية ضرورة توسيع نطاق السدود، وذلك بوضع خطط واستراتيجيات لتنفيذ المزيد من هذه السدود من أجل الاستفادة القصوى من مياه الأمطار من جهة وتغذية البحيرات الجوفية من جهة ثانية.

و بما أن استغلال مياه نهر السنغال في الوقت الراهن يعتبر استغلالا جزئيا جدا مقارنة بالكميات المتوفرة، "لا يوجد اتفاق دولي يحدد كميات المياه التي يجب أن تستغلها كل دولة من الدول المطلة عليه" ، فإن ذلك يبشر بآفاق مشرقة تسمح بالتوسع في الزراعة المروية في المنطقة، لكن ضعف الجماعات المحلية وعدم قدرتهم على شراء مضخات الري التي تسمح باستخدام هذه المياه في مجال الري، كان عائقا أمام توسيع الزراعة في المنطقة نظرا لعدم إمكانية اعتماد زراعة الأرز على مياه الأمطار نتيجة لما تحتاجه من المياه، هذه المشكلة تحتم على الدولة التدخل من أجل حلها من جهة والرفع من أداء الزراعة المروية من جهة ثانية.

ب. في مجال الإرشاد:

على الرغم من برامج التكوين والإرشاد الزراعي المتبعة في المنطقة من قبل بعض مؤسسات التأطير والإرشاد الزراعي (الشركة الوطنية للتنمية الريفية)، إلا أن تأثيرها ما زال محدودا وما زالت البرامج التكوينية والإرشادية تحتاج إلى الكثير من الوقت لإعداد وتهيئة المزارعين وتوعيتهم على ضرورة المحافظة على الوسط البيئي خصوصا التربة، وفي هذا الإطار يجب:

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- التوسع في برامج التكوين ومحو الأمية بقدر الإمكان في القطاع الزراعي حتى تتكامل البرامج ذات الأهداف الإنتاجية والتنموية في الوسط الريفي.
- الرفع من عدد المرشدين الزراعيين وتقريبهم من الفلاحين من أجل اكتساب الخبرات في مجالات الزراعة المروية.

وبالإضافة إلى مشكلة المياه والإرشاد الزراعي يطرح العقار مشكلة في المنطقة مما يوجب على الدولة التدخل وتطبيق قانون الإصلاح الزراعي من أجل استغلال الأراضي الزراعية غير المستغلة من طرف أصحابها الذين أخذوها أصلا "لا من أجل الزراعة وإنما من أجل الحصول على الأراضي".

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع المشاكل التي تعاني منها زراعة الأرز (الزراعة المروية) في موريتانيا: الآفاق والحلول والذي تعرضنا فيه لأهم المشاكل التي تعاني منها زراعة الأرز بصفة خاصة والقطاع الزراعي بصفة عامة، وقد ظهر من خلال تلك الدراسة أن هذا القطاع مازال يعاني جملة من المشاكل سواء تعلق الأمر بالطبيعية منها (الجفاف، زحف الرمال على الأراضي الزراعية، التوسع العمراني....) أو الاقتصادية (التمويل ، انخفاض الإنتاج، ارتفاع نسبة الفائدة على القروض ومحدوديتها،...) أو الاجتماعية (عدم تهيئة الوسط الاجتماعي، ضعف الإرشاد الفلاحي ..)، رغم التدخلات المختلفة للدولة التي مازالت دون المستوى المطلوب لتطلعات الفلاحين، الذين يرون أن التنمية المحلية الشاملة لا تنبثق من الأعلى وإنما الطريق الأمثل لها هو التوصل إلا حلول لهذه المشاكل التي لا يمكن التغلب عليها إلا من خلال إعطاء الأولوية للحلول المقترحة لها من طرف الفلاحين أنفسهم نظرا لمعرفتهم الحقيقية لاحتياجاتهم الداخلية مع الأخذ بعين الاعتبار تلك المقترحات التي ستعالج المشاكل المطروحة للفلاحين.

المراجع

1- وزارة التنمية الريفية والبيئة ، تقرير الوفد الموريتاني في ندوة الاكتفاء الذاتي لدول المغرب العربي ، نواكشوط 1995
2- وزارة التنمية الريفية والبيئة: إدارة الإحصاء الزراعي، تقرير عن آثار الجفاف في موريتانيا، نواكشوط 1984
3- المنظمة العربية للتنمية الزراعية: مشروع إنتاج الألبان بروصو (اترارزة)، في الجمهورية الإسلامية الموريتانية، الخرطوم 1985

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

4- د: سيدى محمود ولد سيدي محمد : المشاكل الهيكلية في موريتانيا، دمشق، 1992
5- مقابلة مع المهندس سي بوكار، مهندس زراعي في المندوبية الجهوية للتنمية الريفية سابقاً بروصو، 2018.
6- مقابلة مع المهندس سيد محمد ولد سيدات، رئيس قسم الإرشاد الفلاحي، الشركة الوطنية للتنمية الريفية(صونادير) سابقا بروصو، 2018
7- Ministère du Développement Rural Et D'environnement, Problématique rizicole en Mauritanie Avril 1993
8- l'étude de la faisabilité du projet de développement du système d'irrigation agricole dans le haut fleuve Sénégal (rapport interimoire) Tome2, Décembre 96. (JICA) agence japonaise de coopération internationale (Annexe B : Agriculture
9- Ministère du Développement Rural Et D'environnement (MDRE) Durection génie rural, fiche général d'archivage de barrage en RIM 1989.
10- Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme) : "Fascicule1 " quelques principes d'aménagement des rizières Direction de la Recherche Formation Vulgarisation Juin 2001,
11- RIM .Lettre politique de développement de l'agriculture irrigue horizon 2010.Mai 1999.
12- - MDRE, Rapport de service statistique Agricole1990
13- - club du sahel, Problématique des politiques rizicoles en pays sahéliens V4, la Mauritanie, Avril 1990
14- Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme)" Fascicule 9" le contrôle de la salinité dans les rizières Juin 2001
15- l'étude de la faisabilité du projet de développement du système d'irrigation agricole dans le haut fleuve Sénégal (rapport interimoire) Tome2, Décembre 96. (JICA) agence japonaise de coopération internationale, Annexe D : Environnement
16- club du sahel, Problématique des politiques rizicoles en pays sahéliens V4, la Mauritanie, Avril 1990
17- Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme) :"Fascicule 7" Le désherbage des rizières Juin 2001
18- Ministère du développement rural Et D'environnement, Problématique rizicole en Mauritanie Avril 1993

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

19-16- Ministère du développement rural Et D'environnement, 6éme Atelier de formation, Vulgarisation Relève des conclusions et recommandations du 23 juin 1994. ROSSO, Trarza.

20- commissariat aux droits de l'homme à la lutte contre la pauvreté et à l'insertion (CDHLCPI) rapport 2004 au wilaya de Trarza

21- Hamada ould didi : la libéralisation de la filière riz en Mauritanie, NCKTT, Mai 1990

22- Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme) : Fascicule2" Le Plant de riz donné morphologique et cycle de la plante Juin 2001

23- Ministère du Développement Rural Et D'environnement et (Marc Lacharme) Fascicule 4" la mise en place des cultures, variétés, dates de semis, mode de semis (semis direct et pépinière -repiquage) Juin 2001

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

البلادة العاطفية لدى طلبة الجامعة في ضوء متغيري النوع والتخصص الدراسي

Emotional dullness In view of the gender variables and the academic specialization

أ / عفراء إبراهيم العبيدي
جامعة بغداد

تاريخ الإرسال: 2019/04/24	تاريخ القبول: 2019/05/20	تاريخ النشر: 2019/09/29.

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية التعرف على البلادة العاطفية لطلبة الجامعة وكذلك التعرف على معنوية الفروق في البلادة العاطفية تبعاً لمتغيري: النوع (ذكور-اناث) والتخصص الدراسي (علمي –انساني) ، تآلفت عينة الدراسة من (400) طالب وطالبة موزعين بالتساوي حسب النوع والتخصص الدراسي تم اختيارهم عشوائيا من طلبة الجامعة، استخدمت الباحثة مقياس البلادة العاطفية من (اعداد الباحثة) وبعد تطبيق المقياس على عينة البحث واستخراج البيانات بالوسائل الإحصائية المناسبة أظهرت النتائج أن طلبة الجامعة العينة الكلية ليس لديهم بلادة عاطفية كما أظهرت النتائج أن الذكور أكثر بلادة عاطفية بمكوناته الثلاثة موازنة بالإناث.

الكلمات المفتاحية: البلادة العاطفية، طلبة الجامعة.

Abstract

The present study aimed to identify the emotional dullness of the university students as well as to identify the significance of the differences in the emotional maturity according to the variables: gender (male - female) and academic specialization (Scientific-sensational) ,The study sample consisted of (400) male and female students distributed equally by type and academic specialization randomly selected from university students The researcher used the measure of emotional pallor by the researcher and after applying the scale on the sample of the research and extraction of data by the appropriate statistical means , The results showed that the university students in the total sample did not have an emotional dullness. The results also showed that the males are more emotionally dull with their three components. The researcher made a number of recommendations according to the results of the research as well as proposing a number of researches.

Keywords: Emotional dullness, University Students.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة:

تعد البلادة العاطفية من اهم السمات الشخصية التي قد تؤثر على الفرد في توافقه مع محيطه وتتمثل في صعوبة تحديد ووصف لمشاعره لفظيا أو مشاعر الاخرين فضلاً عن صعوبة التمييز بين المشاعر المختلفة "العجز عن التعبير عن المشاعر " مما يجعل الافراد يفقدون الدور الذي يمكن أن تلعبه الانفعالات في تيسير الحياة الإنسانية. (البنا، 2003). وهي تعني ايضاً ضعف القدرة على الكلام حول المشاعر التي تكمن داخل النفس نتيجة لتدني الوعي بوجودها. ولذا فإن الشخص المتصف بها غير قادر على التعرف وفهم ووصف مشاعره، وتأثيرات الاتصاف بها وتبعات ذلك من الناحيتين الصحية والاجتماعية على الشخص مبنية على هذا القصور في التعامل الذاتي مع المشاعر والتفريق فيما بين المشاعر وبين الأحاسيس البدنية الناشئة عنها كما تشمل الصعوبة في وصف المشاعر التي تعتري الغير وضيق الأفق في التصور والتخيل وقلة عيش الأمال والأحلام، وان الاحداث المثيرة تمر عليه دون أن تترك أثر. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp فهو بلا حياة عاطفية.

كما ويفتقد البليد عاطفياً إلى الدعابة ولا يمكنه خلق أجواء مرحة نتيجة لنقص القدرة التخيلية لديه ويجد كذلك صعوبة في فهم نفسه وتعديل انفعالاته من خلال التخيلات والاهتمامات، إذ يؤدي نقص القدرة على التخيل إلى ظهور صورة نفعية في التفكير والميل إلى تجنب مواجهة المواقف الضاغطة والتفكير خارجي التوجه الذي يتميز بالانشغال بتفاصيل الأمور والاحداث الموجودة في البيئة فضلاً عن تركيز احاسيسه الجسدية أكثر موازنة بالأحاسيس والمشاعر الانفعالية.(Dadger.etal, 2010)

وتعد الانفعالات من أهم عوامل بناء العلاقات الاجتماعية ومن الصعب على الفرد التكيف نفسيا واجتماعيا دون علاقات مع الاخرين إذ ان التواصل مع الاخرين وفهم مشاعرهم يسهم الى حد كبير في تيسير عملية التفاعل الاجتماعي والقدرة على تنظيم الانفعالات الذاتية وضبطها، فضلاء عن ان الانفعالات حلقة وصل بين المكون المعرفي والمكون السلوكي فهي تنظم السلوك الإنساني وتوجهه وتضبطه وتكبحه كما انها تلعب دورا مهما في التكيف والتواصل بين الأشخاص. (بني يونس، 2009)

وتتألف الانفعالات من جانبين أحدهما شعوري ذاتي ويتمثل في الاستجابة الفيزيولوجية لموقف الانفعال والآخر خارجي ظاهري ويتمثل في التعبيرات والحركات التي يبديها الفرد أو تبدو استجابة لموقف الانفعال. (زين العابدين، 2016: 34)

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مشكلة البحث:

يعد الوعي بالمشاعر والانفعالات دليلاً على الكفاءة الاجتماعية والوجدانية للأفراد فهي تؤثر على السلوك ونتائج السلوك للأفراد وتصرفاتهم وان أي قصور في التعبير عن المشاعر قد يؤدي إلى ضعف الانسجام الوجداني والعاطفي مع الآخرين. إذ يعد السلوك الانفعالي احد الاشكال المميزة للسلوك الإنساني إذ يمكن من خلاله التعبير عن المشاعر والاتجاهات نحو الاخرين كما يمكن الحكم من خلاله على شخصية الفرد وقدرته على التواصل مع من حوله وكيفية التأثير فيهم وجذب انتباههم والتعاطف معهم ، وان أي قصور في هذا الجانب يعيق الفرد عن وصف حالته الانفعالية وما يشعر به من معاناة أو ما يشعر الآخرين به مما يفقده إيجابية التواصل إذ أن صعوبة التمييز بين المشاعر والإحساسات الجسدية الناتجة عن الاستثارة الانفعالية وصعوبة وصف مشاعر الاخرين وقلة عمليات التخيل والأسلوب المعرفي السطحي والتفكير الموجه نحو الخارج وقصور الخصائص المعرفية .(خميس، 2014: 260-261). هي مؤشرات واضحة وصريحة على الاصابة بالبلادة العاطفية، ويختلف التعبير عن المشاعر ووصفها والوعي بها من شخص لأخر فمنهم من يعبر عنها لفظياً ومنهم من يواجه صعوبة في التعبير عنها لفظيا معبرا عنها بالألم أو الخوف أو المرض أو القلق أو الضيق وهؤلاء يفتقدون الدور الذي تلعبه الانفعالات في تسيير وتوجيه الحياة الإنسانية في الوجهة الصحيحة إذ يجدون صعوبة في ادراكاتهم واستجاباتهم للأخرين في المواقف الاجتماعية مما يؤدي إلى سوء التوافق الشخصي والاجتماعي. (البنا، 2003: 20). فضلاً عن عدم استطاعته التعرف على احاسيسه أو تنظيمها بشكل صحيح كما انه ينقل احاسيسه بشكل سيء وبالتالي لا يستطيع الحصول على عون أو سلوى من الاخرين كما ان عدم مشاركته انفعالاتهم يمكن ان يسهم في صعوبة التعرف على هذه الانفعالات .(Gross & Munoz,1995,P: 159).

انطلاقاً مما تقدم فان مشكلة البحث الحالي تحدد بالإجابة ن التساؤلات الاتي: هل يعاني طلبة الجامعة من البلادة العاطفية؟ وهل تختلف البلادة العاطفية لدى الذكور عنها مما لدى الاناث؟ وهل للمرحلة الدراسية والتخصص الدراسي دور في البلادة العاطفية لدى الطلبة.

أهمية البحث:

مما لا شك فيه أنَّ الاحساس بالمشاعر والتعرف عليها، والتعبير عنها والتمييز بينها، تُعَّد خاصية إنسانية، فهي ضرورة من ضرورات التواصل (البين – شخصي)، وافتقاد هذه القدرة أو قصورها، يُعَّد عائقًا من عوائق تحقيق الصحة النفسية ، فالأفراد الذين يُعانون من نقص القدرة على التعبير عن المشاعر، يفتقدون إلى الوعي الانفعالي بالذات، ويفتقدون إلى (التقمص العاطفي)، ويُعانون من صعوبة إقامة علاقات حميمة ودافئة، وليس لديهم القدرة على أنْ يُفكِروا في انفعالاتهم ويستخدمونها للتعايش في المواقف الضاغطة، وهذا العجز أو القصور يتسبب في جعل مثل هؤلاء يعيشون حالة من

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الضحالة أو العجز الوجداني، مع عدم مراعاة الآخرين سواء عن قصد أو غير قصد، وهو ما أُطلق عليه حديثًا مصطلح البلادة العاطفية (نقص القدرة على التعبير الانفعالي)، فالبلادة العاطفية هي ضعف القدرة على التكلُم عن المشاعر، أو العجز في الإدراك الانفعالي، فالأشخاص الذين يُعانون من تلك المشكلة غالباً غافلين عن مشاعرهم، أو لا يعرفونها بوضوح ولذلك فهم نادراً ما يتكلمون عن انفعالاتهم، فالتعبير الانفعالي له عدد من الوظائف النفسية والاجتماعية المرتبطة بالنجاح الاجتماعي، حيثُ يُعلن الفرد من خلاله عن شخصيته واتجاهاته نحو الآخرين، والتعبير عن آرائه ومحاولة إغراء الآخرين والتأثير في آرائهم وسلوكهم. فهو يُسهم في تحريك مشاعر الآخرين وجذب انتباههم والتأثير فيهم، كما أنَّ تأثير الرسائل العاطفية أقوى من تأثير الرسائل العقلية إذ تتضمن الرسائل العاطفية مزيجاً من الإشارات اللفظية وغير اللفظية، وهذا يعني أنَّ فهم الانفعالات والتعبير عنها بوضوح يُسهم بشكل فعال في التواصل الاجتماعي مع الآخرين عن طريق التأثير فيهم و إدارة انفعالاتهم، فالأفراد الذين يعانون من البلادة العاطفية يتسِمون ببصيرة ضعيفة بمشاعرهم وبالعمليات النفسية التي تحدث لهم، فعند سؤالهم عن مشاعرهم في المواقف الانفعالية فإنّهم يُخبرون عن حالة من الاضطراب، إلا أنَّ استجابتهم تكون بسيطة ومُبهمة، وقد أشارت الدراسات إلى أنَّ البلادة العاطفية قد تكون عاملاً مساعداً في مختلف الاضطرابات النفسية، والسلوكية، والعضوية حيثُ تعوق التنظيم الفعال للانفعالات، والتنظيم المعرفي وكذلك فإنَّها تعوق عملية التكيُف الناجح. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp وتشكل عاملا خطراً لعدد كبير من الاضطرابات النفسية والجسدية. (مهدي، ب ت). (Swart .etal, 2009)

يتصف الشخص البليد عاطفيا بافتقاره لتجربة انفعالية إيجابية مثل المرح والسعادة والحب كما وصفه "سيفنيوس،1987" بانه منعدم المتعة ولا يخفى على أحد ان انعدام الشعور بالمتعة يؤثر على ابعاد الشخصية ذات الصلة بالوجدان الإيجابي أو الانبساطية.(Taylor etal, 1997, P: 31-32)

وتأتي أهمية البحث من الاتي:

- ندرة البحوث والدراسات حسب علم الباحثة التي تناولت دراسة البلادة العاطفية.
- المرحلة العمرية المشمولة بالبحث والدراسة وهي مرحلة الشباب وما تمثله في تقدم المجتمع ونهوضه والاعتماد عليه في تغير واقعه السلبي.
- أهمية المتغير الذي تناولته الدراسة "البلادة العاطفية" فالأفراد الذين يفتقدون إلى الوعي بانفعالاتهم ويعانون من صعوبة في إقامة علاقات مع الاخرين وتنخفض لديهم القدرة على التعبير في انفعالاتهم أكثر عرضة لفقد اهم مقومات الصحة النفسية لديهم فضلاً عن ضعف قدرتهم على المواجهة.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- تقديم الخطوط العريضة لفهم ودراسة هذا المتغير والذي يعد حديثا نسبياً، وتقديم صورة أوضح عنه لتسهيل دراسته من قبل الباحثين والمهتمين في الشؤون والدراسات الإنسانية.
- امداد المكتبة النفسية العراقية بمقياس البلادة العاطفية للراشدين.

أهداف البحث:

- الهدف الأول: التعرف على البلادة العاطفية بمكوناتها لدى طلبة الجامعة (عينة البحث).
- إيجاد الفروق في البلادة العاطفية على وفق متغير الجنس (ذكور- اناث).
- الهدف الثاني: التعرف على الفروق في (مكونات) البلادة العاطفية لدى طلبة الجامعة على وفق متغير:

أ- النوع (ذكور- إناث)

ب- التخصص الدراسي (علمي- إنساني)

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بعينة من طلبة الجامعة / جامعة بغداد كلية (التربية الرياضية-الاعلام- هندسة الخوارزمي- العلوم) للعام الدراسي (2018-2019).

تحديد المصطلحات:

البلادة العاطفية

- عرفها (سيفينوس،1973) بانها: الصعوبة في التمييز بين المشاعر والاحاسيس الجسدية الناتجة عن الاستثارة الانفعالية وصعوبة وصف مشاعر الاخرين وقلة عمليات التخيل والأسلوب المعرفي يتسم بانه بسيط ونفعي وموجه خارجياً.(Sifneos,1973,P:40)
- أما (الشربيني ،2001) فقد عرفها بانها: "عدم القدرة أو صعوبة الوصف للمشاعر والانفعالات أو عدم الدراية بالمشاعر الداخلية". (الشربيني، 2001: 7)
- وعرفها (تايلور) بانها: حالة تعكس مجموعة من أوجه القصور في القدرة على التعامل مع الانفعالات من الناحية المعرفية كما انها تعكس صعوبات لدى الفرد في تنظيم وجدانياته ومن ثم فهي تعد أحد العوامل المهيأة للإصابة بالأمراض الجسدية والنفسية. (البنا،2003: 21)

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- التعريف النظري: سمة شخصية (انفعالية معرفية) تتضمن نقص في قدرة الفرد على التعرف وتحديد ووصف مشاعره أو مشاعر الاخرين (نقص في الوعي والتعبير الانفعالي) والخلط بين المشاعر والاحاسيس الجسدية وضعف في التخيل وتفكيره يكون متجه نحو الخارج.
- التعريف الاجرائي: الدرجة الكلية التي يحصل عليها الطالب / الطالبة عند اجابته على فقرات مقياس البلادة العاطفية المعد للبحث الحالي.

الإطار النظري ودراسات سابقة:

الإطار النظري (البلادة العاطفية)

يعد "بيتر سيفنوس،1973" أول من قدم هذا المصطلح إلى ميدان علم النفس وهي تعني عجز أو نقص في الكلمات المعبرة عن الانفعالات.(Muller, 2000, P: 1) ولقد ظهر مفهوم البلادة العاطفية من خلال الملاحظات السرسرية لمجموعة خصائص مميزة كانت ظاهرة على مرضى يعانون من امراض نفس – جسدية واضطرابات تعاطي المخدرات و ما بعد الصدمة، وقد تطورت الملاحظات السابقة على هيئة رؤى نظرية تتضمن سمات بارزة لهذا المفهوم مثل صعوبة تحديد الانفعالات والاحاسيس وصعوبة وصف الانفعالات والاحاسيس والتفكير المتجه إلى الخارج.(Garssen&Rrmie, 2004, P: 129) ويتكون مفهوم البلادة العاطفية من ثلاث عوامل أو مكونات رئيسية هي:

- صعوبة تحديد الإحساس: يشير هذا المكون إلى نقص كفاءة الفرد في تحديد احاسيسه والغالب على هذه الاحاسيس انها تتسم بأعراض جسدية (خفقان القلب- صداع- تعرق.....الخ) لكن الفرد لا يمتلك القدرة المعرفية لترجمة هذه الاحاسيس التي خبرها عن طريق الجسد.
- صعوبة وصف الاحاسيس: يشير هذا المكون إلى نقص كفاءة الفرد فيما يتعلق بالتعبير اللغوي عن الاحاسيس ويعود ذلك إلى ان النشاط العصبي الفسلجي ينشط دون حدوث نشاط للنظام المعرفي الذي يشمل المخططات وذلك عند مرور الفرد بتجربة إحساس أو شعور مما يجعله يعاني في وصف ما يمر به.
- التفكير الموجه نحو الخارج: يشير هذا المكون إلى نقص كفاءة الفرد التأملية وبالتالي يتوجه تفكيره إلى الخارج لعجزه في تحديد ووصف ما يشعر به. (كفافي والدواش،2011: 6)

ميز "فرايبيكر،1977" نوعين من البلادة النوع الأول: والذي يشير إلى كون البلادة سمة ذات طابع استعدادي للاتصاف بها وقد ايّدت عدة دراسات مسالة أن تكون البلادة العاطفية هي سمة ذات طابع وراثي والتي ترتبط بدورها بعدة سمات مثل العصابية والانبساطية المنخفضة وضالة الانفتاح على التجارب كذلك إمكانية ارتباطها بعدة اضطرابات نفسية.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أما البلادة العاطفية الثانوية: فقد تم الإشارة اليها على انها نتيجة للإصابة بمرض عضوي وتأتي البلادة كألية دفاعية مشابهة لألية الانكار عند العالم "سيجموند فرويد" للتخفيف من الألم الجسدي والانفعالي الناجم عن الإصابة بمرض خطير.(Timoney & Holder, 2013, P: 8)

كما صنف "بيرموند" البلادة العاطفية إلى نمطين، يتصف النمط الأول بتبدلات على مستوى العمليات المعرفية الوجدانية لكن يفتقرون للقدرة على الوعي والتعبير الانفعالي في حين يتسم النمط الثاني بوعي انفعالي سوي لكن يفتقرون للتعبير الانفعالي وهؤلاء أكثر عرضة لاضطرابات الجسدية موازنة بالنمط الأول (Messina etal,2014,P: 40)

- نظرية (Lane & Schwartz,1987) نظرية التطور المعرفي للوعي الانفعالي:

عدت نظرية التطور المعرفي للوعي الانفعالي بمثابة جسر بين طرفي المعادلة الانفعالية (الحالة السوية-الحالة اللاسوية) وتتمحور اللبنة الأولى للنظرية حول مفهوم الوعي الانفعالي من كونه نمط من أنماط العمليات المعرفية والذي يمر بخمس مستويات من التحول الهيكلي خلال سلسلة التطور المعرفي للإنسان وهذه المستويات هي: الوعي بالإحساس الجسدي، رد الفعل الجسدي، الشعور الفردي، مزيج من المشاعر والمزيد من المزج في المشاعر (Lane & Schwartz,1987,P:133) ويشير المستوى الأول إلى الانعكاسات الحس حركية ويمتلك الفرد في هذا المستوى الوعي بالإحساسات البدنية الناجمة عن الاستثارة الانفعالية مثل تعبيرات الوجه أو زيادة ضربات القلب " يكون الوعي بالحالة الانفعالية مغيبا كليا"، أما المستوى الثاني رد الفعل الجسدي أي اختبار للانفعال من خلال إحساس بدني أو رد فعل بدني وفي هذا المستوى لا يمتلك الفرد أي وعي بالحالة الوجدانية التي تقف وراء هذا الإحساس أو رد الفعل ، أما المستوى الثالث الشعور الفردي هو اختبار الفرد للشعور والذي يصفها عادة بعبارة مقتضبة جدا وبالرغم من قدرته على الوصف الا انه يعد محدودا مقارنة بقدرة الافراد الاعتياديين ، أما تفسيراته لحالات الاخرين فتظل مقتصرة على تفسيره لسلوكيات الأخر الملحوظة أو على صفاته الخارجية. ويرى " لاين وسشوارتر" أهمية المستوى الرابع الذي يراه العملية الأساس في الوعي الانفعالي إذ يختبر الفرد عدة انفعالات بنفس الوقت، ويستطيع الفرد خلال هذا المستوى ان يصف ويعبر عن عدد كبير من المشاعر المختلطة لكن تظل قدرته على ترجمة الحالات الوجدانية للأخرين متوفقة على السلوك الظاهري لهم. أما المستوى الخامس والذي أطلق عليه مستوى العملية الرسمية أو مزيج متعدد من المشاعر إذ يصبح الفرد في هذا المستوى قادرا على اختبار مزيج كبير من المشاعر وعلى التفريق بين الانفعالات المتشابهة كما يصبح بإمكانه منح ووصف معقد ودقيق لانفعالات الأخرين وتوقع حالاتهم الوجدانية المستقبلية وتقل انحيازات الفرد في هذا المستوى لمشاعر الافراد من حوله.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وهكذا فان العجز عن التعرف على الانفعالات التي يعاني منها الافراد البليدون عاطفيا يمكن تفسيره وفقاً لهذه النظرية كنتيجة لعدم تطور المهارات المعرفية المصاحبة للوعي الانفعالي وبالنتيجة يصبح الفرد غير قادر على التمييز بين عدد معقول من الحالات الوجدانية من حوله. (Timoney & Holder, 2013, P: 8-9)

- نظرية (Taylor, Bagby & Parler,1997) نظرية التنظيم الوجداني

يرى " تايلور" ان البلادة العاطفية هي تنظيم متعدد الأوجه في الشخصية الإنسانية ويتسم بعجز في المعالجة المعرفية للانفعالات.(Luminet etal. , 2006, P: 713) وتعد البلادة العاطفية انعكاس لعجز في العملية المعرفية والتنظيم الانفعالي وترتبط ارتباطاً وثيقا بأساليب التنظيم الانفعالي غير المتوافقة مع الظروف ومع البيئة وبالذكاء الانفعالي المنخفض كما ترتبط بعدة امراض جسدية ويتسم الفرد البليد عاطفياً بعدم قدرته على فهم مشاعره أو مشاعر الاخرين، كما يصعب عليه تحديد طبيعة الشعور أو وصفه وبالتالي يصعب عليه رفع الحالة الانفعالية من مستوى ما قبل المفاهيم إلى المستوى التمثيل العقلي .ويتسم الفرد بهذه السمة بعدم قدرته على تخيل نفسه في وضع شخص اخر أو تقدير حالته الانفعالية في موقف محدد بسبب ضعف الية التخيل لديه كما يعجز عن فهم التعبيرات الوجهية للناس، وفي ظل ضعف المعالجة الانفعالية مع عجز في التنظيم الانفعالي فلا يعد الامر مفاجئا إذا وجدنا ان البلادة العاطفية تسبب الكثير من الاضطرابات البدنية والفسلجية إذ يتمركز محور انتباه الفرد على المستوى الأول من النظرية السابقة الا و هو الوعي بالإحساس الجسدي المرافق للانفعالات دون التركيز على الانفعال المرافق مما يؤدي إلى سلوكيات غير متوقعة منه مثل حالة الإدمان أو التصرفات المتهورة وحتى ادمان الاكل أو فقدان الشهية أو صلات جنسية ضارة وغير محمية كما ويعاني من قلة احساساته بمشاعر إيجابية كالاستمتاع والحب والسعادة.(Taylor etal, 1997).

مناقشة النظريات: ستعتمد الباحثة على الإطار التكاملي للبلادة العاطفية وذلك لتداخل عوامل كثيرة كالتنشئة الاجتماعية ونظم الاستجابة المعرفية والوجدانية والفسيولوجية التي تلعب دور كبيرا في تفسيرنا لتشكل البلادة العاطفية لدى الفرد.

دراسات سابقة:

1- دراسة (مهدي، 2017)

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

استهدفت "دراسة مهدي" قياس مستوى البلادة الوجدانية لدى النساء المصابات بسرطان الثدي، فضلاً عن إيجاد الفروق تبعا للحالة المعيشية ولمتغير تاريخ اكتشاف المرض، تألفت العينة من (30) امرأة ، تم الاعتماد على مقياس "تورنتو" للبلادة الوجدانية ، وبعد تطبيق المقياس وتحليل البيانات بالوسائل الإحصائية المناسبة أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود بلادة وجدانية لدى عينة الدراسة ولم تكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية على متغير الحالة المعيشية في حين وجدت فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير تاريخ اكتشاف المرض.(مهدي، 2017: 617- 641)

2- دراسة (شاهين، 2013)

قامت "شاهين" بدراسة استهدفت الكشف عن الفروق بين كل من مرتفعي ومنخفضي الدرجة على مقياس الالكسيثيميا في الرضا عن الحياة وكذلك التعرف على الفروق بين الذكور والاناث على متغيري الالكسيثيميا والرضا عن الحياة، تألفت عينة الدراسة من (250) طالباً وطالبة، وبعد تطبيق مقياسا الدراسة وتحليل البيانات بالوسائل الإحصائية المناسبة أظهرت النتائج وجود فروق في الرضا عن الحياة بتجاه منخفضي الدرجة على الالكسيثيميا ووجود فروق بين الذكور والاناث في الدرجة على مقياس الالكسيثيميا باتجاه الذكور فضلاً عن وجود فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث على مقياس الرضا عن الحياة.(شاهين، 2013: 81- 112) .

3- دراسة (الدواش،2011)

سعت دراسة الدواش إلى الوقوف على نسبة مساهمة البلادة الوجدانية في الاعراض المرضية لدى المراهقين والراشدين، تألفت عينة الدراسة من (165)، وبعد تطبيق أدوات الدراسة وتحليل البيانات بالوسائل الإحصائية المناسبة أظهرت النتائج ان البلادة الوجدانية تساهم في الاعراض المرضية بنسب تراوحت في معظمها فيما بين المستوى المتوسط والقوي ولم يوجد تأثير دال احصائيا لتفاعل البلادة الوجدانية مع العمر والجنس في التأثير على الاعراض المرضية. (الدواش، 2011: 1- 28) .

4- دراسة (Hakalampi,etal,2004)

قام "Hankalampi وجماعته " بدراسة تتبعيه لمدة ثلاث سنوات على عينة قوامها (1339) من الذكور والاناث وقام بتقسيم العينة إلى اربع مجموعات : الأولى تعاني من الالكسيثيميا والثانية تعاني من الاكتئاب والثالثة تعاني من الالكسيثيميا والاكتئاب والمجموعة الرابعة لا تعاني من كلا الاضطرابين، طبق عليهم مقاييس "تورنتو" للالكسيثيميا واحداث الحياة الضاغطة ومقياس "بيك" للاكتئاب والرضا عن الحياة "لدينر واخرون" واستبانة الديموغرافية ، وتوصلت النتائج إلى ارتفاع الالكسيثيميا لدى الذكور موازنة بالإناث وارتباطها بالمعدلات المنخفضة من الشعور بالرضا عن الحياة. (Hankalampi, etal, 2004)

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

5- دراسة (Twula & Jussi,1999)

سعت الدراسة معرفة النوع وتأثره في الالكسيثيميا اذ هدفت الدراسة التعرف على انتشار الالكسيثيميا وارتباطه بالمتغيرات الديموغرافية لدى عينة بلغت (1285) فردا، طبق عليهم مقياس "تورنتو" واسفرت نتائج الدراسة عن انتشار الالكسيثيميا لدى العينة الكلية بمعدل (13%) وفيما يتعلق بالنوع فقد بلغ معدل انتشار الالكسيثيميا بين الذكور بنسبة (17%) في مقابل (10%) لدى الاناث. (Twula & Jussi,1999)

6- دراسة (O'Neill & BORNSTIEN,1996)

سعت الدراسة التعرف على العلاقة بين البلادة الوجدانية وإدراك الاعتمادية في العلاقات الاجتماعية، تألفت عينة الدراسة من (372)، وبعد تطبيق أدوات الدراسة وتحليل البيانات بالوسائل الإحصائية المناسبة أظهرت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية سالبة بين البلادة الوجدانية وإدراك الاعتمادية في العلاقات الاجتماعية.(O'Neill & BORNSTIEN, 1996) .

7- دراسة (Weinryb,etal.,1994)

استهدفت دراسة "وينريب وجماعته" التعرف على العلاقة بين البلادة الوجدانية واضطراب العلاقات الاجتماعية، تألفت عينة الدراسة من (65)، وقد توصلت الدراسة إلى وجود ارتباط قوي بين البلادة الوجدانية واضطراب العلاقات الاجتماعية.(Weinryb, etal.,1994) .

منهج البحث وإجراءاته:

المنهجية:

أعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي لا يقتصر على وصف الظاهرة قيد الدراسة وجمع المعلومات والبيانات عنها، بل ويعمل على تصنيف هذه المعلومات وتنظيمها وتفسيرها بغية الوصول إلى استنتاجات عامة تساعد على فهم الواقع وتطويره وذلك باستخدام أدوات مناسبة، ومن ثم تحليل هذه المعلومات بهدف الوصول إلى النتائج التي يمكن أنّ تحقق الأهداف المرجوة من هذا البحث. (الاغا، 1997: 73).

مجتمع البحث وعينته: تكون مجتمع البحث الحالي من طلبة كليات جامعة بغداد/ كلية التربية الرياضية وكلية الاعلام وكلية العلوم وكلية هندسة الخوارزمي، وتم اخذ عينة البحث بصورة

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

عشوائية والبالغة (400) طالباً وطالبة موزعة حسب الجنس والتخصص، والجدول (1) يوضح ذلك:

الجدول (1)

عينة البحث موزعة حسب النوع والتخصص والمرحلة

الكلية	التخصص	عدد الطلبة				المجموع		المجموع الكلي
		الأول		الرابع		ذكور	اناث	
		ذكور	اناث	ذكور	اناث			
العلوم	علمي	25	25	25	25	50	50	100
هندسة الخوارزمي	علمي	25	25	25	25	50	50	100
الاعلام	انساني	25	25	25	25	50	50	100
التربية البدنية وعلوم الرياضية	انساني	25	25	25	25	50	50	100
المجموع الكلي		100	100	100	100	200	200	400

مقياس البحث:

مقياس البلادة العاطفية / تحديد مكونات المقياس وفقراته

- بعد إطلاع الباحثة على الأدبيات التي تناولت

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- البلادة العاطفية وتبنيها لوجهة نظر "الكلية" في تحديدها لمكونات البلادة العاطفية وهي (صعوبة تحديد الإحساس / التفكير الموجه نحو الخارج/صعوبة وصف الاحاسيس) و في ضوء التعريف النظري لمفهوم البلادة العاطفية وقيام الباحثة بإعداد استبانة استطلاعية تحوي سؤال مفتوح تم تقديمه إلى عينة مؤلفة من (60) طالباً وطالبة من طلبة جامعة بغداد/ طلبت فيه منهم الإجابة عن الصفات التي يتصف بها الإنسان البليد عاطفياً، فضلاً عن الاطلاع على دراسات ومقاييس ذات العلاقة منها (دراسة الدواش، 2011) و(دراسة شاهين،2013) و(دراسة Hankalampi etal,2004) لقياس البلادة العاطفية. ومن خلال استجابة الطلبة على الاستبانة الاستطلاعية ومراجعة الأدبيات والدراسات ذات الصلة بالموضوع تم تحليل الإجابات التي حصلت عليها الباحثة ودمج الإجابات المتشابهة منها في المعنى وصياغتها على شكل فقرات تعكس في مضمونها الشعور – بالبلادة العاطفية - بمكوناتها وبذلك أصبح عدد فقرات المقياس بصورته الأولية (45) فقرة موزعة على مكونات البلادة العاطفية، وقد روعي في صياغة الفقرات ما يأتي:
  - أن تكون واضحة للمستجيب ولا تحتمل أكثر من تفسير واحد.
  - أن تكون الفقرات بصيغة المتكلم وسلامة الفقرات من الأخطاء اللغوية والتعبيرية والطباعية.

وقد اعتمدت الباحثة اسلوب (ليكرت) ذي البدائل الخمس وهي (تنطبق عليِ دائماً، تنطبق عليّ غالباً، تنطبق عليّ أحياناً، تنطبق عليّ نادراً، لا تنطبق عليّ اطلاقاً) وهي تأخذ الدرجات على التوالي (5-4-3-2-1) للفقرات البلادة العاطفية، والجدول (2) يبين مكونات المقياس وعدد الفقرات لكل مكون وكماياتي:

الجدول (2)

مكونات مقياس البلادة العاطفية وعدد الفقرات لكل مكون

ت	مكونات مقياس البلادة العاطفية	عدد الفقرات
1	صعوبة تحديد الاحاسيس	15
2	صعوبة وصف الاحاسيس	15

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

3	التفكير الموجه نحو الخارج	15
المجمـــــوع		45

- صلاحية فقرات المقياس
- عرضت فقرات مقياس البلادة العاطفية على مجموعة من الخبراء بلغ عددهم (10) خبراء للحكم على مدى صلاحيتها وملاءمتها للمكون الذي وضعت فيه، ودقة صياغتها واعتمدت الباحثة نسبة (80%) فأكثر لتحديد صلاحية الفقرات وفي ضوء هذا المؤشر تم قبول الفقرات جميعها، كما تم إعادة صياغة بعض الفقرات لغوياً وبذلك بقي عدد الفقرات النهائي (45) فقرة.
- الإجراءات الاحصائية لتحليل فقرات المقياس / تعد عملية التحليل الإحصائي لفقرات المقياس من الخطوات الأساسية لبنائه، ولحساب القوة التمييزية لفقرات مقياس البلادة العاطفية تم تطبيق المقياس على عينة مكونة من (400) طالباً وطالبة من جامعة بغداد وتم حساب القوة التمييزية بطريقتين هما:
- طريقة المجموعتين المتطرفتين/ بهدف تحليل فقرات مقياس البلادة العاطفية قامت الباحثة بترتيب درجات عينة التحليل الاحصائية والبالغ عدد أفرادها (400) طالباً وطالبة* تنازلياً من أعلى درجة إلى أدنى درجة ثم اختيرت (27%) من الاستمارات التي حصلت على أعلى الدرجات و (27%) من الاستمارات التي حصلت على أدنى الدرجات وذلك لغرض الحصول على مجموعتين تتميزان بأكبر حجم وأقصى تباين ممكن بينهما ويقترب توزيعهما من التوزيع الطبيعي (Stanley & Hopkins,1972,P:268) وعليه فإن عدد الاستمارات التي خضعت للتحليل الاحصائي (216) استمارة وعند تطبيق الاختبار التائي لاختبار دلالة الفروق بين المجموعة العليا والمجموعة الدنيا لكل فقرة من الفقرات اظهر التحليل أنَّ الفقرات الـ (45) مميزة عند مستوى دلالة (0.05) والجدول (3) يوضح ذلك:

الجدول (3)

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المتوسطات والتباينات والقيم التائية لفقرات مقياس البلادة العاطفية باستخدام المجموعتين الطرفيتين

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المستخرجة
	الوسط الحسابي	التباين	الوسط الحسابي	التباين	
1	4.138	1.78	3.175	2.0	5.134
2	4.12	1.15	3.620	1.90	2.973
3	4.592	0.651	4.0741	1.54	3.617
4	3.555	2.32	2.055	1.71	7.755
5	4.277	1.09	3.138	1.98	6.734
6	4.351	0.86	2.996	1.71	8.813
7	3.435	1.93	2.407	1.64	5.648
8	4.111	1.52	2.694	1.09	7.696
9	4.138	1.13	3.796	1.37	2.248
10	3.305	1.78	2.203	1.0	6.856
11	3.556	0.121	2.583	2.320	4.966
12	4.879	0.21	4.111	0.95	7.357
13	4.601	0.39	3.796	0.96	7.182
14	4.314	0.72	3.194	1.31	8.153

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

15	4.324	0.70	3.370	1.56	6.230
16	4.111	0.77	2.826	1.76	8.253
17	4.7593	0.31	4.074	1.2	5.839
18	4.814	0.22	3.916	1.15	7.069
19	4.472	0.60	3.175	1.34	9.649
20	4.481	0.66	3.398	1.68	7.353
21	4.148	1.04	3.129	1.12	7.191
22	2.768	2.45	2.361	1.84	2.042
23	4.694	0.51	4.064	1.23	4.970
24	4.833	0.21	4.037	1.05	7.317
25	3.157	3.44	2.324	2.25	3.627
26	3.935	1.07	2.898	1.64	6.542
27	4.564	0.69	3.435	1.83	7.375
28	4.157	0.93	2.935	1.35	8.396
29	4.5	0.79	3.074	2.44	8.236
30	4.074	0.7	2.638	6.97	9.865
31	4.314	0.72	3.194	1.31	8.153
32	4.694	0.51	4.064	1.22	4.970
33	4.111	0.77	2.826	1.77	8.253

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

34	4.759	0.37	4.407	1.26	2.853
35	4.25	0.75	4.815	0.22	5.938
36	4.342	0.48	4.888	0.09	7.399
37	4.074	1.22	2.989	1.86	6.945
38	4.351	0.86	2.996	1.71	8.813
39	4.490	0.68	3.148	1.94	8.616
40	4.629	0.81	4.055	1.63	3.821
41	4.731	0.40	4.213	0.59	5.381
42	4.898	0.11	4.463	0.79	4.757
43	4.546	0.36	2.972	2.08	9.434
44	4.370	1.24	3.092	2.43	6.918
45	4.824	0.19	4.314	0.91	4.821

القيمة التائية الجدولية (1.96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (214)

علاقة درجة الفقرة بالمجموع الكلي للمقياس/ على وفق ما أشار اليه "ستانلي وهوبكنز" بان الفقرات التي يكون معامل ارتباطها بالدرجة الكلية للمقياس دالاً احصائياً تبقى إذ تحقق لها قوة تمييزية عالية أما الفقرات التي يكون معامل ارتباطها بالدرجة الكلية غير ذي دلالة احصائية فان الفقرة تحذف لأنها في هذه الحالة لا تقيس الظاهرة التي يقيسها المقياس بأكمله. (Stanley & Hopkins, 1972, P: 111) استعمل معامل ارتباط بيرسون لاستخراج العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية لـ (400) استمارة وقد كانت جميع معاملات الارتباط دالة احصائياً، والجدول (4) يوضح ذلك:

الجدول (4)

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة من الفقرات والدرجة الكلية لمقياس البلادة العاطفية

رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط
1	0.44	16	0.34	31	0.27
2	0.40	17	0.43	32	0.25
3	0.41	18	0.32	33	0.24
4	0.38	19	0.41	34	0.38
5	0.22	20	0.39	35	0.34
6	0.44	21	0.31	36	0.37
7	0.40	22	0.33	37	0.25
8	0.41	23	0.39	38	0.29
9	0.38	24	0.35	39	0.22
10	0.23	25	0.36	40	0.28
11	0.45	26	0.49	41	0.32
12	0.25	27	0.33	42	0.46
13	0.47	28	0.45	43	0.32
14	0.31	29	0.32	44	0.31
15	0.39	30	0.35	45	0.27

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

قيم معاملات الارتباط ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0.05)

التطبيق الاستطلاعي للمقياس/ طُبّق المقياس على عينة عشوائية بلغت (40) طالباً وطالبة، بواقع (20) طالباً، و(20) طالبة وذلك للتأكد من مدى وضوح فقرات المقياس وتعليماته، وبدائله من قبل عينة البحث، فضلاً عن معرفة الوقت المستغرق في الإجابة عن المقياس. وقد أتضح للباحثة أنّ فقرات المقياس وتعليماته كانت واضحة لدى العينة، وأن الزمن المستغرق في استجابة الطلبة على فقرات المقياس تراوح بين (20- 25) دقيقة، وبمدى مقداره (22.5) دقيقة.

صدق المقياس /

وقد تحقق لمقياس البلادة العاطفية مؤشرات الصدق الاتية:

الصدق الظاهري / يمثل الصدق الظاهري مدى انتساب مضمون الفقرات للسمة المقاسة، ويعتمد الباحث في ذلك على المحكمين، وقد تحقق هذا النوع من الصدق في مقياس البلادة العاطفية بعرض فقراته على مجموعة من الخبراء المختصين في مجال التربية وعلم النفس والآخذ بتوجيهاتهم وأراءهم بشأن صلاحية مكونات وفقرات المقياس وملاءمتها لمجتمع الدراسة.

صدق البناء / يُعد من أهم أنواع الصدق ويتحقق من خلال التحقق تجريبياً من الافتراضات النظرية وقد تحقق ذلك للمقياس من خلال الاتساق الداخلي للمقياس إذ يعد الاتساق الداخلي للمقياس أحد مؤشرات صدق البناء، ويتحقق من خلال حساب معاملات الارتباط البينية لفقرات الاختبار أو من خلال إيجاد علاقة درجة كل فقرة من فقرات المقياس بالمجموع الكلي .(عبد الرحمن ، 1983: 266) وقد تبين أنّ جميع معاملات الارتباط دالة احصائياً عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (214) و (398) على التوالي عند موازنتها بالقيمة التائية الجدولية والبالغة (1.96) كما في الجدول (3) والجدول (4) .

ثبات المقياس /

تم استخراج ثبات المقياس عن طريق الاختبار – اعادة الاختبار على عينة تم اختيارها عشوائيا عينة استطلاعية بلغت (60) طالبا وطالبة، وكانت الفترة الفاصلة بين اجراء التطبيق الأول والتطبيق الثاني اسبوعين وبلغ معامل الثبات (0.84)، فضلاً عما تقدم تم حساب الاتساق الداخلي للاختبار على (100) استمارة تم سحبهم بشكل عشوائي من استمارات التحليل الاحصائي - بواسطة معادلة الفا كرونباخ وكان (0.80) وهي قيمة دالة احصائياً اعتماداً على المعيار المطلق.

وقد أصبح مقياس البلادة العاطفية بصورته النهائية مؤلفاً من (45) فقرة والإجابة عليه على وفق طريقة ليكرت وبدائل الإجابة عليه خماسية وقد تم تحليل فقراته فضلاً عن استخراج صدقه وثباته.

الوسائل الاحصائية: استعانت الباحثة ببرنامج الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS لمعالجة بيانات البحث الحالي والحصول على النتائج.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها:

من أجل تحقيق أهداف البحث، وبعد إجراء التحليلات الإحصائية للبيانات التي تم الحصول عليها، سوف يتم عرض النتائج التي توصل اليها البحث الحالي وفق أهدافه ومناقشة وتفسير تلك النتائج وعلى النحو الاتي:

الهدف الأول: - التعرف على البلادة العاطفية بمكوناتها لدى طلبة الجامعة (عينة البحث).

أظهرت نتائج البحث أن المتوسطات الحسابية لدرجات عينة البحث على مقياس البلادة العاطفية لكل من صعوبة تحديد الاحاسيس وصعوبة وصف الاحاسيس و التفكير الموجه نحو الخارج على التوالي بلغ (40.8- 41.2- 40.5) درجة، وعند موازنة المتوسطات الحسابية بالمتوسط الفرضي والبالغ (45) درجة، وباستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة تبين أن القيمة التائية المحسوبة هي (14.237-12.881- 15.254) على التوالي ، وهن ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05)، ودرجة حرية (399)، وهذا يعني أن هناك فرقاً دالاً إحصائياً لصالح المتوسط الفرضي، أي إنَّ عينة البحث لا تعاني من البلادة العاطفية ، والجدول (5) يوضح ذلك :

الجدول (5)

الاختبار التائي لدلالة الفرق بين المتوسط الحسابي لدرجات العينة والمتوسط الفرضي على (مكونات)مقياس البلادة العاطفية

ت	المكون	العينة الكلية	المتوسطات	المتوسط الفرضي	قيمة(ت)	مستوى الدلالة(0.05)
1	صعوبة تحديد الاحاسيس	400	40.8	45	14.237	دالة
2	صعوبة وصف الاحاسيس	400	41.2	45	12.881	دالة
3	التفكير الموجه نحو الخارج	400	40.5	45	15.254	دالة

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يظهر الجدول أعلاه ان العينة لا تعاني من البلادة العاطفية في المكونات الثلاثة، وترجع الباحثة ذلك الى طبيعة المجتمع الإسلامية التي تؤكد على اظهار المشاعر والحرص على مشاعر الاخرين والشعور بهم (الوعي بمشاعرهم ومشاعر الاخرين) وإقامة علاقات إيجابية مع الاخرين.

الهدف الثاني:- التعرف على الفروق في (مكونات) البلادة العاطفية لدى طلبة الجامعة على وفق متغير:

أ- النوع (ذكور- إناث) .

الجدول (6)

يوضح الفروق بين متوسطات درجات أفراد العينة حسب الجنس للمكونات الثلاثة

ت	المكون	الجنس	العينة	المتوسطات	الانحرافات	قيمة(ت)	قيمة (ت) الجدولية	مستوى الدلالة(0.05)
1	صعوبة تحديد الاحاسيس	ذكور	200	41.9	6.3	3.722	1.96	دال
		الإناث	200	39.7	5.5			
2	صعوبة وصف الاحاسيس	ذكور	200	42.1	5	3.079		دال
		إناث	200	40.4	6			
3	التفكير الموجه نحو	ذكور	200	42	6	4.918		دال
		إناث	200	39	6.2			

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

	الخارج							

أ- يظهر الجدول (6) وجود فروق دالة احصائياً في متوسط درجات صعوبة تحديد الاحاسيس ووصف الاحاسيس والتفكير الموجه نحو الخارج بين كل من الذكور والإناث وكانت الفروق لصالح الذكور ويرجع السبب في ذلك إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية الشرقية التي تسمح للإناث بالتعبير عن انفعالاتهم ومشاعرهم وترفض ذلك للذكور مما انعكس ذلك على ضعف في الوعي بانفعالاتهم ووصفها وإقامة علاقات إيجابية مع الاخرين موازنة بالإناث، هذا فضلا عن طبيعة الانثى وما حباه الله بها من عاطفة ودفء فهي اكثر حميمية وبالتالي تشعر بانفعالاتها وبانفعالات بالأخرين بكل سهولة وهي اكثر تفاعلا إيجابيا مع الاخرين ، كما ان الدور الذي يلعبه الذكر والظروف الحياة وانشغالاته بتفاصيل الحياة اليومية والضغوطات الواقعة عليه قد تكون عائقا في شرح وتفسير لمشاعره وانفعالاته ووصفها ، وهذه النتيجة اتفقت مع نتيجة دراسة (شاهين،2013) ودراسة (Twula& Jussi,1999) من ان الذكور اكثر بلادة عاطفية من الاناث واختلفت مع نتيجة دراسة (الدواش،2011) والتي أظهرت عدم وجود فروق حسب متغير الجنس.

ب- التخصص الدراسي (علمي- إنساني) .

الجدول (7)

يوضح الفروق بين متوسطات درجات أفراد العينة حسب التخصص الدراسي للمكونات الثلاثة

ت	المكون	التخصص الدراسي	العينة	المتوسطات	الانحرافات	قيمة(ت)	قيمة (ت) الجدولية	مستوى الدلالة(0.05)
1	صعوبة تحديد الاحاسيس	علمي	200	42.9	6.4	7.094	1.96	دالة
		إنساني	200	38.7	5.4			

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

2	صعوبة وصف الاحاسيس	علمي	200	41.9	5.7	2.545	دالة
		إنساني	200	40.5	5.3		
3	التفكير الموجه نحو الخارج	علمي	200	42.1	5.8	6.546	دالة
		إنساني	200	84.9	6.4		

ب- يظهر الجدول (7) وجود فروق دالة احصائياً تبعاً للتخصص الدراسي في المكونات الثلاثة لمقياس البلادة العاطفية والفروق لصالح طلبة التخصص الدراسي العلمي ولعل ذلك يرجع إلى إنّ الطلبة من التخصص الدراسي العلمي ونتيجة لطبيعة مواد الدراسية الجافة والتي لا تحتاج الى التعبير أو وصف للمشاعر اثناء تأديتها موازنة بدراسة طلبة التخصص الإنساني التي تبحث وتؤكد على تحديد والتعرف ووصف للمشاعر والاحاسيس والعلاقات الإنسانية أكثر موازنة بدراسة التخصص العلمي.

التوصيات:

1- اجراء الندوات وورش العمل التي تحرص على تدريب الطلبة ولا سيما الذكور على استراتيجيات التعبير عن المشاعر والاحاسيس ووصفها.
2- تفعيل اللجان الارشادية في الكليات والجامعات لتأدية دورها في أهمية تخلص الطلبة من البلادة العاطفية للتمتع بصحة نفسية جيدة.

المقترحات:

1- اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على عينات عمرية مختلفة وموازنة النتائج
2- اجراء دراسة ارتباطية تتناول البلادة العاطفية وعلاقتها ببعض المتغيرات كأساليب التنشئة الاجتماعية- تقدير الذات.....الخ.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المصادر:

- البنا، ايمان (2003): الالكسيثيميا (صعوبة تحديد ووصف المشاعر) وانماط التعامل مع الضغوط لدى عينة من طلبة الجامعة، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس 32.18-57.
- بني يونس، محمد (2009): سيكولوجية الدافعية والانفعالات، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- خميس، ايمان احمد (2014): اسهام بعض المتغيرات في التنبؤ بالالكسيثيميا لدى معلمات رياض الأطفال، مجلة الطفولة والتربية، العدد العشرون- الجزء الثاني –السنة السادسة –أكتوبر ص (259- 349).
- زين العابدين، فارس(2016): صعوبة التعرف على المشاعر (الالكسيثيميا)،مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، العدد (3) ديسمبر(33- 43).
- شاهين، هيام صابر صادق (2013): الالكسيثيميا والرضا عن الحياة لدى عينة من طلبة الجامعة، مجلة كلية التربية-بنها، العدد (96) أكتوبر ج (1)، مصر -ص (81- 112).
- مهدي، ريم خميس (2017): البلادة الوجدانية لدى النساء المصابات بسرطان الثدي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الال للعلوم والآداب-أربيل- العراق، شبكة المؤتمرات العربية، ص (617- 641).
- الدواش، فؤاد محمد (2011): الالكسيثيميا (البلادة الوجدانية) كمؤشر تنبؤي بالأعراض المرضية لدى المراهقين والراشدين، المجلة المصرية لعلوم المراهقة، عدد (4) يناير، ص (28-1).
- كفافي، علاء و الدواش ، فؤاد(2011): مقياس تورنتو للالكسيثيميا " البلادة الوجدانية" .
- الشربيني، لطفي (2001): معجم مصطلحات الطب النفسي، مراجعة عادل صادق، تحرير مركز العلوم الصحية، الكويت-مؤسسة التقدم العلمي (185).
- Dodgar, H., Abdolmanafi, A., Rostami, R. & Hanidi, S. (2010): Relationship between Attachment styles and Alexithymia component among patient with substance use Disorder and normal people. Journal of Behavioral Science, 29 (1), 1- 9.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

- Sifneos, P. E. (1973): The Prevalence of Alexithymia Characteristics in psychosomatic patients. Journal of psychotherapy and psychosomatics, 22 (2- 6), 40.
- Hankalampi, K, etal (2004): Do stressful life-events or sociodemographic variables associate with depression and alexithymia among a general population-a 3-year follow –up study comprehensive psychiatry, 45(4), 254-260.
- Gross, J. Munoz, R (1995): Emotional Regulation and Mental Health Clinical Psychology: Science and practice, 2: 151-164.
- Taylor GJ & Taylor HS (1997): Alexithymia. In M. McCallum & W.E. Piper (Eds.) Psychological mindedness: A contemporary understanding. Munich: Lawrence Erlbaum Associates pp. 28–32

- Hankalampi, K., et al. (2004): Do stressful life-events or Sociodemographic variables associate with depression and alexithymia among a general population?—A 3-year follow-up study, Comprehensive Psychiatry, 45(4), 254-260.
- O'Neill & Bronstein (1999): Dependency and Alexithymia in psychiatric inpatients, Journal of nervous and mental disease, vol (184)5PP 302-306.
- Weinryb, Gustafson, Aberg & Roessel (1994): Relationship between components of Alexithymia as measured with psychodynamic ratings an subjective lack of well-being, psychotherapy and psychosomatics, vol 61(1-2)100-108.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

موقع الإعلامية الجزائرية في الفضاء السمعي البصري بين محكي المهنية والعقلية المجتمعية (دراسة مسحية على عينة من الصحفيات العاملات في قطاع السمعي البصري)

أ/ فريدة صغير عباس (جامعة الجزائر 03)
أ/ سالمة شداني (جامعة الجزائر 03)

تاريخ الإرسال: 2017/08/05	تاريخ القبول: 2018/07/31	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

تعد هذه الورقة البحثية دراسة ميدانية تتناول بالدراسة موقع المرأة الصحفية الجزائرية في النسيج الإعلامي الجزائري، والمراحل التي حققتها لثلج هذا القطاع الذي أجمع بعض الباحثين على سمته الذكورية ولتثبت وجودها المهني كصحفية وإعلامية في مختلف مؤسسات الإعلام الجزائرية (الإذاعة، التلفزيون، وكالات الأنباء، الصحف)، لذلك وليس من الغريب أن يحظى موضوع مكانة الصحفية الجزائرية ضمن المشهد السمعي البصري بالدراسة ، خاصة في ظل ازدياد الملتحقات بمناصب المسؤولية في المهنة في السنوات الأخيرة، وهو ما يعكس دور وجهود المرأة الصحفية الجزائرية في تحقيق التقدم في مجال ظل لفترة ليست بعيدة من المجتمعات الرجالية في سياق مجتمعنا وفي ظل سياقات تاريخية وثقافية مختلفة يتنوع فيها الفعل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

والمتأمل في واقع التشريعات والقوانين مما له صلة بالعمل الصحفي في الجزائر منذ استقلالها إلى اليوم لا يجد ما يمنع المرأة حق الدخول إلى المهنة بالتساوي مع جنس الذكور في الحقوق والواجبات، إلا أن دخول المرأة وخوضها تجربة العمل الإعلامي خاصة في قطاع السمعي البصري تعد حديثة نسبيا وهذا ما يقودنا إلى البحث في مكانة الإعلامية الجزائرية في المشهد السمعي البصري في الجزائر، وآليات تكيفها بين تأنيث المهنة الإعلامية وصراعها مع العقلية المجتمعية وهو ما سنحاول الوقوف عنده من خلال هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: حضور المرأة الصحفية، الفضاء السمعي البصري، الأداء المهني.

Abstract the study:

This study is a field study that examines the position of Alegria women journalists in the Algerian media, and the stages achieved by this sector, which brought together some researchers to identify the masculine and to prove their professional status as a journalist and media in various Algerian media institutions (radio, television, news agencies, newspapers) It is therefore not surprising that the subject of the Algerian journalist's position within the audiovisual scene has been studied especially in light of the increase in the number of positions of responsibility in the profession in recent years. This

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

reflects the role and efforts of Algerian women journalists in achieving progress in the field of Is not far from male societies in the context of our society and in different historical and cultural contexts in which the social, political and economic action varies.

And considering the reality of legislation and laws that are relevant to the work of journalism in Algeria since its independence to this day does not find what prevents women from entering the profession equally with the sex of men in the rights and duties, but the entry of women and the experience of media work, especially in the audiovisual sector is relatively new What leads us to research the status of the Algerian media in the audiovisual scene in Algeria, and the mechanisms of adaptation between the feminization of the media profession and its conflict with the social mentality, which we will try to stand at him through this study

Keywords: women journalists' presence, audiovisual space, professional performance

مقدمة:

يعد موقع أو مكانة المرأة في أي مجتمع من المؤشرات المهمة التي تدل على إدراج العنصر النسوي في تطور المجتمع، فالمجتمعات المتحضرة والمتقدمة هي التي تفسح المجال للمرأة لأخذ دورها الكامل في بناء المجتمع، ولا يمكن لأي مجتمع أن يوسم بأنه متقدم أو يسير على طريق التطور عندما يكون مهمشا أحد ركائزه ألا وهو عنصر المرأة في مختلف المجالات فعلاقة المرأة بالعمل المهني علاقة حديثة النشأة، وخروج المرأة لميادين العمل المختلفة خارج منزلها في المجتمعات العربية، إنما تم تحت تأثير الاتصال بالحضارة الأوروبية في مطلع القرن العشرين فباتت المجتمعات العربية تعيش حراكا بأنساق مختلفة في سياق مجتمع المعرفة، وكان لمهنة الإعلام والاتصال الدور الأساسي والملموس في ترجمة مدى التحولات في الخطاب الإعلامي الاجتماعي ومدى إعادة الانتاج لخطاب ثقافي عائم كرس لسنوات طويلة للتمييز بين الجنسين فيظل العقبات المجتمعية المتعلقة بوعيها وإرادتها والبعض الاخر يتعلق بالمجتمع نفسه.

فالمرأة الجزائرية كغيرها من النساء لم تنتظر الحسم في الجدل الفكري حول تموقعها وأدوارها الاجتماعية، بل راحت تكتسح مختلف مجالات العمل منذ الاستقلال منها التعليمية، الصحية، القضائية، ...لتستطيع بذلك تحقيق أهدافها وتكرس حقوقها، ولم تكن المرأة الإعلامية بمنأى عن هذا العمل الإعلامي بمختلف أشكاله حيث لا يمكن أن نفهم تطور منزلة الصحفية والإعلامية بصفة عامة دون النظر إلى

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الظروف والسياقات المجتمعية ضمن آليات المناداة بحقوق المرأة وتمكينها في ظل ظروف غير متساوية وغير عادلة مع نظيرها الرجل، حيث كان لمفهومي المكانة والموقع الاجتماعي وطأهما في توصيف التمييز الجنسي السائد والنظرة أو العقلية المجتمعية للمرأة الإعلامية والمتتبع الحضور في المشهد الإعلامي الجزائري يلاحظ تزايد إقبال النساء على ممارسة المهنة الصحفية في مختلف مؤسسات الإعلام الجزائرية خصوصا في قطاع السمعي البصري في السنوات العشر الأخيرة لذلك فليس من الغريب أن يحظى موضوع موقع المرأة الصحفية بالدراسة خاصة في ظل ازدياد الملتحقات بمناصب المسؤولية من جهة، وبين نظرة المجتمع بشأن إدراج العنصر النسوي في مهنة المتاعب من جهة أخرى.

أولا :إشكالية الدراسة:

تعد وسائل الإعلام السمعية البصرية من أهم وسائل الاتصال وأقدرها على تشكيل الرأي العام تجاه القضايا المختلفة خاصة تلك العاكسة لطبيعة النظام الاجتماعي، ولما أصبحت المرأة طرفا أساسيا في عملية التنمية الشاملة فقد سعت الدول ومنها الجزائر إلى سن قوانين وإعداد مخططات تعتمد على إشراكها وإدماجها والإقرار بمكانتها في مجالات العمل المختلفة، منها المجال الإعلامي فتنامي الاهتمام بضرورة تشجيع المرأة وإتاحتها فرص العمل وترقيتها في مهنة المتاعب وشهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين وبداية هذا القرن عرف تطورا ملحوظا في مشاركة المرأة في المجال الإعلامي وانخراطها بالعمل الإعلامي لتجسد جدلية المرأة والإعلام" نصف المجتمع والسلطة الرابعة في الجزائر."

وغير بعيد عن موقع ومكانة الصحفية نجد مفهوم العقلية المجتمعية التي جسدت لفترة طويلة النظرة الدونية للمرأة على أنها ليست من مستوى الرجل على رغم العطاء الذي قدمته ولا زالت تقدمه .وإذا تحدثنا عن المرأة الإعلامية فيمكن القول أنها طالت من ضغوط اجتماعية ونظرة مهنية.

إن هذه الدراسة تحاول أن تطرح مرة واحدة كل الأسئلة التي ثارت في الفترة الأخيرة بشأن الإعلامية الجزائرية كقائمة بالاتصال في المؤسسة الإعلامية وإمكاناتها في السلطة الرابعة ضمن النظم الحديثة بعد السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية من جهة وبين النظرة أو العقلية المجتمعية من جهة أخرى لذلك تسعى هذه الدراسة الإجابة على الاشكالية الرئيسية التالية:

ما موقع الإعلامية الجزائرية في الفضاء السمعي البصري؟ وكيف توازن موقعها بين المحكية المهنية والعقلية المجتمعية؟

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ثانيا :تساؤلات الدراسة:

- ما هو واقع حضور المرأة الصحفية بمؤسسات السمعي البصري؟ وهل تحظى بسلطة القرار ضمن هذه المؤسسات؟
- كيف ترى الصحفية الجزائرية موقعها في المؤسسة الإعلامية مقارنة بزميلها الصحفي؟
- كيف ترى الاعلامية الجزائرية العاملة في قطاع السمعي البصري نظرة المجتمع لها مقارنة مع زميلها الصحفي ؟هل هي نظرة تساوي وتكافؤ فرص أم أنها نظرة تمييز؟

ثالثا :أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- تحديد موقع المرأة الصحفية ضمن قطاع السمعي البصري الجزائري.
- تهدف هذه الدراسة إلى إظهار أداء المرأة الصحفية من خلال الكشف عن مدى حضور المرأة وقضاياها في المشهد السمعي البصري.
- التعرف على طبيعة علاقة الصحفيات مع زملائهم في الميدان.
- معرفة طبيعة العوائق المهنية التي تواجه الصحفيات الجزائريات أثناء العمل.
- معرفة موقع المرأة ضمن تأنيث المهنة والعقلية المجتمعية.

رابعا :أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من كونها تسلط الضوء على موقع الإعلامية الجزائرية ضمن قطاع السمعي البصري الذي يشهد في الآونة الأخيرة توظيف النساء بشكل متزايد مما يساعد مسؤولي وسائل الإعلام السمعية البصرية مستقبلا إلى الاستغلال الحسن لقدرات وأداء المرأة الصحفية.

كما تكمن أهمية الدراسة أيضا في كونها تتطرق إلى عنصر مهم وهو في العملية الإعلامية ألا وهو عنصر القائم بالاتصال خاصة وأنها تتناول فئة الصحفيات والعوائق التي تواجهها كقائم بالاتصال من جهة وبين النظرة المجتمعية التي رسخت لفترة طويلة فكرة التمايز الاجتماعي والثقافي والمهني بين المرأة والرجل.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تكمن أهمية الدراسة أيضا بوصفها لبنة وفاتحة المجال لدراسات أخرى حول الموضوع فأغلب الدراسات المطلعة عليها تناولت حضور المرأة في الصحف ولم تتطرق لسياق حضورها في قطاع السمعي البصري، لذلك نوسم هذه الورقة البحثية بأنها فاتحة المجال لدراسات أخرى حول الموضوع سواء من حيث مداخله النظرية المتعددة أو تطبيقاته المنهجية المناسبة كالدراسات الارتباطية، السببية، المقارنة، ... وغيرها.

خامسا: تحديد مفاهيم الدراسة :

إن تحديد مفاهيم الدراسة هو بمثابة ضبط المعنى في الموضوع المبحوث فيه، ويقصد بتحديد المفاهيم تبيان ما تعنيه من مقاصد وما تظهره من صفات، ويتضح المعنى عندما يعقله الانسان ويميزه عن غيره من الذي يشترك معه في الخصائص والصفات.[1]

وتتضمن دراستنا هذه المفاهيم الآتية:

1/ **حضور المرأة الصحفية** : مساهمة المرأة في حقل اتخاذ القرار بالمهنة الصحفية.[2]

وإجرائيا :نقصد بحضورها ليس كمحتوى للمواد الإعلامية ولكن باعتبارها قائمة بالاتصال في قطاع السمعي البصري وركزنا في تعريفنا على معيارين:

- مساهمة المرأة في حقل اتخاذ القرار بالمهنة الصحفية.

- المنافذ المهنية المفتوحة للإعلامية الجزائرية في التحرير المركزي أو التقديم أو المراسلة...

2/ **الفضاء السمعي البصري** :كل وسيلة إعلام مخالفة للإعلام الورقي الكتاب والجريدة اي أنها اي وسيلة إعلام تستخدم جهازا للتواصل.[3]

أما اجرائيا: نقصد بالفضاء السمعي البصري إجرائيا في هذه الدراسة هي المؤسسات التي تعمل بها الصحفيات عينة البحث وهي القطاع السمعي البصري المتمثل في إذاعات) عين الدفلى، الشلف، البليدة (والتلفزيون) التلفزيون العمومي، القنوات الخاصة.(ووكالة الانباء أي المؤسسات الإعلامية عينة الدراسة

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

3/ **الأداء المهني** :تلك العمليات التي يقوم بها الأفراد داخل المهنة، والتي تضمن تحديد هيكل معرفي يحدد مجال الخبرة والروابط المهنية وزيادة الهوية الجماعية، وصياغة رموز تلاءم السلوك المهني، وتطور معنى الالتزام بقواعد المهنة داخل المؤسسات الإعلامية.(4)

أما الأداء المهني فيعني إجرائيا في دراستنا أداء وإنتاج القائمة بالاتصال في قطاع السمعي البصري، وتعتمد كمؤشر للمفهوم الإجرائي حضور المرأة في التقديم والانتاج والكتابة كأثر مباشر وأساسي لحضورها في المهنة.

سادسا: :منهج الدراسة وأدواتها :

يعرف المنهج في البحث العلمي بأنه الطريق المؤدي للكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.(5)

وتتعدد المناهج المعتمدة في البحوث العلمية باختلاف الموضوع المبحوث فيه وطبيعة الدراسة، وباعتبار دراستنا تنتمي إلى الحاضر القائم فإن أنسب المناهج لدراسة هذا النوع من المواضيع هو المنهج المسحي باعتباره الطريقة التي تمكن الباحث من التعرف والإلمام بالظاهرة أو القضية المدروسة من حيث العوامل المكونة لها والعلاقات السائدة داخلها في الحيز الواقعي.(6)

سابعا:أدوات جمع البيانات:

يعتبر هذا العنصر هام جدا لأن طريقة اختيار جمع المعطيات هي التي ستحدد ما يمكن تحليله ضمن ما يمكن دراسته لأن دقة البحث العلمي مرتبطة أساسا بمدى فعالية الأدوات المستخدمة في جمع البيانات .واعتمدنا في دراستنا كأداة للبحث في موضوعنا على الاستمارة للتقصي.(7)

يعتبر الاستقصاء أحد الأساليب التي تستخدم في جمع بيانات أولية أو أساسية أو مباشرة من العينة المختارة أو من جميع مفردات مجتمع البحث عن طريق توجيه مجموعة من الأسئلة المحددة المعدة مقدما وذلك بهدف التعرف على حقائق معينة.(8)

ويعرف الاستقصاء أو كما يعمم باصطلاح الاستبيان أيضا بأنها تلك القائمة من الأسئلة التي يحضرها الباحث بعناية في تعبيره عن الموضوع المبحوث فيه في إطار خطة موضوعة، لتقدم إلى المبحوث من أجل

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحصول على إجابات تتضمن المعلومات والبيانات المطلوبة لتوضيح الظاهرة المدروسة وتعريفها من جوانبها المختلفة.[9]

فقد إعتمدنا في هذه الدراسة على أداة الاستمارة لجمع البيانات والمعلومات من النساء الصحفيات العاملات في قطاع السمعي البصري، وحاولنا فيها قدر الامكان أن تكون الأسئلة ملمة بالموضوع وواضحة مراعين في ذلك الخطوات المنهجية المتعارف عليها في تصميم الأسئلة:

- التفكير المبدئي في أسئلة الاستمارة وتكييفها حسب محاور البحث ، انطلاقا من الإشكالية والتساؤلات.

- صياغة أسئلة الاستمارة وإعدادها في صورتها المبدئية.

- صياغة الاستمارة في شكلها النهائي وإرسالها للصحفيات المبحوثات، وقد تم إرسال شق من الاستمارات يدا بيد أما الجزء الباقي فقد تم إرساله الكترونيا للمبحوثات عبر حساباتهن الالكترونية عن طريق الايميل أو الفايسبوك وردت إلى الباحثين.

وقد تنوعت أسئلة الاستمارة بين المغلقة والمفتوحة ومتعددة الخيارات وترتيبها حسب أبعاد ومؤشرات الدراسة.

ثامنا: مجتمع البحث وعينة الدراسة:

- **مجتمع البحث:**

يعرف مجتمع البحث بأنه جميع المفردات أو الأشياء التي نريد معرفة حقائق معينة عنها، قد يكون مجتمع البحث أعداد كما هو الحال في تقييم مضمون وسائل الإعلام، كما قد يكون أشخاصا) أفراد(، وكلما كان التحديد أكثر دقة كلما ساعد ذلك على دقة النتائج.[10]

بحكم موضوع دراستنا الذي يهتم بالإعلاميات الجزائريات، يتمثل مجتمع بحثنا في الصحفيات العاملات في قطاع السمعي البصري.

- **عينة الدراسة:**

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

عادة ما يتم اللجوء إلى استخدام العينة في مجال البحوث العلمية والاجتماعية منها يعتمد الباحث في اجراء البحوث الميدانية وغيرها من الأبحاث الأخرى على طريقة العينة المأخوذة من مجتمع البحث للوصول إلى معلومات وحقائق تفي بالغرض النهائي للدراسة وتعمم هذه النتائج على كافة مجتمع البحث.

العينة في البحث العلمي هي مجموعة جزئية من مجتمع البحث يتم اختيارها بطريقة معينة واجراء هذه الدراسة عليها ومن ثم استخدام تلك النتائج وتعميمها على كامل الدراسة الأصلي.[11]

فقد اعتمدنا في دراستنا على العينة المقصودة او القصدية وهي عينة غير احتمالية يكون فيها الاختيار كيفي من قبل الباحث للمبحوثين استنادا إلى أهدافه البحثية، وهي العينة التي يتم انتقاء مفرداتها بشكل مقصود من قبل الباحث نظرا لتوفر بعض الخصائص في أولئك الأفراد دون غيرهم.[12]

وعلى هذا الأساس قمنا باختيار عينة قوامها 60 مفردة من مجتمع البحث 30 منها تمثلت في الصحفيات العاملات في الإذاعات (إذاعة عين الدفلى المحلية، إذاعة الشلف المحلية، إذاعة البليدة المحلية) و 30 مفردة المتبقية تم توزيعها على الصحفيات العاملات في التلفزيون ووكالة الأنباء من مهنيات عاملات بقسم التحرير والتقديم وأقسام أخرى

عاشرا: مجالات الدراسة:

يعتبر مجال الدراسة خطوة أساسية في البناء المنهجي لأي بحث علمي لأنه يؤطر الدراسة في قالب يسمح لنا بالتحكم في كل خطوات بحثنا، ويمكن أن نميز في مجال الدراسة ثلاث أنواع من المجالات:

1/ المجال المكاني :ويقصد به مكان إجراء الدراسة وبما أن موضوع الدراسة هو الصحفيات العاملات في القطاع السمعي البصري فإن المجال المكاني هنا امتد من مكان توزيع الاستمارات) عين الدفلى، الشلف، البليدة (وفي السمعي البصري القنوات) التلفزيون العمومي والقنوات الخاصة ووكالات الأنباء.(**بالجزائر العاصمة**

2/ المجال البشري :مجتمع البحث في العلوم الانسانية هو المجال البشري وهو مجموعة لامتناهية من العناصر المحددة مسبقا والتي ترتكز الملاحظات عنها، والمجال البشري في دراستنا هم الصحفيات العاملات في القطاع السمعي البصري.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

3/المجال الزمني: امتدت فترة الدراسة من تاريخ 07/04/2017 إلى 20/05/2017 وهي الفترة التي تخللتها عملية تفريغ وتحليل نتائج الاستمارة واستخراج النتائج.

الإطار النظري للدراسة:

1/ المشهد السمعي البصري ومؤشرات التأنيث:

لما أصبحت المرأة طرفا أساسيا في عملية التنمية الشاملة فقد سعت الدول على سن قوانين وإعداد مخططات تعتمد على إشراك المرأة وإدماجها والإقرار بدورها في مجالات العمل المختلفة [13]منها المجال الإعلامي فتنامي الاهتمام العلمي والسياسي العالمي بضرورة تشجيع المرأة وإدماجها فرص العمل وترقيتها في مهنة المتاعب، وربما تعد ظاهرة حداثة انخراط المرأة بالعمل الإعلامي في وقت ليس ببعيد موضع جدل لذلك فما جلب اهتمامنا تحديدا وهو ما يمكن أن يعكسه حضور المرأة الصحفية بأعداد كبيرة على أدائها المهني ومنافسة زميلها الرجل متى تمكنت من مقومات الأداء سواء كصحفية مقدمة أخبار أو محررة أو مراسلة أو مسؤولة، فعلاوة على انعدام البحوث التي تناولت عمل المرأة في قطاع السمعي مقارنة بنظيراتها في الصحافة المكتوبة في الجزائر، إلا أن التصريح الأخير لوزير الاتصال عبد الحميد قرين أقر أن المرأة الجزائرية أصبحت تحتل مكانة أكثر من مشرفة في قطاع الاتصال، وفي ذات السياق أشار قرين إلى أن جائزة رئيس الجمهورية للصحافة المحترفة التي اختير لها موضوع " المرأة عامل أساسي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية تعكس الاهتمام الذي يوليه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لقضية المرأة ومكانتها في المجتمع.[14]

2/ المساواة بين الرجل والمرأة:

حظيت المرأة الجزائرية مكانة في الحياة السياسية ضمن الدستور الجزائري، فأول دستور للدولة الجزائرية الصادر 08 سبتمبر 1963 المادة (12) تنص على" :كل الأفراد من كلا الجنسيين لهم نفس الحقوق و الواجبات ."كما جاء ميثاق ودستور 1976 في المادة (42) التي تنص على" :الحماية القانونية المتوفرة للممارسات المجتمعية التي تقوم بها المرأة الجزائرية، وتؤكد على مفهوم المرأة الجزائرية كمواطنة تتمتع بجميع الحقوق التي يتمتع بها الرجل في الحياة العامة ."كما تنص المادة (81) من نفس الدستور على أنه" :ينبغي للمرأة الجزائرية أن تكون قادرة على المشاركة الفعلية في النشاط السياسي."

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

كما حظيت المرأة الجزائرية اهتمام واسع في المجال السياسي ضمن دستور 1996 في المادة (29) التي تنص على" :كل المواطنين سواسية أمام القانون ولا يمكن أن يتذرع بأن التمييز يعود سببه إلى المولد أو العرق أو الجنسيين أو الرأي أو أي شرط أو ظرف آخر شخصي أو اجتماعي ."وجاء نص مكرر في المادة (31)لتعديل دستور 2008 من دستور 1996 التي تنص على" :العمل على مضاعفة حظوظ المرأة في النيابة ضمن المجالس المنتخبة."

وجاء دستور 2016 بمواد مكررة لصالح المرأة الجزائرية على سبيل المثال المادة (31) التي تنص على" :تعمل الدولة على ترقية التناصف بين الرجال والنساء في سوق التشغيل، تشجع الدولة ترقية المرأة في مناصب المسؤولية في الهيئات والإدارات العمومية وعلى مستوى المؤسسات ."ومنه يعتبر موضوع المرأة الجزائرية في العمل السياسي من المواضيع التي لا زالت تطرحها السلطة الحاكمة وتحظى بغاية الاهتمام<

تاسعا :تحليل وتفسير بيانات الاستمارة:

المحور الأول: يتعلق بتموقع المرأة الصحفية ضمن قطاع السمعي البصري:

جدول رقم :01 يوضح توزيع عينة الدراسة حسب الانتماء للمؤسسة الإعلامية:

مؤشرات	التكرارات	النسبة
إذاعة عين الدفلى	10	16.66%
الإذاعة إذاعة الشلف	10	%16.66
إذاعة البليدة	10	%16.66
التلفزيون العمومي	10	%16.66
التلفزيون قنوات أخرى	10	%16.66
وكالة الأنباء	10	%16.66
المجموع	60	%100

من خلال هذا الجدول نلاحظ تباين نسبة الصحفيات العاملات في قطاع السمعي البصري حيث قدرت نسبة النساء الصحفيات العاملات في قطاع السمعي البصري ب 50% موزعة على 16.66% بالنسبة للصحفيات العاملات في إذاعة عين الدفلى و 16.66% بالنسبة للصحفيات العاملات بإذاعة البليدة الجهوية و 16.66% في إذاعة الشلف، بينما مثلت النسبة المتبقية 50% نسبة الصحفيات

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

العاملات في الفضاء السمعي البصري وكانت بالتساوي 16.66% منهن العاملات بالتلفزيون العمومي و 16.66%منهن عاملات بقنوات أخرى مستقلة و 16.66% منهن عاملات بوكالة الأنباء الجزائرية.

جدول رقم :02 يوضح توزيع عينة الدراسة حسب وظيفة المسؤولية أو المنصب المهني:

البدائل	التكرار	النسبة
رئيسة منسقة بقسم التحرير	3	5%
مسؤولة نشر	3	5%
التقديم الصحفي	36	60%
مراسلة	16	26.66%
الإخراج	02	3.33%
المجموع	60	100%

بينت نتائج المسح الميداني تمركز أغلب صحفيات عينة الدراسة في التقديم الصحفي بنسبة 60% بينما قدرت نسبة اللواتي يعملن بمنصب المراسلة بنسبة 26.66% ، أما المنصب الذي تستحوذ المرأة الصحفية ضمن رئيسة أو منسقة تحرير فقد قدرت ب 5% وهي نفس النسبة التي سجلت عند مسؤولة نشر، أما منصب المسؤولية في الاخراج فقد قدرت ب.3.33%

جدول رقم :03 يوضح تخصصات الدراسة بالنسبة للإعلاميات:

العينة التخصص	التكرار	النسبة
إعلام واتصال) صحافة(	39	69%
لغات أجنبية	12	%20
علوم سياسية وحقوق	06	%10
أدب	02	%3.33
تخصصات أخرى	01	%1.66
المجموع	60	%100

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يلاحظ من خلال الجدول أعلاه توزيع عينة الدراسة حسب تخصصات الدراسة حيث نلاحظ أن نسبة صحفيات العينة كان تخصصهم إعلام واتصال وهم إعلاميات متخرجات من كلية الصحافة ومعاهدها وذلك بنسبة 65% أما والنسبة التخصصات الأخرى فقد سجلت على التوالي 20% بالنسبة لتخصص اللغات الأجنبية و 10% بالنسبة لتخصص علوم سياسية وحقوق و 3.33% بالنسبة لتخصص الأدب.

جدول رقم :04 يوضح سنوات خبرة الصحفيات عينة الدراسة:

العينة البدائل	التكرار	النسبة
أقل من 05 سنوات	22	36.66%
من 05 إلى 10 سنوات	23	38.33%
من 10 إلى 20 سنة	13	21.66%
أكثر من 20 سنة	02	3.33%
المجموع	60	100%

من خلال الجدول أعلاه تبينت نسب خبرة الصحفيات في المؤسسة الإعلامية، حيث سجلت نسبة الصحفيات اللواتي يملكن الخبرة في العمل الإعلامي من 05 إلى 10 سنوات ب 38.33% تليها نسبة اللواتي تتراوح خبرتهن في العمل أقل من 05 سنوات بنسبة36.66% ، ثم نسبة 21.66% للواتي تتراوح خبرتهن من 10إلى 20 سنة تليها نسبة 3.33% للواتي لهن خبرة مهنية تتراوح أكثر من 20 سنة .

المحور الثاني :يتعلق بعلاقة الصحفيات مع زملائهم الصحفيين الرجال في العمل:

جدول رقم :05 يوضح تقييم الصحفيات الجزائريات العلاقة مع زملائهم الصحفيين الرجال في العمل:

العينة الإجابة	التكرار	النسبة
جيدة جدا	15	25%
جيدة	25	41.66%
حسنة	20	33.33%

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

سيئة	00	00%
المجموع	60	100%

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن معظم الإعلاميات يرون أن علاقتهن مع زملائهم الرجال في العمل جيدة والتي قدرت ب 41.66% ونسبة الصحفيات اللواتي وصفن العلاقة بالزملاء في العمل بصفة جيدة جدا ب 25% وحسنة بنسبة33.33% ، فيما انعدمت نسبة الإجابة بسيئة . من هنا نستنتج أن النظرة السابقة للمرأة الصحفية من طرف زملائها في العمل قد تغيرت حيث زالت الهوة بين الجنسين في مناخ مهني وهذا ما يوضح علاقتها الجيدة مع زميلها في العمل.

جدول رقم :06 يوضح مدى سعي المرأة الإعلامية للترقي في منصب المسؤولية مع نظيرها الرجل:

العينة الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	57	95%
لا	03	5%
المجموع	60	100%

من خلال الجدول اعلاه يتضح سعي الصحفيات للترقي في الوظيفة مع نظيرها الصحفي الرجل، حيث يلاحظ أن نسبة 95% أجبن بنعم، بينما 5% أجبن فقط بلا.

الجدول رقم :07 يوضح مدى تلقي الصحفيات لمضايقات من قبل زملائهم في العمل:

العينة الإجابة	التكرار	النسبة
لا	56	93.33%
نعم	04	6.66%
المجموع	60	100%

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يتبين من خلال هذا الجدول أن نسبة الصحفيات اللواتي لم يتلقين مضايقات من طرف زملائهم في العمل هي أكثر من نظيراتها ممن تلقين مضايقات في العمل، حيث قدرت نسبة الصحفيات اللواتي لم يتعرضن لمضايقات من زملائهم بالعمل ب 93.33% فيما أن فقط تعرضن لمضايقات من زملائهم في العمل وقد قدرت نسبتهم ب 6.66% وهي نسبة ضئيلة جدا.

جدول رقم :**08** يوضح ما إذا كانت المرأة الصحفية ترى أنها متساوية في الحقوق مع نظيرها الصحفي الرجل:

العينة الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	27	45%
لا	33	55%
التكرار	60	100%

تبين نتائج الجدول نظرة الإعلاميات الجزائريات عينة البحث لتكافؤ فرصهن وتساوي حقوقهن مع الرجل، حيث أجابت 55% أنهن غير متساويين مع زملائهم في المهنة، بينما 45% أجبن بأنهن متساويات في الحقوق مع زملائهم بالمهنة.

المحور الثالث :يتعلق بموقف الصحفية الجزائرية من العقلية المجتمعية لها كمهنة:

جدول رقم :09 يبين مدى تعرض الصحفيات لصعوبات أو مضايقات أثناء أداء المهنة لتغطية الأحداث :

العينة الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	21	35%
لا	39	65%
المجموع	60	100%

يتبين من خلال نتائج الجدول أن نسبة تعرض الصحفيات لمضايقات أو صعوبات أثناء ممارسة المهنة بلغ35% ، فيما أجابت 65% من الصحفيات ب لا أي أنهن لم يتعرضن لمضايقات.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

نستنتج من خلال نتائج الجدول أن النظرة للمرأة تغيرت حيث أصبحت ينظر إليها على أنها نصف المجتمع ومكملة لزميلها الصحفي.

جدول رقم :10 يبين طبيعة الصعوبات التي تعرضت لها الصحفيات أثناء تغطية الأحداث:

العينة الإجابة	التكرار	النسبة
عنف لفظي) شتم(	08	38.09%
عنف جسدي) ضرب(	04	19.04%
تحرش جنسي	06	28.57%
صعوبات أخرى	03	14.28%
المجموع	21	100%

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة 38.09% تعرضن للعنف الرمزي أو اللفظي أثناء تغطية الأحداث، فيما تعرضت 28.57% منهن إلى التحرش الجنسي والاستهزاء بهن، فيما تعرضت 19.04% للعنف الجسدي أثناء تغطيتهن للأحداث، فيما أجابت 14.28% أنهن تعرضن لصعوبات أخرى تمثل في الطرد وإحراجهن بكلمات جارحة.

جدول رقم :11 يوضح موقف الصحفية من خلال نظرة المجتمع لها مقارنة مع زميلها الصحفي:

العينة البدائل	التكرار	النسبة
متساوية في الحقوق مع الصحفي	25	41.66%
غير متساوية مع الصحفي	30	50%
بدون إجابة	05	8.33%
المجموع	60	100%

يلاحظ من خلال الجدول تباين إجابات أفراد العينة حول موقف الصحفية من خلال نظرة المجتمع لها مقارنة مع زميلها الصحفي الرجل من حيث الحقوق حيث أجابت 50% أنها غير متساوية في

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحقوق مع نظيرها الصحفي، فيما أجابت 41.66% أنها متساوية في الحقوق مع زميلها الصحفي مما يدعم تقارب النتائج، في حين كانت نسبة 8.33% بدون إجابة.

نتائج الدراسة :

- ✓ طرح المشهد السمعي البصري في الجزائر نماذج وصور لإعلاميات جزائريات من نوعية مهنية فاحترفن جدار التمييز وحركن الجمود مبرهنات على أنهن قادرات على أداء مهنتهن بكفاءة في بيئة إعلامية لها ضوابطها المهنية محققات بذلك إضافة لنضال الإعلاميات.
- ✓ دخلت الإعلامية الجزائرية سباق المحترفين ولفت أدائها ومسارها المهني في تقلد مختلف مناصب المسؤولية المهنية وسجلت حضورا في التقديم الصحفي بنسبة 60% ورئاسة التحرير بنسبة 5% ومراسلة بنسبة 26.66 %. وهو ما يحسب لها في الأداء والاحترافية المهنية
- ✓ أغلبية المهنيات الجزائريات عينة الدراسة من متخرجات من معاهد وكليات الصحافة، وهذا ما يفسر تزايد نسب التخصص نحو كليات ومعاهد وأقسام الإعلام منذ النصف الثاني من القرن الحالي، وما يؤكد على تزايد أهمية تخصص الإعلام والاتصال كحقل معرفي وتخصص مهني وأكاديمي.
- ✓ أغلبية صحفيات عينة البحث لديهن خبرة في الميدان المهني، فقدرت نسبة الذين لهم خبرة من 5 إلى 10 سنوات ب 38.33% ، بينما نسبة الذين لديهم خبرة أقل من 05 سنوات 36,66% ، والذين لديهم خبرة من 10 إلى 20 سنة ب 21.66% ، وهنا تتأكد الحاجة الى الخبرة والتكوين من أجل تطوير الكفاءة المهنية وتقديم عمل إعلامي أفضل.
- ✓ أغلبية الصحفيات عينة البحث ترين أن نظرة المجتمع إلى مهنتهن قد تغيرت نوعا ما عكس النظرة التي سادت في الأعوام الماضية، التي كرست تفوق المرأة على الرجل في مختلف الميادين ومنها الميدان الإعلامي, فطبيعة النظرة أو العقلية المجتمعية تغيرت للمرأة الإعلامية وفق السياقات

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الثقافية والاجتماعية والسياسية، وهذا ما يعكس تبلور الفكر المجتمعي للمرأة بوصفها نصف المجتمع.

خلاصة :

إن استقراء الواقع واستشراف المستقبل في مسائلة موضوع موقع الإعلامية الجزائرية، ضمن المشهد السمعي البصري بين محكي المهنية والعقلية المجتمعية يضع أمام الإعلاميات بصفة عامة تحديات جديدة لإثبات مكانتها وتثبيت مفردات جديدة في العمل الإعلامي في استحداث أدوات العمل وتنوع المضامين في الاذاعة أو التلفزيون، وبدوره يضيف عبئا آخر على الإعلاميات اللواتي لا يتمتعن كلهن بفرص متساوية مع زملائهن في التدريب والتأهيل ويتحتم عليهن التمكن من أسباب المنافسة، بغض النظر عن التمييز والمناخ داخل المؤسسة الإعلامية من جهة أو خارجها من جهة النظرة المجتمعية لها.

هوامش الدراسة:

(1)وحيد تاحي,جمهور صحافة الإثارة في الجزائر– السمات العامة وعادات القراءة,-رسالة ماجيستار قسم علوم الاعلام والاتصال,كلية العلوم السياسية والإعلام,جامعة الجزائر 3,2008-2009 ص41

(2)عبد العزيز بوصفط,المرأة الصحفية في الجزائر– الحضور والأداء-دراسة تحليلية لعينة من الصحف اليومية خلال الفترة من 1-11 الى, 2005 02-25 رسالة ماجيستير في علوم الاعلام والاتصال, قسم علوم الاعلام والاتصال, جاعة الجزائر.2005-2006, 3

(3)انظر الموقع التالي على شبكة الانترنت https://ar.wikipedia.org/wiki/ :تاريخ التصفح 18/04/2017 على الساعة.23:00

(4)أمين منصور وافي، الإعلام الفلسطيني والأداء المهني للإعلاميين الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى، رسالة دكتوراه غير منشورة،2006 ، ص.125

(5)عبد الرحمن بدوي، منهج البحث العلمي، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت،1977 ، ص.07

(6)أحمد بدر، مناهج البحث في الاتصال والرأي العام الدولي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1998 ، ص.19

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

(7)سمير محمد حسين، دراسات في مناهج البحث العلمي) بحوث الإعلام(، عالم الكتب، القاهرة،2006 ، ص.206

(8)سمير محمد حسين، مرجع سبق ذكره.

(9)أحمد بن مرسلي، منهجية البحث في علوم الإعلام والاتصال، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2005 ، ص.220

(10)محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،2003 ، ص.109

(11)موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة، الجزائر،2006 ، ص.62

(12)محمد عبد الحميد، دراسات الجمهور في بحوث الإعلام، ط1، عالم الكتب، القاهرة،1993 ، ص.141

(13)زينب منصور, الإعلام وقضايا المرأة,ط,1 دار أسامة للنشر والتوزيع, الأردن,2011, ص106

(14)موقع الإذاعة الجزائرية، المرأة الجزائرية تحتل مكانة أكثر من مشرفة في قطاع الاتصال 17/10/2016، تاريخ الولوج 2017/04/14على الساعة.12:36